

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة السودان المفتوحة

برنامج التربية

السيرة النبوية

رمز المقرر ورقمه : ترخ 306

تأليف : أ.د. عبد الباقي محمد كبير

التحكيم العلمي: د. مهدي رزق الله أحمد

التصميم التعليمي: ياسر خلف الله حسن سليمان

التدقيق اللغوي: أ. الهادي عبدالله محمد محمد أحمد

التنضيد الطباعي والتصميم الفني: أ. تاج السر أحمد حسين

منشورات جامعة السودان المفتوحة، الطبعة الأولى 2006

جميع الحقوق محفوظة لجامعة السودان المفتوحة، لا يجوز إعادة إنتاج أي جزء من هذا
المقرر، وبأي وجه من الوجوه، إلا بعد الموافقة المكتوبة من الجامعة.

الرسول صلى الله عليه وسلم، بمعنى أن دراسة السيرة النبوية هي تحسيد الحقيقة الإسلامية كاملة في مثلها الأعلى محمد صلى الله عليه وسلم.

فسوف نخل سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم هي الرصيد التاريخي الأول الذي تستمد منه الأجيال المتلاحقة من ورثة النبوة وحملة مشاعل العقيدة زاد مسيرها وعناصر بقائها، وأصول امتدادها.

وهذا الكتاب الذي نقدمه لأبنائنا في جامعة السودان المفتوحة، نحسبه واحداً من تلك المحاولات الجادة، للوقوف على بعض أحداث السيرة العطرة، وأخذ الدروس والعبر التربوية منها، حتى يستلهموا الوقوف على بعض من معاني السيرة ومدلولاتها الإنسانية، وتطبيقها على الحياة حتى يعم الخير والرحمة، «وعا أرسلناك إلا رحمة للعالمين» (الأنبياء، الآية 107) . عزيزي الدارس، هنا المقرر يتناول سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم في ست وحدات، ناقشت الوحدة الأولى الأحوال في جزيرة العرب قبل الإسلام، والوحدة الثانية، استعرضت مولد ونشأة النبي - صلى الله عليه وسلم - وكيفية نزول الوحي، ومن ثم استقصت الوحدة الثالثة عن كيفية الدعوة في مكة ومدى معارضة قريش لها، وأحداث الهجرة إلى الحبشة. عزيزي الدارس، نتعرف سوياً في الوحدة الرابعة على بيعتي العقبة، الأولى والثانية وأحداث الهجرة إلى المدينة المنورة. أما الوحدة الخامسة فقد تناولت إنشاء الدولة الإسلامية وذلك من خلال الأسس التي عملت على بناء المجتمع والدولة بجانب جهاد النبي - صلى الله عليه وسلم - والمسلمين من أجل تمكين دين الله في الأرض، ونختتم هذا المقرر عزيزي الدارس، بالوحدة السادسة والتي تتناول صلح الحديبية ونتائجها، وأهم الأحداث التي جاءت بعده، ومن ثم نستعرض فتح مكة وما بعده من أحداث، ونسدل الستار على هذه الوحدة بالتفصيل في حجة الوداع وانتقال النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى.

مقدمة المقرر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد.

* عزيزي الدارس، فإن السيرة النبوية المطهرة فهي العطاء المتجدد والزاد الباقي إلى يوم الدين، والتي يتسابق المتسابقون، ويتنافس المتنافسون إلى الحديث عنها، وكتابة الكتب والأسفار في مواضيعها منذ بعث صلى الله عليه وسلم حتى تقوم الساعة، تضع للمسلمين النموذج العملي والبرنامج الواقعي لما ينبغي أن يكون عليه سلوكهم وأفعالهم وأقوالهم وعلاقاتهم بربهم، ثم بأهلهم وعشيرتهم وإخوانهم وأمتهم والناس أجمعين.

ذلك أنه صلى الله عليه وسلم قد أعدته العناية الله منذ ميلاده إعداداً كاملاً لحمل أعباء الرسالة، والله أعلم حيث يجعل رسالته، فما هو إلا ثلاث وعشرون سنة حتى عمّت رسالته شتى أنحاء جزيرة العرب، ونزل عليه في حجة الوداع : «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً» (المائدة، الآية 3)

فأصلح الله به أمة العرب قدخلوا في دين الله أفواجاً، وطمس به معالم الوثنية، وجمعهم على دين واحد، وقبلة واحدة، وكتاب واحد، واعتصموا بحبل الله جميعاً، وصاروا بنعمته إخواناً، وأصبحوا خير أمة أخرجت للناس.

لكل هذا، فإن دراسة سيرته صلى الله عليه وسلم وأخذ الدروس والعبر منها لهو من واجب المسلمين اليوم. وعلى الرغم من الجهود التي بذلت في دراسة السيرة وسبر أغوارها، إلا أن هذا الفيض مازال يتدفق عطاءً لأهل الحكم والسياسة، وأهل المال والاقتصاد، ورجال التربية والأخلاق.. فما أحرى المسلمين اليوم وقد انحدروا في مهاوي الجهالة والتخلف، أن ياتمسوا أسباب التقدم والرفق من هذه السيرة العطرة، بدلاً عن التماسها من أعداء الإسلام.

ليس الغرض من دراسة السيرة النبوية هو الوقوف على الوقائع التاريخية، ولا سرد أحداثها فحسب، بل ينبغي على المسلك أن يتصور الحقيقة الإسلامية في مجموعها في حياة

مقدمة المؤلف المأثور

الوحدة	المؤلف	الصفحة
الوحدة الأولى	الأحوال في جزيرة العرب قبل الإسلام .	1
الوحدة الثانية	مولد ونشأة النبي - صلى الله عليه وسلم - ونزول الوحي	51
الوحدة الثالثة	الدعوة في مكة ومعارضة قريش والهجرة إلى الحبشة .	89
الوحدة الرابعة	بيعتنا العقبة وأحداث الهجرة إلى المدينة .	153
الوحدة الخامسة	إنشاء الدولة الإسلامية .	187
الوحدة السادسة	صلح الحديبية وفتح مكة وحجة الوداع .	269



الوحدة الأولى
الأحوال في جزيرة العرب
قبل الإسلام

محتويات الوحدة

الصفحة	الموضوع
3	مقدمة
3	تمهيد
4	أهداف الوحدة
5	1. الجغرافيا والسكان
6	1.1 جغرافية بلاد العرب
8	2.1 الجنس العربي
11	2. الأحوال السياسية
11	1.2 ممالك اليمن
15	2.2 مملكة الحيرة
16	3.2 مملكة الغساسنة
17	4.2 الوضع السياسي في الحجاز
29	3. الأحوال الاجتماعية والدينية
29	1.3 الحالة الاجتماعية
34	2.3 الحالة الدينية
42	الخلاصة
44	لمحة سابقة عن الوحدة التالية
45	إجابات التدريبات
48	المصادر والمراجع

مقدمة

أهداف

عزيزي الدارس، مرحباً بك إلى الوحدة الأولى من المقرر «السيرة النبوية» وهي تأتيك بعنوان: «الأحوال في جزيرة العرب قبل الإسلام». وتتناول الوحدة هذا الموضوع في ثلاثة أقسام رئيسة:

القسم الأول: عن الجغرافيا والسكان، وفيه نتعرف على أهم الظواهر الجغرافية في شبه جزيرة العرب، والتقسيمات التي قسم الجغرافيون من خلالها شبه جزيرة العرب، وهي: تهامة، والحجاز، واليمن، والعروض. ومن ثم نتعرف على الجنس العربي، وأقسامه من عرب بائدة وعرب باقية.

القسم الثاني: يتناول الأحوال السياسية، وهو يخبرنا بأن العرب قبل الإسلام لم تكن لهم دولة مركزية في الحجاز، بينما كانت هنالك ممالك في اليمن وفي شمال شرق وشمال شبه جزيرة العرب. ومن ثم يفصل القسم في الأحوال السياسية في الحجاز حيث كان يسود نظام القبيلة وحياة البداوة.

القسم الثالث: يستعرض الأحوال الاجتماعية والدينية للعرب قبل الإسلام، حيث سادت الأمية والجهل والبداوة وتميز المجتمع بالعصبية القبلية، وانتشار العديد من العادات الذميمة. كما يعرفنا القسم بالأحوال الدينية، حيث شهدت الجزيرة العربية العديد من الرسائل السماوية قبل الإسلام، بجانب انتشار العادات والعبادات الوثنية.

عزيزي الدارس، ستجد في ثانيا هذه الوحدة مجموعة من التدريبات وأسئلة التقويم الذاتي والأشكال التوجيهية وغيرها وهي تعينك في استيعاب ما جاء في هذه الوحدة، فأحرص على الاطلاع عليها وحلها، وعليك أن تستعين بمشرفك الأكاديمي فيما أشكل عليك، ونرجب بك مرة ثانية في الوحدة الأولى من هذا المقرر ونتمنى أن تستمتع بقراءتها ودراستها.

أهداف الوحدة

عزيزي الدارس، بعد انتهائك من دراسة هذه الوحدة، نتمنى أن تكون قادراً على أن:



- تعرف جغرافية الجزيرة العربية والجنس العربي.
- توضح الأحوال السياسية في الجزيرة العربية قبل الإسلام.
- تشير إلى أهم الممالك التي قامت في شبه الجزيرة العربية وبلاد اليمن قبل ظهور الإسلام.
- تعرف الأحوال الاجتماعية والعادات والتقاليد عند العرب قبل الإسلام.
- تحدد الرسائل السماوية التي عرفت بها الجزيرة العربية قبل الإسلام.
- تكتب عن إنتشار الوثنية وعبادة الأصنام في بلاد العرب قبل الإسلام.

١. الجغرافيا والسكان.

عزيزي الدارس، هل تعتقد أن معلوماتك الجغرافية والسكانية عن جزيرة العرب جيدة كما هي معلوماتك عن مناطق أخرى؟ لعل المعلومات التالية تزيد حصيلتك المعرفية عن جزيرة العرب.

إن ظهور الإسلام في الجزيرة العربية يعتبر البداية الحقيقية لبروز الأمة العربية كأمة ذات أثر على الأحداث العالمية آنذاك، فقبل ظهور الإسلام كانت هناك قوتان عظيمتان تسيطران على العالم، هما: الفرس، والروم. وكان العرب يعيشون بينهما كجيران فقط، لا حول لهم ولا قوة، وكانت نظرة الفرس والروم إلى العرب نظرة استخفاف وعدم احترام، فقد كانوا يعتبرونهم مجموعة من القبائل الرحالة التي تعيش حياة بدائية بعيدة كل البعد عن حياة الاستقرار والنظام والمدنية. (عبد الشافي، دراسات في السيرة، ص 1).

لكن بعد ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم، لم يظهر الإسلام في الأمة العربية، تغير الحال، وأصبح العرب سادة الموقف، وأخرجهم الإسلام من جزيرتهم التي عاشوا فيها قرونًا عدة، منه وبين على أنفسهم لا يحس بهم أحد، خرج بهم إلى الدنيا الفسيحة، لينتشروا في مساحات شاسعة من قارات الدنيا القديمة، آسيا وإفريقيا وأوروبا، ليبشروا العالم بهذا الدين الجديد، وليؤدوا دورهم الحضاري المنوط بهم، فقهروا من كانوا يحتقرونهم بالأمس، وعلموهم الدين الصحيح والحضارة والنظام والأخلاق، الفاضلة، فالإسلام إذن هو الذي اكتشف العرب ومكنهم من أداء هذا الدور الخالد في تاريخ البشرية، ولم يدخلوا التاريخ من أوسع أبوابه، ونستطيع أن نقول ونحن مطمئنين أنه لا يمكن للعرب أن يقوموا بدور إيجابي مؤثر في تاريخ العالم مرة أخرى إلا من خلال الإسلام وتحت راية الإسلام.

وليس معنى ذلك أن العرب كانوا قبل الإسلام كمًا مهملاً عاطلاً من كل الفضائل الإنسانية، ولو كانوا كذلك لما عهد الله تعالى إليهم بحمل رسالة سماوية خالدة، هي آخر الرسالات، فقد كانت أمة تحمل إمكانات إنسانية هائلة، وطاقات خلاقة كامنة، وقلوباً فارغة من فلسفات العالم القديم وتعقيداتها، قلوباً تنتظر اللحظة المناسبة لثمغتي إيماناً ثم تتعاطق، فكانت تلك اللحظة هي ظهور الإسلام على يدي محمد صلى الله عليه وسلم، فكان ظهور الإسلام الحد التاريخي الفاصل بين حياة العرب قبل الإسلام وحياتهم بعده، ولكي نقف على حجم تلك

النقطة الكبرى في حياة الأمة العربية، لابد أن تلقى الضوء على أحوال العرب السياسية والاجتماعية والدينية قبل الإسلام .

1.1 جغرافية بلاد العرب

يطلق العرب على بلادهم اسم جزيرة العرب (ياقوت، معجم البلدان، ج 1 / ص 65)، وهي الرقعة الجغرافية التي يقطنها العرب قبل الإسلام، ولكن التعبير الجغرافي الصحيح لها هو : شبه جزيرة العرب، لأن المياه تحيط بها من ثلاثة جوانب : فمن ناحية الشرق تطل على الخليج العربي . ومن الغرب تطل على البحر الأحمر، ومن الجنوب على المحيط الهندي، أما من ناحية الشمال فتطل على بادية الشام، وهي أرض يابسة، وتبلغ مساحتها حوالي مليون كيلو متر مربع.

ويقسم الجغرافيون شبه جزيرة العرب إلى خمسة أقسام :

1- تهامة، وهي الشريط الساحلي الغربي الذي يحل على البحر الأحمر، وسميت تهامة لشدة حرها وركود موائها.

2- الحجاز : وهو الإقليم الممتد من اليمن جنوباً وحتى الشام شمالاً، وسمي حجازاً لأنه يحجز بين إقليمي تهامة في الغرب ونجد في الشرق.

3- نجد : وهو ما بين جبل السراة، ويمتد من حدود اليمن جنوباً حتى بادية السماوة شمالاً ويسمي نجداً لارتفاع أرضه.

4- اليمن : وهو الإقليم الذي يقع في الطرف الجنوبي الغربي من شبه جزيرة العرب، ويقع على المحيط الهندي جنوباً، ويمتد شرقاً إلى حضرموت والشحر وعمان.

5- العروض : ويمتد بلاد اليمامة والبحرين وما والاها، وسمي عروضاً لاعتراضه بين اليمن ونجد والعراق (الخضري، تاريخ الأمم الإسلامية، ج 1، ص 7)

وتعتبر بلاد العرب في عمومها صحراوية جافة نادرة الأمطار، شحيحة بموارد الرزق، إلا من بعض المناطق في الأطراف، ليس فيها نهر يجري، أو أمطار منتظمة يمكن الاعتماد عليها في تنظيم الزراعة التي هي أساس الاستقرار والنظام والحضارة، ما عدا الأجزاء الجنوبية منها

حيث تنزل الأمطار الموسمية في بلاد اليمن، فنشأ فيها نوع من الاستقرار، مما ساعد أهلها في إقامة حكومات ودولات منتظمة، وتشيد حضارة طيبة، فاشتهرت باسم بلاد اليمن المسعيد.



تدريب (1)



ضع من القائمة (أ) مع ما يناسبها من القائمة (ب)

القائمة (أ)	القائمة (ب)
1 / العرب	1 / يفصل بين اليمن ونجد والعراق
2 / تھامہ	2 / يفصل بين تھامہ ونجد
3 / العروض	3 / جزيرة العرب
4 / الجغرافيون	4 / شبه جزيرة العرب
5 / الحجاز	5 / شدة الحر وركود الهواء

نشاط



عزيزي الدارس، ارجع إلى أطلس العالم ولو رسم خريطة توضح ماها أقسام الجزيرة العربية التي وردت أعلاه وأعرض ذلك على زملائك ومشرفك الأكاديمي.

2.1 الجنس العربي

الجنس العربي هو أحد ذروع الجنس السامي، الذي ينقسم إلى سام بن نوح عليه السلام، ولعل الجنس العربي هو أكثر ذروع الجنس السامي شهرة، وأشدها محافظة على خصائص الساميين، كما أن اللغة العربية التي هي إحدى اللغات السامية، تعتبر أكثر اللغات محافظة على خصائص اللغة السامية الأم.

وقد اعتاد المؤرخون على تقسيم العرب إلى قسمين رئيسيين: العرب البائدة، والعرب الباقية.

أولاً: العرب البائدة

ويقصدون بالعرب البائدة، أولئك الأقوام الذين كانوا يعيشون في أزمان سحيقة في القدم، ولكنهم هلكوا وبادوا وقد حدثتنا عنهم الكتب السماوية، كما ورد ذكرهم في بعض المصادر التاريخية، ومن الشعوب العربية البائدة التي حدثتنا عنها القرآن الكريم، عاد قوم عاد عليه السلام، وكانوا يعيشون في منطقة الأحقاف جنوب شرق الجزيرة العربية، قال الله تعالى عنهم: «وانكر أخا عاد أن أنذر قومه بالأحقاف، وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم» وعود قوم صالح عليه السلام، وكانوا يعيشون في الشمال الغربي لشبه الجزيرة العربية، وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم في قوله تعالى: «والى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب (سورة هود، الآية 6)».

وطبقاً لما يقصه علينا القرآن الكريم فإن هؤلاء الأقوام تمردوا على رسلهم الذين جاءوهم من عند الله لهدايتهم، فعصوهم، فحققت عليهم كلمة الله فأبادهم، قال تعالى: «فأما ثمود فأهلكوا بالمغاثية، وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية، سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً، فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية، فهل ترى لهم من باقية» (الحاقة، الآيات 5-7)

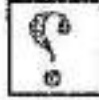
وبذلك طويت صفحاتهم التاريخية واندثرت آثارهم، ومن الأقوام التي هلكت أيضاً طسم وجديث.

ثانياً : العرب الباقية

أما الفرع الثاني من العرب هم العرب الباقية، ويقسمها المؤرخون إلى قسمين : العرب القحطانية، والعرب العدنانية.

أسئلة تقويم ذاتي

- 1- ما هو الاسم الذي أطلقه الجغرافيون على بلاد العرب؟ وماذا؟
- 2- إلى أي الأجناس ينتمي العرب؟
- 3- ما هي الأقسام التي قسم بها المؤرخون العرب؟
- 4- أذكر اثنين من الشعوب العربية البائدة.
- 5- بماذا أهلك الله تعالى قوم عاد؟



(أ) العرب القحطانية

ويعرف القحطانيون أيضاً بالعرب العاربة، أي الذين ينتسبون إلى عرب بن قحطان، وهم العرب الخالص، وموطنهم الأصلي بلاد اليمن، وقد تشعبت قبائلهم وتعددت، وانتشرت في بقاع عديدة من شبه الجزيرة العربية وماجاورها، ومن أشهر قبائلهم : سبأ وحمير وكهلان، ومنهم همدان وطبيع ومذحج وكندة، ولخم وجذام والأزد، الذين ينتسب إليهم الأوس والخزرج الذين هاجروا إلى الشام، وأسسوا فيها إمارة عربية استمرت حتى ظهور الإسلام، ومنهم المناذرة الذين أسسوا إمارة الحيرة.

(ب) العرب العدنانية

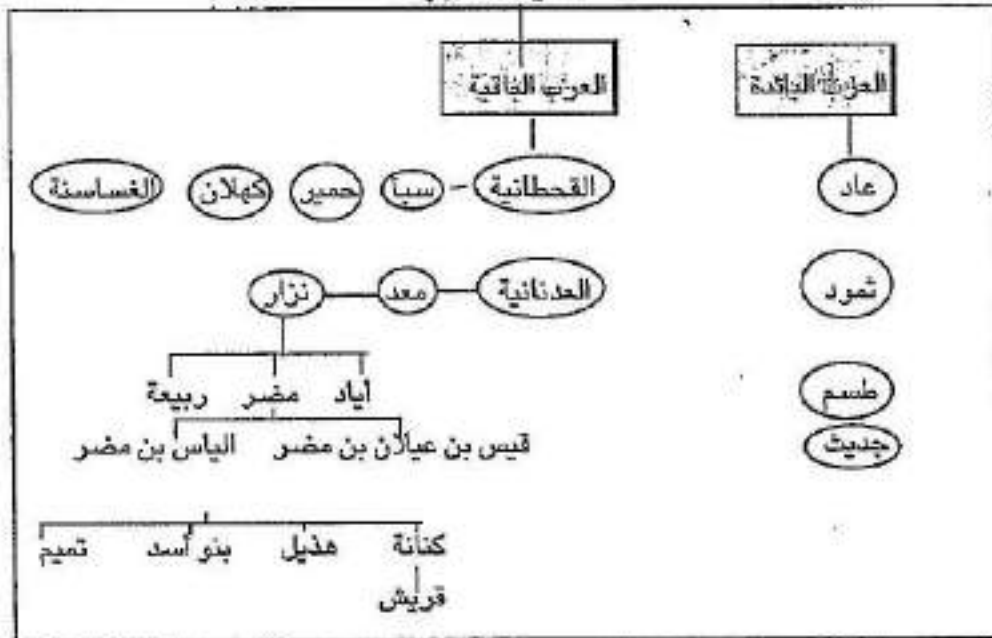
أما العرب العدنانية، فيعرفون بالعرب المستعربة، وهم العرب الذين جرى في عروقهم دم عربي عن طريق أمهم الجرمية العربية، ودم غير عربي عن طريق أبيهم إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، فقد هاجر إبراهيم بابنه إسماعيل إلى الحجاز وأسكنه في وادي مكة، وكانت تعيش بالقرب من هذا الوادي قبيلة جرمهم العربية، ولما كبر إسماعيل تزوج من هذه

القبيلة العربية، وأنجب من زوجته العربية أولاداً ظلوا يتناسلون حتى كونوا ما يعرف بالعرب العدنانية، أو عرب الشمال. وأهم قبائل عدنان : معد ونزار. وتشعبت من نزار، إياد وربيعة ومضر، وتشعبت قبائل مضر إلى شعبتين : قيس بن عيلان بن مضر، وإلياس بن مضر، وافترقت أولاد إلياس، فمنهم بطون تميم وهذيل وبنو أسد، وبطون كنانة بن خزيمة، ومن كنانة قريش، وهم أولاد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة.

وقد انقسمت قريش إلى قبائل كثيرة من أشهرها: جمح وسهم بن هصيص، وعدي بن كعب، ومخزوم بن يقظة، وتيم بن مرة، وزهرة بن كلاب، وعبداد بن قصي، وأسد بن عبدالعزى بن قصي، وعبد مناف بن قصي، وكان من عبد مناف أربع فصول : عبد شمس، ونوفل، وعبدالمطلب، وهاشم، ومن بيت هاشم جاء النبي - صلى الله عليه وسلم -.

شكل (2)

تقسيمات العرب



تدريب (2)



أكمل ما يأتي:

- 1- العرب العرباء هم العرب العاربة، ويتنسبون إلى بطن بني كنانة.
- 2- العرب المستعربة هم العرب المستعربة.
- 3- نزول سيدنا إسماعيل من أمراء عربية تنتمي إلى قبيلة بني كنانة.
- 4- تنتمي قريش إلى بطون بني كنانة.
- 5- سبأ وخمير من أشهر قبائل العرب.

2. الأحوال السياسية

لم يكن للعرب قبل الإسلام دولة مركزية تحكمهم، فلم تتوفر لهم أسباب الاستقرار المؤدي إلى قيام دولة منظمة، فقط هناك كيانات قبلية مستقلة تسوس الناس بحسب العرف الموروث، ونجد في إقليم الحجاز مدناً ذات حياة سياسية خاصة، أما في جنوب الجزيرة، حيث الاستقرار النسبي، فنجد ممالك اليمن، وفي الشمال الشرقي دولة المناذرة، وفي الشمال الغربي دولة الغساسنة، وهذه الدول تستمد أسباب بقائها من علاقاتها مع جيرانها الأقوياء كالأحباش والفرس والروم.

1.2 ممالك اليمن

كانت اليمن قبل الإسلام تنقسم إلى محافد (جمع محفد) والمحفد يشمل عدة قصور، وكان القصر إذ ذاك كالحصن أو القلعة، يحيط به سور ويقيم فيه شيخ أو أمير، ويعرف صاحب المحفد بلقب (ذو) أي صاحب، وكان يضاف هذا اللقب إلى اسم المحفد، فيقال: ذو غمدان، أي صاحب غمدان، وذو معين، أي صاحب معين، ومن أشهر المحافد: غمدان وناعط وصرواح وسلحين بمارب، وظفار وبراقش ومعين، وإذا اجتمعت عدة محافد لأمير واحد يسمى «قبل»، وجمعها: «أقبال»، ويطلق على مجموع المحافد وما يلحقها من القرى والمزارع «مخلاف».

وكان هؤلاء الأقبالي يغزوا بعضهم بعضاً، ويمد المنتصر سلطانه على جيرانه المنهزمين،
ومؤلاً يسمون «الملوك» وقد قامت عدة ممالك في اليمن، أشهرها ثلاث : معين وسبأ وحمير.

أولاً : الدولة المعينية (1300 - 650 ق.م)

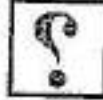
قامت في منطقة الجوف بين نجران وحضرموت، وكانت عاصمتها تسمى «قرناو» وكان تظلم
حكمها وراثياً، وقد وردت أسماء ستة وعشرين ملكاً من ملوكها في النقوش اليونانية، وأمد نفوذها إلى
شمال جزيرة العرب، وكان شعبها يشتغل بالتجارة، وقد دونوا حساباتهم باللغة الفينيقية.

ثانياً : مملكة سبأ (959 - 115 ق.م)

بدأت في الظهور عندما أخذ نجم معين في الأفول، فتمكنت من القضاء عليها وعلى
جارتها قتبان، وعما قليل امتد حكمها ليشمل منطقة اليمن وحضرموت، وقد نالت دولة سبأ
شهرة واسعة في التاريخ العربي القديم، بسبب براعتها الهندسية في بناء السدود، لتخزين
المياه واستخدامها في الزراعة، ومن أشهر سدودهم «سد مأرب»، فازدهرت الزراعة بفضل
استخدامه في الري المنتظم، فقامت حضارة راقية في اليمن، ويبدو أن ملوك سبأ المتأخرين قد
انغمسوا في حياة الترف، وأهملوا صيانة هذا السد، فتصدع وانهار، وبأنهياره انهارت
مملكة سبأ، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم بقوله : «لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن
يمين وشمال، كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور (سبأ، الآية 15)».

ومن أشهر ملوك سبأ «بلقيس»، التي وردت قصتها في التوراة وفي القرآن الكريم
وعلاقتها مع نبي الله سليمان عليه السلام، وكان انهيار سد مأرب سبباً في هجرة الكثير من
القبائل العربية إلى الجهات الشمالية والشرقية من شبه جزيرة العرب.

أسئلة تقويم ذاتي



- 1- لماذا لم يعرف العرب قبل الإسلام دولة مركزية؟
- 2- ما هي المحافظات وأذكر ثلاثة منها؟
- 3- ما اسم عاصمة الدولة المعينية؟
- 4- لماذا نالت مملكة سبأ شهرة كبيرة وواسعة؟
- 5- ما هو السبب المباشر في زوال مملكة سبأ؟

ثالثاً : دولة حمير (115 ق.م - 525م)

قامت في منطقة ريدان. واستطاع ملوكها التغلب على مملكة سبأ وضربها إليهم، وتلقب ملكهم بلقب «ملك سبأ وذو ريدان». ومن أشهر ملوكهم المدعو «شعيرير عشر» (280 - 300م)، والذي غزا أرض العراق وفارس وخراسان وافتتح مدائنهم ووصل إلى ما وراء نهر جيحون وبنى مدينة هناك عرفت بشمرقند وهي التي تعرف باسم سمرقند (سرور، قيام الدولة العربية الإسلامية في حياة محمد - صلى الله عليه وسلم - ص 28).

وفي عهد هذه الدولة اشتد التنافس بين امبراطوريتي فارس والروم الشرقية على السيطرة على الطرق التجارية البرية والبحرية التي تمر عبر بلاد اليمن. واستخدمت الدولة الرومانية السلاح الديني في بسط نفوذها، فنتشرت المسيحية في بلاد الحبشة، ومنها دخلت هذه الديانة إلى اليمن، وأصبح في نجران جالية نصرانية قوية تقوم بخدمة الأهداف السياسية والاقتصادية للدولة الرومانية، فأصبحت تجارتهم تمر عبر البحر الأحمر والخليج العربي إلى بلاد الهند من خلال الأراضي اليمنية، فأخذت الدولة الحميرية في الاعتراض على هذا التغلغل الروماني، وفي المقابل كان الفرس قد عمدوا على عرقلة انتشار النفوذ الروماني في بلاد اليمن، وتعاونوا مع الدولة الحميرية في ذلك. وفي عهد الحميريين أيضاً دخلت الديانة اليهودية بلاد اليمن، ووجدت قبولاً من بعض اليمنيين، وذلك كراهية في الأحباش المسيحيين، وكان ذونوانس آخر ملوك الحميريين قد اعتنق اليهودية، وقام بهجوم عنيف على نجران عام 522م وقبض على المسيحيين وخيرهم بين التخلي عن ديانتهم أو الموت، فأختاروا الموت، فحفر لهم الأخاديد وأحرقهم بالنار، وقد وردت قصتهم في سورة (البروج). ولما علم الامبراطور البيزنطي ما حل بأهل نجران من التتكيل كتب إلى نجاشي الحبشة يحرضه على غزو جزيرة العرب، فكون النجاشي جيشاً بقيادة أرباط ونائبه أبرهة، فتغلب أرباط على ذي نواس وأسقط الدولة الحميرية واستولى على اليمن، ثم اختلف الأحباش فيما بينهم وقتلوا قائدهم أرباط وولوا أبرهة مكانه، وتحمس أبرهة في نشر المسيحية في اليمن، وبنى كنيسة فخمة لينافس بها الكعبة التي يحج إليها العرب في مكة، ولما فشل في تحويل العرب إليها قام بغزو مكة يريد هدم الكعبة، ولكن الله سلط عليه الميثر الأبابيل فدمرهم (كما سيأتي تفصيله)، وعقب منه

الهزيمة ظهرت حركة يمنية لقاومة الأحباش في اليمن بقيادة سيف بن ذي يزن، واستعان سيف بالفرس فأمدهم بقوة استطاع بها أن يهزم الأحباش، وأن يخرجهم من اليمن بشكل نهائي، واستمر الوجود الفارسي في اليمن حتى ظهور الإسلام (الخصري، تاريخ الأمم الإسلامية، ص 28).

تدريب (3)



ضع دائرة حول حرف الإجابة الصحيحة:

1/ الأقاليم في مجموعة:

(أ) الجنود (ب) المحافظ (ج) الطيور

2/ كان نظام الحكم في دولة معين:

(أ) وراثياً (ب) انتخابياً (ج) الاثنان معاً

3/ من أشهر سدود مملكة سبأ سد:

(أ) مردوخ (ب) حمزان (ج) مأرب

4/ انتهت مملكة سبأ على يد:

(أ) مملكة معين (ب) مملكة حمير (ج) مملكة الحيرة

5/ الملك الحميري الذي أحرق المسيحيين في الأخاديد هو:

(أ) أبو نوانس (ب) ذو نوانس (ج) أخو نوانس

شكل (3)

ممالك اليمن قبل الإسلام

معين	سبأ	حمير
------	-----	------

2.2 مملكة الحيرة

تكونت هذه الإمارة العربية في شمال شرقي شبه الجزيرة العربية، من الهجرات العربية القادمة من بلاد اليمن بعد انهيار سد مأرب، وقد نشأت هذه الدولة في كنف الدولة الفارسية، وذلك حينما عجزت الدولة الفارسية من طرد العرب من تخوم دولتها، فزات أن من حسن السياسة توخيتهم والانتفاع بهم، فأسست إمارة الحيرة عام 240م لتقوم بمهمتين أساسيتين: الأولى: حراسة الحدود الفارسية من عدوان القبائل العربية التي كانت دائمة الإغارة على تخوم فارس ونهبها فأراد الفرس أن يحموا أنفسهم من العرب بالعرب.

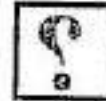
أما المهمة الثانية: فهي حماية الدولة الفارسية من عدوان الدولة الرومانية، فقد كان العداء مستحكماً بين القوتين العظميين آنذاك فارس والروم، ولذلك كان من مصلحة الدولة الفارسية إيجاد جسم غريب تحمي به حدودها من هجمات الروم (عبد الشافي، دراسات في السيرة النبوية، ص 22).

فقامت مملكة الحيرة بالدور المرسوم لها، وخاضت حروباً عدة ضد أبناء جنسها من عرب الغساسنة بالشام، والذين كانوا يقومون بدور مماثل لمصلحة الروم، وقد أوردت لنا مصادر التاريخ أخبار تلك الحروب، كما خاضت إمارة الحيرة حروباً ضد الدولة الرومانية نفسها، مثلما حدث في عهد أميرها المنذر الثالث بن امرئ القيس، الملقب بابن ماء السماء (505 - 554م) والذي لبي نداء كسرى وأوقع الهزيمة بالروم، فاضطر الإمبراطور جستنيان إلى عقد الصلح معه عام 522م، وكان من شروطه أن يدفع الروم مبلغاً من المال لملك الفرس والمنذر (سرور، قيام الدولة العربية الإسلامية في حياة محمد (صلى الله عليه وسلم) ص 22). ولكن الأمور لم تستمر وفق ذلك المخطط، فقد دب الخلاف بين ملوك الحيرة والأكاسرة، وكان سبب ذلك هو طلب كسرى أبرويز بن هرمز من النعمان بن المنذر أن يزوجه ابنته، فاستاء النعمان من هذا الطلب ورفضه، فأرسل كسرى في طلب النعمان لمعاقبته، فحمل النعمان سلاحه وماله وأهله وأخذ يطوف بقبائل العرب يطلب الاستجارة ومن يودعه سلاحه، فرغضت القبائل خشية من يطلش الفرس، حتى نزل على بني شيبان بذي قار، فأجاره زعيمها (هاني بن مسعود الشيباني)، ثم أودعه النعمان سلاحه وماله وأهله وتوجه إلى كسرى، فلما

وصله قيده وسجنه، وظل في سجنه حتى مات سنة 613م، وولى بدلاً عنه علي الحيرة (إياس بن قبيصة الطائي)، وجعل إلى جانبه حاكماً فارسياً، وطلب كسرى من إياس بن قبيصة أن يرسل إليه ما خلقه النعمان من الأسلحة والمال، فطلبها إياس من هاني بن مسعود الشيباني، فرفض هاني أن يسلمه، فبعث إياس إلى كسرى يخبره برفض هاني بن مسعود الشيباني، فغضب كسرى وأرسل إلى بني شيبان أن يختاروا أحد أمرين: تسليم ما تركه النعمان أو الحرب، فاختاروا الحرب على خيانة العهد، فاندلعت الحرب فحلت الهزيمة بالفرس، وتعرف هذه الواقعة بيوم ذي قار (ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 1، ص 171)

فعمت الفرحة بلاد العرب، وقرح بهذا النصر النبي صلى الله عليه وسلم عندما بلغه الخبر، واعتبره بداية عهد جديد، ثم تولى المنذر بن النعمان إمارة الحيرة عام 628م، واسترد ملكيائه، واستمر والياً عليها حتى فتحها خالد بن الوليد في ظل راية الإسلام.

أسئلة تقويم ذاتي



- 1- على يد من سقطت الدولة الحميرية؟
- 2- لماذا بنى أبرهة كنيسة ضخمة؟
- 3- من هو القائد اليماني الذي قاوم الأحباش؟
- 4- ما هو السبب المباشر في ظهور وتكون مملكة الحيرة؟
- 5- لماذا تبنت الدولة الفارسية مملكة الحيرة وأهمتها بها؟

3.2 مملكة الغساسنة

هاجرت قبائل الأزد من اليمن عقب انهيار سد مأرب، واستقرت بالشام بالقرب من ماء يسمى «غسان»، فعرقوا بالغساسنة، كما هاجر إليهم الضماعة من قضاة ونزلوا بالبلقاء، وكانت الدولة الرومانية توجه اهتمامها لحراسة حدودها الشرقية، فعهدوا إلى هذه الدولة الناشئة بحراسة تلك الحدود، وأقاموا لهم سلسلة من الحصون والقلاع تأميناً للشام من

غارات الفرس، وتحالف الطرفان بأن يعد الروم الفساسنة بأربعين ألف رجل إذا هاجمهم العرب، ويعد الفساسنة الروم بعشرين ألفاً إذا حاربهم الفرس (المسعودي الذهب، ج 1 ص 208). واتخذوا من دمشق عاصمة لهم، واعتنقوا النصرانية على المذهب النوفستي السائد في الشام آنذاك، وقد حكم عدد من الأمراء الفساسنة، كان أعظمهم (الحارث بن جبلة) (529 - 569م) الذي بسط سلطته على كل القبائل العربية ببلاد الشام، وقضى معظم سني حكمه يقاتل في سبيل الدولة البيزنطية، ووقعت عدة حروب بينه وبين المنادرة، قتل على أثرها المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة، فأعجب الإمبراطور بالحارث بن جبلة، ودعاه لزيارة القسطنطينية عام 563م، فذهب ودهش لما شاهده من مظاهر العظمة والأبهة، ثم عاد مسرعاً إلى باديته، وحينما توفي الحارث خلفه ابنه المنذر الذي دخل في حروب مع قابوس بن المنذر ملك الحيرة وهزمه، وعلى الرغم من إخلاص المنذر للإمبراطورية البيزنطية، إلا أنه اتهم بالخيانة وعدم الولاء للروم، فقبض عليه ونفي إلى جزيرة صقلية حيث توفي هناك عام 582م، وساءت العلاقة بين أبنائه الأربعة والدولة البيزنطية، فسادت الفوضى بلاد الشام، وظهر آخر أمراء الفساسنة الأقوياء، وهو المعروف بجبلة بن الأيهم، والذي اشترك مع الروم في واقعة اليرموك، والتي كان النصر فيها حليفاً للمسلمين (الخضري تاريخ الأمم الإسلامية، ج 1، ص 34).

تدريب (4)

اكتب عن الآتي بإيجاز: 1/ المهام التي قامت بها مملكة الحيرة لصالح دولة الفرس. 2/ المهام التي قامت بها مملكة الفساسنة لصالح دولة الروم.	
--	--

4.2 الوضع السياسي في الحجاز

عزيزي الدارس، هل فكرت يوماً أن منطقة الحجاز قبل الإسلام شهدت أي نظاماً سياسياً؟ وللإجابة على هذا السؤال لا بد من قراءة السطور التالية:

وحتى نستكمل الصورة السياسية لشبه جزيرة العرب قبل الإسلام، لا بد من الحديث عن وضع الحجاز السياسي، والذي يختلف عن الوضع السياسي في اليمن والعراق والشام،

ذلك أن طبيعة أرض الحجاز المقفرة والخالية من الأنهار - والأمطار المنتظمة فرضت على أهل حياة البداوة والترحال والتجوال، فلم تقم فيه دولة أو حكومة مركزية تبسط سلطانها وحمايتها على السكان. وعلى اتساع رقعة لم يكن فيه سوى عدد قليل جداً من القوى الكبيرة مثل مكة ويثرب والطائف، ولهذا كان إقليم الحجاز أقل الأقاليم العربية شهرة قبل ظهور الإسلام، والسبب في ذلك يرجع إلى الحياة البدوية فيه من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن طبيعة الحياة القاسية في الحجاز لم تلفت إليه نظر الدول التي مدت نفوذها وسلطانها على غيره من الأقاليم العربية ذات الشأن والأهمية الاقتصادية مثل اليمن.

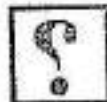
وكانت حياة القبائل العربية في الحجاز تقوم على الحرية المطلقة، فإذا كانت الدول المنظمة تحد من حرية مواطنيها لأنها توفر لهم الحماية والأمن في مقابل ذلك، فإن القبائل العربية كانت تقوم بحماية نفسها، وهي تبعاً لذلك ليست مضطرة للتنازل عن حريتها لأحد، فالقبيلة تعتبر وحدة سياسية مستقلة، وشيخ القبيلة هو الذي يتولى رئاسة هذه الوحدة السياسية، وينبغي أن يكون مؤهلاً لهذا المنصب وفق مواصفات خاصة، مثل أن يكون كبير السن، وقوراً، جواداً، كثير المال والأولاد، صاحب مروءة وشرف ونجدة، حكيماً في تصرفاته، ويمارس هذا الشيخ سلطته على جميع أفراد القبيلة، ويعتد فيها على العرف والتضامن والعصبية، فأفراد القبيلة جميعاً متضامنون في السراء والضراء، وقانونهم التقليدي: أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً. (أبو سعدة، دراسات في السيرة ص 26).

وكانت العلاقات بين القبائل تتراوح بين العداء والصداقة تبعاً للظروف، ولكن الطابع العام كان ينزع نحو العداء لطبيعة الحياة نفسها وقسوتها، وما كانت تقرضه من صراع حول مصادر المياه والكلا، وكانت الحرب تنشب لأبسط الأسباب، ويسقط دونها العشرات من القتلى، وكتب الأدب العربي ومصادر التاريخ العربي مليئة بالأخبار عن أيام العرب، وهي أيام كانت تشهد حروباً طويلة ومريرة بين القبائل العربية، كيوم ناحس والغبراء، وعبس ونبيان وحرب البسوس، ويوم حليمة....

ولكن إقليم الحجاز الذي كان مغموراً قبل ظهور الإسلام، قدّر له أن ينتقل إلى دور

الزعامة والشهرة على مستوى العالم كله بفضل الإسلام، وأصبحت مدنه خاصة مكة قبلة مقدسة لكل العالمين .

أسئلة تقويم ذاتي



- 1- من هو أمير الحيرة الذي هزم الروم؟
- 2- ما هو سبب الخلاف بين ملوك وأمراء الحيرة وملوك الفرس؟
- 3- عند من أودع النعمان بن المنذر أهله وسلاحه عندما أراد الذهاب إلى كسرى ملك الفرس؟
- 4- لماذا نفى الروم المنذر بن الحارث إلى جزيرة صقلية؟
- 5- لماذا كانت الحجاز أقل الأقاليم العربية شهرة قبل الإسلام؟
- 6- ما هي الوحدة السياسية التي كانت مساندة في منطقة الحجاز؟
- 7- فيم كان يتركز الصراع بين العرب في الجزيرة العربية؟

أولاً : مكة ومكانتها التاريخية

تعد مكة من أهم حواضر الحجاز، وهي عبارة عن قرية في واد ضيق غير ذي زرع، تحيط به الجبال من كل الجهات، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم باسم، «بكة» في قوله تعالى: «إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً». وقيل مكة بالميم، معناه الحرم كله، وبكة المسجد خاصة (ياقوت، معجم البلدان، ج 8 ص 134) ويقال : إن أول من سكن مكة هم العماليق، ثم خلفتهم قبيلة جرهم اليمنية، وفي عهدا قدم إلى مكة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع زوجته هاجر وابنه إسماعيل، امتثالاً لأمر الله تعالى الذي أمره أن يسكن أهله وابنه في هذا الوادي الذي لا زرع فيه، وتقول القصة :

إن إبراهيم ذهب بابنه إسماعيل ومعه هاجر إلى هذا المكان، وأنزلهما فيه، وترك لهما جراباً فيه بعض الطعام، وقرية فيها ماء، وتركهما وبينما هو يهيم بالعودة إلى فلسطين قالت له

هاجر : إلى أين ذاهب أيها الشيخ وتاركنا في هذا الوادي؟ فلم يرد عليها، فسألته، الله أمرك بهذا؟ قال : نعم، قالت : إذن لن يضيعنا، ثم عاد، ولما نفذ الماء الذي كان معها، وعطش ابنها، أخذت تبحث عن الماء في هذا المكان الذي لاماء فيه، وأنزعجت لعدم وجود الماء، واستبد بها القلق إشفاقاً على طفلها الذي اشتد عليه العطش، وأخذت تهرول بين صخرتي الصفا والمروة، حتى اكملت سبعة أشواط من السعي، وحينها ظهر لها ملك في صورة طائر، فنقر الأرض بأحد جناحيه فانبعث الماء، وتذهب رواية أخرى إلى أن إسماعيل عليه السلام كان من شدة العطش يبكي ويضرب الأرض برجله فانبعث الماء من تحت قدميه، وكيفما كان الأمر فقد تفجر الماء، ففرحت هاجر، وكانت تحاول أن توقف الماء بيديها وتقله له : زم، فسسى الماء بزمزم، وبمجرد ظهور الماء في هذا المكان القفر، كان بشير خير وبركة، فسرعان ما تطايرت أخباره، فهرعت القبائل التي كانت تقطن الأماكن المجاورة، فاستبشرت وجاءت إلى هاجر تطلب منها السماح لها بالانتفاع بهذا الماء، فرحبت بهم، لأن وجودهم معها هي وابنها يوفر لها الحماية والمؤانسة، وكانت هذه القبائل هي قبائل جرهم الذين عاش بينهم إسماعيل وأمه حتى كبر وتزوج منهم، وأنجب أولاده أجداد العرب المستعربة.

وبدأ العمران يتسع حول زمزم، وفي إحدى زيارات إبراهيم عليه السلام لابنه إسماعيل أمره الله تعالى ببناء الكعبة المشرفة، بمساعدة ابنه إسماعيل، وذلك طبقاً لما يرويه القرآن الكريم في قوله تعالى :

«وإذ يرفح إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم» (البقرة، الآيتان 127، 128) وبهذا أقام إبراهيم وابنه إسماعيل الكعبة المشرفة بالقرب من ماء زمزم، ثم أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام بأن يؤذن في الناس بالحج إلى الكعبة، قال تعالى :

«وَأذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ، فَكَلُوا مِنْهَا

وأطلعوا البائس الفقير، ثم ليقتضوا ثقتهم وليؤفرو نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق (الحج الآيات 27، 28، 29).

فأذن إبراهيم بالحج، فسمع الناس في الوديان والتجرد هذا النداء، وجاءوا ملبين، ومنذ هذا التاريخ أصبحت الكعبة مقدسة لكل العرب، يحج إليها الناس من كل أنحاء شبه الجزيرة العربية، وارتبط العرب بالكعبة ارتباطاً وثيقاً، واحتراماً وتقديساً لها حرموا القتال في أشهر الحج، وهي ذي القعدة وذو الحجة والمحرم، وحرموا الحرب أيضاً في رجب، لأنهم كانوا يكتفون من العمرة فيه، وعندما جاء الإسلام أحترم هذا التقليد العربي - وكان من الطبيعي أن تنمو مدينة مكة وتتطور ويشتهر أمرها، نتيجة لحفر بئر زمزم وبناء الكعبة المشرفة، فاكتملت قداسة واحتراماً، وكثر حجاجها وزوارها، فأخذ سكانها يهتمون بأمرها بتوفير الحماية والرعاية والأمن للحجاج الذين يتوافدون إليها من كل فج عميق، وأصبح لبني إسماعيل السيادة على البيت الحرام وخدمة حجاجه.

أسئلة تقويم ذاتي



- 1- ماهي أشهر الحروب التي قامت بين قبائل العرب؟
- 2- من هم سكان مكة عندما قدم إليها سيدنا إبراهيم؟
- 3- اذكر الروايات حول كيفية خروج ماء زمزم من باطن الأرض.
- 4- لماذا تسابقت القبائل في القدوم إلى هاجر؟
- 5- إلى أي الأماكن اتجه إبراهيم عليه السلام عندما ترك هاجر وابنه؟
- 6- ماهو الدليل من القرآن الكريم على بناء إبراهيم للكعبة المشرفة؟

ثانياً : زعامة مكة والكعبة

(أ) ولاية إسماعيل وأبنائه وآل جرهم

ويذكر المؤرخون أن إسماعيل عليه السلام قام في حياته بتقسيم هذه الخدمات بينه وبين أصهاره، فاضطلع هو وأبناؤه بأمور الدين وخدمة البيت العتيق، وترك لأصهاره أمور السياسة والحرب واستمر إسماعيل في ولاية أمر البيت حتى توفي وله 127 سنة (الطبري، ج 1، ص 314) ثم تولى أبناؤه من بعده، واستمروا على ذلك حتى أخذها منهم جدهم (مضاض بن عمرو الجرهمي)، وبذلك انتقلت زعامة مكة :الكعبة إلى جرهم، غير أن ولاية جرهم لم يراعوا حرمة هذا البيت، فكثرت في أيامهم البغي والفساد، واغتصب بعضهم ملك الكعبة، الذي كان يهدى إليها، ويقال إن ماء زمزم نضب في عهدهم. (سرور، قيام الدولة العربية الإسلامية في حياة محمد (صلى الله عليه وسلم) ص 41).

وكان العدنانيون قد كثروا عددهم بالحجاز، وكانوا يتبرمون مما آل إليه أمر الكعبة على أيدي جرهم، وبينما كانت الأحداث تسير إلى التدهور في مكة، شهدت المنطقة هجرة عربية من اليمن عقب انهيار سد مأرب، بقيادة زعيمهم حارثة بن عمرو المعروف بخزاعة، ونزلت بمر الظهران، فرفضت جرهم السماح لهم بالإقامة في مكة، وحينما رأيت خزاعة تغور العدنانيين بعامه، وبني إسماعيل بخاصة من جرهم، استغلت ذلك الخلاف، فانهازت بطون من عدنان إلى خزاعة ضد جرهم، ونشبت الحرب في قتال دام ثلاثة أيام، انتهى بهزيمة جرهم وإجلائها من مكة إلى اليمن، فحزنوا على مفارقة مكة حزناً شديداً حتى قال شاعرهم :

كان لم يكن بين الحجون إلى الصفا *** أنيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا *** صروف الليالي والجدود العوائر

(ب) ولاية خزاعة

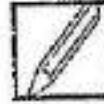
ثم سيطرت خزاعة على مكة والكعبة المشرفة، وقد اشتهر من زعماء خزاعة (عمرو بن لحي الخزاعي) وعلت مكانته بين العرب، حتى أصبح قوله أمراً لا يخالف، وقيل أنه أول من أطعم الحجاج بمكة لحوم الإبل على الثريد، وينسب إليه أيضاً أنه أول من نصب الأصنام حول الكعبة، وقد أحضرها من الشام وأمر الناس أن يقدسوها ويطلوفوا حولها، وبذلك أحل عبادة

الأوثان محل الحنيفة دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، (الأزرقى، أخبار مكة وما جاء فيها من آثار، ص 54). وظلت خزاعة تلي أمر البيت الحرام لمدة ثلاثمائة عام دون بني بكر، وخلال هذه المدة انتشر العدنانيون في نجد وأطراف العراق، وبقيت بأطراف مكة بطون من قريش، وبيوتات متفرقة في قومهم من بني كنانة، وليس لهم من أمر مكة ولا البيت الحرام شيء حتى جاء قصي بن كلاب.

تدريب (5)

اكتب التاريخ الصحيح لما يأتي:

- 1/ توقيع الصلح بين المنذر الثالث والإمبراطور جستنيان.
- 2/ وفاة النعمان بن المنذر.
- 3/ ولاية المنذر بن النعمان ولاية الحيرة.
- 4/ فترة حكم ملك الفساسنة الحارث بن جبلة.
- 5/ وفاة المنذر بن الحارث بن جبلة.



(ج) ولاية قصي بن كلاب

ويذكر المؤرخون عن قصي وهو الجد الرابع للنبي صلى الله عليه وسلم، أن أباه كلاب توفي وتركه صغيراً مع أمه فاطمة بنت عمرو، والتي تزوجت ربيعة بن حرام وهو من قضاة، وعندما أراد ربيعة العودة إلى بلاد الشام، أخذ معه زوجته وابنها الصغير قصي، فتنشأ قصي في أرض قضاة، فلما بلغ أشده تحدث إليه رجل من قضاة بقوله: «ألا تتحق بنسبك وقومك فإنك لست مناه فاستأه قصي من هذا الرجل، وأخبر أمه بذلك الحديث، فقالت له: «والله أنت يا بني خير منه وأكرم، أنت ابن كلاب بن مرة، وقومك عند البيت الحرام وما حوله فصنع قصي على الخروج إلى قومه والنحاق بهم، وكره الغربة في أرض قضاة، وما لبث أن سار إلى مكة وأقام بها، وتزوج ابنة زعيم خزاعة، ويدعى حليل بن حبشية بن سلول، وكان إذ ذاك يلي أمر مكة والكعبة، وظل قصي مقيماً معه حتى أنجب أولاده: عبدالدار وعبد مناف وعبد

العزى

ولم يكن لحليل هذا أولاد ذكور، فإذا أصابه المرض كان يعطي مفتاح الكعبة لابنته «حُبى» زوجة قصي لتقوم بشئونها بدلاً عنه، وكانت بدورها تعطي المفتاح لزوجها حين يتعذر عليها الخروج من بيتها، ولما شعر زعيم خزاعة بدنو أجله، دعا قصياً وعهد إليه بولاية البيت الحرام وسلمه مفتاح الكعبة لما رأى في قصي من العقل والحكمة والمروءة والنجدة... وغيرها من صفات الزعامة، مالم يجده في غيره، وتقول رواية أخرى: «أن حليلاً أعطى ابنته حُبى ولاية البيت، واتخذ رجلاً يدعى أبو غبشان وكيلاً لها، فقام أبو غبشان بسدانه البيت نياحة عن حُبى، فلما مات حليل اشترى منه قصي ولاية البيت ولكن خزاعة رفضت تولي قصي زعامة البيت الحرام، وأخذت مفتاح الكعبة من زوجته، فذهض قصي وبعث إلى قريش يطلب منها مؤازرته ضد خزاعة، فلبت قريش دعوته وخرجوا للقتال، كما سارع القضاة إلى نجاته حين طلب منهم ذلك، وأخبرهم بما قامت به خزاعة من الحيلولة بينه وبين ولاية البيت الحرام، وتداعى القوم إلى منى، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً حتى كثر القتلى بين الفريقين، ثم تداعوا إلى الصلح، فحكموا رجلاً يدعى يعمر بن عوف، من بني بكر، فقاضى بأن قصياً أولى بالكعبة وبأمر مكة من خزاعة، وكل دم أصابه قصي منهم موضوع، يشدخه تحت قدميه، وما أصابت خزاعة وبنو بكر ففيه الدية، وأن يخلى بين قصي وبين الكعبة، فسمي يعمر يومئذ «بالشداخ» (ابن هشام، السيرة النبوية، ج 1 ص 123).

واستولى قصي على أمر مكة والبيت وكان ذلك في حوالي عام ٤٠ م، وبذلك صارت لقصي، ثم لقريش السيادة التامة والأمر النافذ في مكة حتى ظهور الإسلام. ثم أخذ قصي يرتب الأوضاع في مكة بشكل جديد أكثر تنظيماً وتحديداً، فبدأ بتأسيس دار الندوة، وهي أشبه ببرلمان صغير يجتمع فيه كبار القبيلة وأعيانها بزعامة قصي، للتشاور في شئون الكعبة وشئونهم العامة، فكان لقصي من مظاهر الرياسة والتشريف الآتي:

1- رئاسة دار الندوة، ففيها يتشاورون فيما نزل بهم من حكام الأمور، ويزوجون فيها بناتهم.

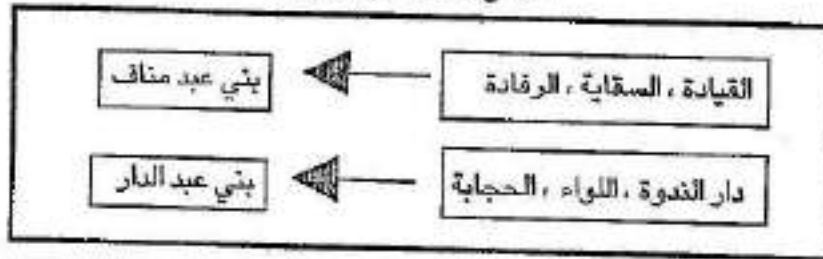
- 2- اللواء : فكانت لا تعقد راية الحرب إلا بيده.
 - 3- القيادة : وهي إمارة الركب، فكان لا يخرج ركب لأهل مكة في تجارة أو غيرها إلا تحت إمارته أو إمارة أولاده .
 - 4- الحجابة : وهي سدانة الكعبة وخدمتها، وتولي مفاتيحها .
 - 5- سقاية الحاج : وهي أنهم كانوا يملأون للحجاج حياضاً من الماء، يحلون بها بشيء من التمر والزبيب، فيشرب الناس منها إذا وردوا مكة .
 - 6- الرقادة : وهي طعام كان يصنع على طريقة الضيافة، وكان قصي قد فرض خرجاً على قريش فخرجه كل سنة من أموالها ليستعين بها في صنع هذا الطعام الذي يكل منه الضعيف ومن لا زاد له (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 1، ص 211) .
- (د) توزيع الولاية على قريش

تولى قصي جميع هذه الوظائف والمهام في حياته، وبعد وفاته انتقلت إلى ابنه الأكبر عبدالدار بن قصي، وعلى الرغم من أن عبد مناف أخاه الأصغر كان أعظم شأنًا وأعلى ذكراً في نظر القبيلة من عبدالدار، إلا أنه لم ينافر أخاه فيما عهد إليه به أبوه، احتراماً لرغبة والده، السيد المطاع في قريش، فكان لا يخالف له أمر ولا يرد عليه شيء صنعه، ولكن عندما توفي عبد مناف فافس أبناؤه بني عمهم عبدالدار في هذه المناصب، وكان لعبد مناف أربعة أولاد هم : هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل، فرأى هؤلاء أنفسهم أحق بها لشرفهم وسيادتهم وكثرة عددهم، وبذلك ابتدأ النزاع بين بني الحزم، واقتربت قريش فرقتين، وكاد القتال أن يقع بينهم لولا أنهم حكموا عقولهم وتذاعوا إلى الصلح، واقتسموا هذه المناصب، فصارت القيادة والسقاية والرقادة لبني عبد مناف، وبقيت دار الذبوة واللواء والحجابة لبني عبدالدار، ثم اقترح بنو عبد مناف على مناصبهم، فصارت السقاية والرقادة لهاشم، والقيادة لعبد شمس، وكانت لقريش مناصب أخرى أقل شأنًا من هذه وزعت لبقية القبائل من قريش، حتى لا يكون هناك مجالاً للنزاع، وهنا التوازن في المهام هو الذي حفظ قريشاً مما أصاب سائر العرب من التنازع والقتال، ولكن قريشاً لم تسلم من المنافسة على الشرف والرئاسة مثلما حدث بين

هاشم بن عبد مناف وابن أخيه أمية بن عبد شمس، فقد كان هاشم سيداً مطاعاً بما كان يقوم به من أعمال كبرى في قومه، وكان أمية ثرياً بماله وولده، ولهذا كان يناقش عنه في الشرف وقيادة قريش، فتوقع الجفاء بين البيتين وعقبهما حتى جاء الإسلام، ولكن لم يصل هذا النزاع يوماً إلى حد إشعال الحرب، لأن البيت القرشي كان يحاذر على احترام البيت من سيلان دم فيه، لأن ذلك لو وقع لانهط ذلك المركز الذي كسبوه من العرب، لأن مكة معروفة بين القبائل بأنها حرم آمن يهرع إليه الناس وتقام فيه الأسواق، وتأتيها القبائل من كل الآفاق وهم آمنون على أموالهم وأنفسهم، فإذا أخلت قريش بهذا العهد الوثيق، سيقبل احترامها، وتسقط هيبتها، وبالتالي يجترئ على هذا المقام غيرهم، وعليه يزول عنهم نفع كان ينالهم (الخضري، تاريخ الأمم الإسلامية، ج 1، ص 27).

شكل (4)

توزيع الولاية على قريش

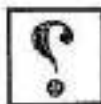


وبذلك تمتعت قريش بمركز رفيع بين العرب، فامتدت متاجرتها، فكان تجارها يخرجون من مكة بتجاريتهم في قوافل تجارية عظيمة، فيروي الطبري أن قافلة من هذه القوافل بلغت ألف وخمسمائة بعير، وكانوا يذهبون بتجاريتهم في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام، وقد تميزت رحلاتهم التجارية بالأمن، لأنهم أهل الحرم وولاة بيته فلا يتعرض لهم أحد بسوء، على حين كان غيرهم من العرب مهدداً بالإغارة عليهم. فتغيرت حالتهم الاقتصادية، وجنوا من تجارتهم أرباحاً طائلة، وذلك هو ما حكاه القرآن، في قول الله تعالى، «لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي

أطعمهم من جوع وأمنهم من خوف (قريش، الآية 1-4) وقال تعالى : «أو لم نمكن لهم حرماً آمناً
يجبى إليه تمرات كل شيء، رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون (القصص، الآية 57) .

أسئلة تقويم ذاتي

- 1- إلى من انتقلت زعامة مكة وخدمة الكعبة بعد أبناء إسماعيل عليه السلام؟
- 2- في عهد من يقال أن ما رمزم قد نصب؟
- 3- كيف غادرت قبيلة جرهم مكة؟
- 4- من هو أول من نصب الأصنام حول الكعبة؟
- 5- أين نشأ قصي بن كلاب جد النبي عليه الصلاة والسلام؟
- 6- ممن تزوج قصي بن كلاب في مكة؟
- 7- كيف آلت مفاتيح الكعبة إلى قصي بن كلاب؟
- 8- لماذا كانت يهود قريش لا تميل للقتال فيما بينها؟



كما تميزت قريش بحلف الفضول، وكان مداره على أن ترد كل مظلمة بمكة إلى صاحبها، لا فرق في ذلك بين قرشي وغيره؛ وقد دخل في هذا الحلف بنو هاشم والمطلب، وبنو أسد بن عبد العزى، وزهرة بن كلاب، وتيم بن مرة، وشهده محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم (ابن هشام، السيرة النبوية، ج 1، ص 144) وهي روح تنافي الحمية الجاهلية التي كانت تثيرها العصبية .

ظل هاشم يقولى أمر السقاية والرفادة حتى وفاته، ثم خلفه في توليتها أخوة المطلب بن عبد مناف، وبعده تولوها عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف جد الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم سارت في أبنائه حتى جاء الإسلام والولاية عند العباس بن عبد المطلب، وفي عهد عبد المطلب وزعامته لمكة حدث الغزو الحبشي لمكة بقيادة أبرهة الأشرم، فيما سمي بحادثة الفيل، وقد أشرنا من قبل أن الأحباش حينما بسطوا سلطانهم على اليمن أرادوا أن ييسطوا سلطانهم على

الحجاز ليحرموا مكة من الزعامة والسيادة، فقام أبرهة ببناء كنيسة كبرى في صنعاء، وبذل الأموال الطائلة في تزيينها لتكون بديلاً للعبة، وحينما سمع العرب بذلك غضبوا لهذا الحدث غضباً شديداً، فقام رجل من بني مالك بن كنانة بزيارة لصنعاء وتظاهر بأنه يريد زيارة كنيسة، وتعظيمها، فرحبوا به وأدخلوه فيها، فلما جن عليه الليل قام بالتغوط فيها وصلاً جدرانها بالغازورات، ثم هرب، وفي الصباح اكتشف الأمر، وأوصل الخبر إلى أبرهة، وحينما علم بأن الذي قام بهذا العمل رجل عربي من مكة، أقسم ليفزق اللعبة ويندمها، فأعد جيشاً كبيراً وجعل في مقدمته فيلاً ضخماً، وعندما وصل إلى مشارف مكة، استولى على إبل لعبد المطلب بن هاشم كانت ترعى هناك، ولما علم عبد المطلب بذلك ذهب إلى أبرهة ليكلّمه في أمر إبله التي استولى عليها، فقابلته أبرهة فقال له: إني لم آت لحربكم، بل جئت لأهدم اللعبة فإذا تعرضتم لي فسوف أماربكم، فقال له عبد المطلب: إنني لم آت لأكلّمك في شأن الحرب وهدم اللعبة، وإنما جئت لأكلّمك في شأن إبلتي التي استوليت عليها بأن تردها لي، فقال له أبرهة: لقد هبتك حين رأيته، ثم زهدت فيك حين كلمتني، أتكلمني في أمر الإبل وتترك أمر البيت الذي هو دينك ودين آبائك، فرد عليه عبد المطلب بقوله: أما الإبل فهي لي، وأما البيت فله رب يحميه.

وبالفعل أخذ عبد المطلب إبله وعاد إلى مكة. ولكن أبرهة لم يستطع تحقيق هدفه، فقد تكفل الله بحماية بيته، وأرسل عليهم طيراً أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول.

تدريب (6)

ضع أمام كل متصّب من تولود من قریش بعد التصلح عقب الصراع الذي دار بين بني عبد مناف وبني عبد الدار.	
1/ السقاية	
2/ الرهابة	
3/ القيادة	
4/ دار الندوة	
5/ اللواء	
6/ الحجابة	

فازدادت الكعبة تعظيماً في نفوس العرب، وأصبح هذا الحدث معلماً تاريخياً بارزاً للعرب يورخون به أحداثهم الكبرى، وكان من أعظم تلك الأحداث مولد الرسول صلى الله عليه وسلم.

كل هذه الأحداث وهذه الطفرة الإنمائية التي شهدتها منطقة الحجاز، وارتفع من خلالها شأن مكة والكعبة المشرفة بصفة خاصة، كل ذلك دليل على أن المنطقة أصبحت وكأنها معدة لتحول كبير إيماناً بمولد فجر جديد وهو الإسلام.

3. الأحوال الاجتماعية والدينية

1.3 الحالة الاجتماعية

عزيزي الدارس، هل تعتقد أن الحالة الاجتماعية للعرب قبل الإسلام تشابه الحياة الاجتماعية في مناطق أخرى؟ والآن هيا معنا في السطور القادمة نجيب على هذا السؤال:

كانت الحالة الاجتماعية للعرب قبل الإسلام تختلف من منطقة لأخرى، ففي الحواضر مثلاً نجد المجتمعات مستقرة وفيها نظام سياسي ينظم حياة المجتمع ويسود فيها النظام الطبقي، فهناك طبقة الملوك والأمراء، وهم في الذروة من المجتمع، ويعيشون حياة النعيم والترف، ويستغلون سلطاتهم في سبيل المحافظة على تلك الحياة، ويمكنهم التضحية بكل شيء في سبيل إبقاء هذا النظام، وهناك طبقة التجار والأثرياء، وهؤلاء على صلة بالحكام، ويعيشون حياة مرفهة، أما الطبقة الثالثة، فهم طبقة الفقراء والكادحين، وهم السواد الأعظم من الناس، ويعيشون في المرتبة الدنيا من السلم الاجتماعي.

أما مجتمع البادية فيتألف من طبقتين فقط، هما: طبقة السادة، وفي الواقع يمكن اعتبار العرب كلهم سادة سواء أكانوا أغنياء أو فقراء، وهؤلاء يعيشون حرية مطلقة لا تقيد بها قيود ولا تحكمها قوانين أو شرائع، ويمتثلون الغالبية العظمى من العرب، أما الطبقة الثانية فهم طبقة العبيد والخدم، حيث كان الرق جزءاً أساسياً في حياة العرب (عبد الشافي، دراسات في السيرة النبوية، ص 27)، وكان الأغنياء من العرب يملكون أعداداً كبيرة من العبيد والخدم.

ويسخرونهم في جميع الأعمال، ومؤلاء ظلوا مظلومين على أمرهم حتى جاء الإسلام وحررهم.

هذا للجمع كانت تسوده الأمية والجهالة والبداوة، ولهذا شاعت فيهم عادات وتقاليد جعلها قبيح ومرذول حاربة الإسلام، وبعضها محمود باركة الإسلام وأقره.

فمن نعيم عاداتهم، العصبية القبلية، وقد كانوا يحيون للعصبية ويموتون لها، وكان أساس النظام الاجتماعي هو العصبية الجنسية والرحم، وكان شعارهم في ذلك: «انصروا أخاك ظالماً أو مظلوماً» وذلك على المعنى الحقيقي من غير التعديل الذي جاء به الإسلام، لأن الإسلام قسر نصر الظالم بكفه عن ظلمه، أما هم فكانوا ينصرون إخوانهم وبني عمهم في صوابهم وخطلهم وعدلهم وظلمهم، والذي يتأخر عن ذلك تتناوله السنة الشعراء بالنم. هذا وعلى الرغم من عصبية القبيلة لبعضها، إلا أن التنافس على الشرف وسيادة القبيلة قد يقضي إلى الحرب بين أبناء الأب الواحد، كما حدث بين الأوس والخزرج، وبين عيس وذبيان، وبين بكر وتغلب، وبين عبد شمس وهاشم... وغيرها، ومن عاداتهم الذميمة التي سادت في بعض الطبقات تعدد أنواع النكاح، مما أدى إلى شيوع الفاحشة، وانحطاط الأخلاق، وقد ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت:

«إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء: فكان مذهب نكاح الناس اليوم.. ونكاح الاستبضاع وهو أن يرسل الرجل امرأته بعد أن تطهر من الطمث إلى رجل مشهور بصفات محمودة خاصة في الجسم والعقل، لتحمل منه، ثم ينسب الولد إلى الزوج، وهناك نكاح الرهط، وهو أن يجتمع الرهط دون العشرة، فيصيب كل منهم امرأة غيره، فعندما تضع حملها ترسل إليهم فيجتمعون عندها، فتلحق المولود بمن قرید منهم، ونكاح رابع وهو أن يجتمع الناس الكثير على المرأة التي تنصب الراية في بيتها، ومن البغايا، فإذا حملت ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة، ثم ألحقوا ولدها بالذي يروونه أكثر شبهاً به، وقد أبطل الإسلام كل هذه الأنكحة ما عدا نكاح الناس اليوم (صحيح البخاري، 238/15) ولم يكن يحس بعضهم بعار هذه الممارسات، فقد روى الشيخان:

«أن رجلاً قام فقال : يا رسول الله، إن فلانا ابني، عامرت بأمه في الجاهلية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا دعوة في الإسلام، ذهب أمر الجاهلية، الولد للفراش، وللمعامر الحجر» (أبي داود، السنن، 315/2).

ومن المعروف أن أهل الجاهلية كانوا يعددون بين الزوجات من غير حد معروف حتى حددها القرآن بأربع، وكانوا يجمعون بين الأختين، ويتزوجون بزواج آبائهم إذا طلقوا من أو ماتوا عنهن، وقد نهى الله تعالى عن ذلك في قوله :

«..... وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف (النساء، الآية 93) ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء» (النساء، الآية 22).

ومنهم من كان يثد البنات خشية العار والإنفاق، ويقتل الأولاد خشية الفقر والاملاق، بالإضافة إلى أنهم كانوا يشربون الخمر ويلعبون للميسر، وقد حكى الله عنهم هذه الرذائل في القرآن الكريم، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، قال ابن عباس : «إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام، وقوله تعالى : «وإذا المؤودة سلطت بأي ذنب قتلت» (التكوير، الآيات، 28، 29) وقوله تعالى : «وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو كظيم» (الزخرف، الآية 17) وقوله تعالى : «وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم، يقواري من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب إلا ساء ما يحكمون» (4) (النحل، الآيات 58، 59).

وقوله : «إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون» (المائدة، آية 90) وقوله : «ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطاً كبيراً» (الاسراء، الآية 21).

اسئلة تقويم ذاتي



- 1- ماهو المنصب الذي تولاه بنو هاشم في مكة؟
- 2- من كان زعيم مكة عندما غزاها الاحباش؟
- 3- ما هي الحادثة التي أدت بأبرهة أن يفرض الكعبة؟
- 4- لماذا لم يدافع عبدالمطلب عن الكعبة عندما التقى بأبرهة؟
- 5- ماهو الحدث الهام الذي صاحب غزو أبرهة للكعبة؟
- 6- هل تمكن أبرهة من هدم الكعبة؟ ولماذا؟
- 7- ما هي طبيعة الحياة الاجتماعية في الحضرة قبل الإسلام؟
- 8- ما هي طبيعة الحياة الاجتماعية في الياضية قبل الإسلام؟
- 9- اذكر عدداً من عادات العرب الذميمة قبل الإسلام.
- 10- اذكر عدداً من آيات القرآن الكريم تتناول وأد البهائم الذي كان يمارس في الجاهلية.

ولكن على الرغم من وجود هذه الممارسات الذميمة في المجتمع العربي قبل الإسلام، إلا أن هناك عادات حميدة، وجوانب مضيئة في حياتهم الاجتماعية تميزهم عن غيرهم من أمم ذلك الزمان، فمن تلك الصفات الحميدة على سبيل المثال :

1- الكرم: وهو صفة إنسانية محمودة في المجتمع البشري، وقد اشتهر العرب بالكرم، وكان العربي يجود بأعلى ما عنده لإكرام ضيفه، وأخبار الكرام من العرب أمثال حاتم الطائي مازالت تضرب بها الأمثال، وكانوا من شدة تعلقهم بالكرم يوقدون النيران أمام بيوتهم ليهتدي بها السائرون، ويربون نوعاً خاصاً من الكلاب يدربونها على هداية الضيوف إلى بيوتهم، ويفخرون بهذا النوع من الكلاب ويمدحونها، ومن ذلك قول الشاعر :

عوى في سواد الليل بعد اعتسافه لينبح كلسي أو يُقَرَّع نَوْمُ
فجاوبه مستمع الصوت للقرى له عند إتيان المسلمين مطعم
يكاد إذا ما أبصر الضيف مقبلاً يكلمه من حبه وهو أعجم

2- الوفاء بالعهد: فقد كان العهد عندهم ديناً يتمسكون به، ويستعينون في سبيله قتل أولادهم وتخريب ديارهم، وهناك أمثلة كثيرة على وفائهم، منها: قصة هاني بن مسعود الشيباني، والتي تقدم ذكرها في هذا الكتاب، وقصة السموأل بن عدياء، حينما خبره الحارث الفسائي بن قتل ولده وتسليم أدرع امرئ القيس بن حجر الكندي التي أودعها عنده، ففضل قتل ولده، وفي ذلك يقول الأعشى مخاطباً شريح بن عمرو الكلبي:

كن كالسموأل إذ طاف الهمام به في جحفل كسموأل الليل جرار
بالأبلق الفرد من تيماء منزله حصن حصين وجار غير غدار
إلى أن يقول:
فبسطه غير طويل ثم قال له: اقتل أسيرك إنني مانسج جارحي

وغير ذلك من الأمثلة، فالوفاء بالعهد أعظم خصلة تبين أصالة الأمة واستعدادها للرقى وتحمل الأمانة.

3- كان العرب من أصفى الناس ذهنًا، وأسماهم روحًا، وكانوا يعشقون الحرية، ولم يعرفوا الخضوع إلا لذوي الإنسان منهم، ممن تتوافر فيهم شروط النجدة والبسالة والرجولة، والصبر، والحلم، والأناة، وكل خصال الخير.

4- كانت لغتهم واحدة، وهي العربية، والتي تتميز بجزالة اللفظ، وقوة المعنى وعذوبة البيان، بالإضافة إلى وسطية شبه الجزيرة العربية بالنسبة للدول المعاصرة آنذاك، كل هذه الأسباب وغيرها جعلت الأمة العربية هي الأجدر لتحمل أعباء الرسالة وتبليغها إلى الناس كافة (مهدي رزق الله، السيرة النبوية، ج 1، ص 80).

تدريب (7)



- 1/ تعددت أنواع الزوجات عند العرب قبل الإسلام اكتب أمام كل تعريف اسم الزوج الذي يشير إليه.
أ/ يرسل الرجل امرأته لرجل محمود ذو جسم وعقل لقد منه.
ب/ يجتمع عدد من النساء والرجال ويصيب كل رجل امرأة غيره.
2/ اكتب بإيجاز عن حلف الفضول.

2.3 الحالة الدينية

عرفت جزيرة العرب الكثير من الأديان السماوية قبل ظهور الإسلام، فقد حدثنا القرآن الكريم عن رسالة هود عليه السلام، قال تعالى : «وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون» (الأعراف، الآية 65) وقد أشرنا من قبل إلى أن قومه كانوا يسكنون في جنوب شبه الجزيرة العربية، ثم توالى الرسالات السماوية بعد هود، فجاء صالح وشعيب، وكان موطنهما المناطق الشمالية الغربية من شبه الجزيرة العربية، ولكن هؤلاء القوم عصوا رسلهم، فأهلكهم الله سبحانه وتعالى، وضرب بهم مثلاً في القرآن الكريم لمن يعتبر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، حيث قال تعالى :

«لم يأتكم نبيّ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أنتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (التوبة، الآية 70)» .

ثم انقطعت الرسالات السماوية عن العرب فترة طويلة حتى جاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام. وإذا كان إبراهيم قد عاش معظم حياته في فلسطين، فإن إسماعيل قد عاش كل حياته في مكة ينشر دين الله هو وأبناؤه، فانتشرت عبادة التوحيد في شبه جزيرة العرب، فكانوا يعبدون الله ويوحّدونه ويلتزمون بشعائره دينه الحنيف حتى طال عليهم الأمد، ونسوا

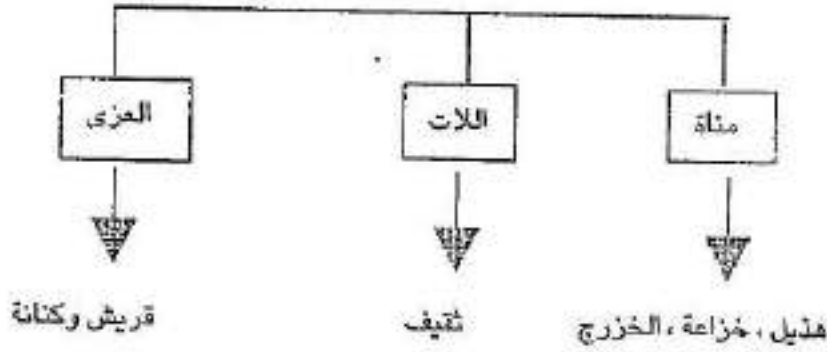
حفظاً مما ذكروا به، ولم يتبق فيهم إلا بعض الشعائر، وشاعت فيهم الوثنية على فكرة عبادة مظاهر الطبيعة، كالارض والسماء والتجوم والكواكب، وذلك لتأثيرها في حياتهم، فاعتقدوا بأنها تجلب لهم الخير إذا أرضوها، ومن ثم اتخذوا لها أشكالاً مختلفة من بيوت وأشجار وأحجار مصورة، تمثل إنساناً أو حيواناً، وأخرى غير مصورة، وصاروا يعبدونها ويطوفون حولها، ويتاجرون عندها، ويعتبرون المكان الذي فيه المعبود حراماً يحرمون فيه أشياء معينة . وكما سبقت الإشارة فإن انتشار الوثنية في بلاد العرب يرجع إلى عمرو بن لحي الخزاعي، زعيم خزاعة وسيد مكة، وسادن الكعبة في عصر خزاعة، ويقال إنه سافر للشام للاستشفاء في مدينة البلقاء، فرأى أهلها يعبدون الأصنام، فقال لهم :

ما هذه الأوثان التي أراكم تعبدون؟ قالوا هذه أصنام نعبدها نستقصرها فننصر، ونستسقى بها فنسقى، فقال : ألا تعطلوني منها صنماً فأسير به إلى أرض العرب عند بيت الله الذي تلد إليه العرب، فأعطوه صنماً يقال له «مبل»، فحمله إلى مكة ونصبه عند الكعبة^(١) وفقوي، تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص 211) ودعا أهل مكة إلى الشرك بالله فأجابوه، ثم لم يلبث أن تبع أهل الحجاز أهل مكة، لأنهم ولاية البيت وأهل الحرم، فكان مبل من العقيق الأحمر على صورة إنسان مكسور اليد، فصنعت له قريش يداً من ذهب وكان أول صنم للمشركين وأقدسه عندهم، ومن ثم انتشرت الأصنام في بلاد العرب. ويعلل ابن الكلبي صاحب كتاب «الأصنام» سبب انتشار عبادة الأصنام في بلاد العرب، بأن العرب تعودوا عند رحيلهم من مكة إلى أي مكان في بلادهم كانوا يحملون معهم أحجاراً من أحجار الكعبة تعظيماً لها وتبريكاً، وأينما نزلوا وحلوا وضعوا هذه الأحجار وطافوا بها تطوافهم بالكعبة، وبمرور الزمن اكتسبت هذه الأحجار قداسة، فأصبحوا يعبدونها، فانتشرت عبادة الأصنام حتى أصبح لكل قبيلة أو منطقة صنم .

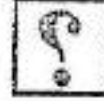
وكان من أقدم أصنامهم مناة، وكانت لهذيل وخزاعة والأوس والخزرج، في منطقة قديد على ساحل البحر الأحمر، واللات وهي الإلهة المقدسة لثقيف بالمذائف، والعزى، وكانت لقريش وكنانة بوادي نضلة.

شكل (5)

أصنام بنى القبايل قبل الإسلام



أسئلة تقويم ذاتي



- 1- اذكر عدداً من عادات العرب الحميدة قبل الإسلام.
- 2- من هم أصحاب الرسالات السماوية في الجزيرة العربية قبل سيدنا إبراهيم عليه السلام؟
- 3- من أي المناطق جلب عمرو بن لحي الخزاعي عبادة الأصنام إلى مكة؟
- 4- اذكر عدداً من أسماء الأصنام التي وجدت بمكة.
- 5- لماذا حمل العرب معهم أصنامهم في تجوالهم؟

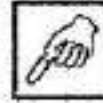
ويقال أن عمرو بن لحي الخزاعي كان له رثي من الجن فأخبره أن أصنام قوم نوح ودا وسواعاً ويغوث ويعوق ونسرا، مدفونة بمنطقة جدة، فأتى وأخرجها، ثم حملها ودفعها إلى القبائل في موسم الحج ففرقت بها (المباركفوري الرحيق المختوم، ص 39) فأما وُدّ فكانت لكلب وقضاعة بدووة الجنذل، وأما سواع فكانت لهذيل برهاط، وأما يغوث فكانت لبني غطفان

بالجوف، وأما يعوق فكانت لهما باليمن، وأما نسر فكانت لحميم وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: «قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً، ومكروا مكراً كباراً، وقالوا لا تدرن اللهكم ولا تدرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً» (نوح، الآية 22).

وقد سارت قبائل العرب الأخرى على نفس الطريق، فأتخذت لها أصناماً آلهة، فانتشرت الأصنام وبيوت الأصنام في بلاد العرب، أما المسجد الحرام فقد ملأوه بالأصنام. ولما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، وجد حول البيت ثلاثمائة وستين صنماً.

نشاط

عزيزي الدارس، حدثنا القرآن الكريم عن العديد من الرسائل السماوية التي عرفتها الجزيرة العربية، من كتاب القرآن الكريم اكتب ملخصاً لأشهر من هذه الرسائل ثم اعرض ذلك على زملائك. ومشرقت الأكاديمي.



أما عبادتهم لهذه الأصنام فلهم فيها تقاليد وأعمال ابتدع أكثرها عمرو بن لحي الخزاعي، الذي أخرجهم من دين إبراهيم، حتى قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم، «رايت عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي يجر قصبه (أي أمعاه) في النار (صحيح البخاري 23، 36) لأنه أول من غير دين إبراهيم فنصب الأوثان، وسبب السائبة، وبحر البخيرة، ووصل الوصيلة، وحصى الحامي (ابن الكلبي، الأصنام، ج 9، ص 25).

وكان من جملة عبادتهم للأصنام والأوثان:

- ❖ كانوا يعكفون عليها ويلجأون إليها، ويهتفون بها، ويستغيثونها في الشدائد، ويدعونها لحاجاتهم، معتقدين أنها تشفع عند الله وتحقق لهم ما يريدون.
- ❖ كانوا يحجون إليها ويطوفون حولها ولها يسجدون.
- ❖ كانوا يقدمون لها القرابين، فكانوا يذبحون وينحرون لها على أنصابها، يفعلون كل ذلك بأصنامهم معتقدين أنها تقربهم إلى الله زلفى، كما ورد ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى:

«وما نعبدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى ...» (الزمر، الآية 3).

بالإضافة إلى عبادة الأصنام كان العرب يؤمنون بأخبار الكهنة والعرافين والمتجسّمين، وكانت فيهم الطيرة، وهي التشاؤم بالشيء. فكانوا يتشاءمون ببعض الأيام والشهور والحيوانات والدرر والنساء... والاعتقاد بالعدوى والهامة، فكانوا يعتقدون أن المقتول لا يسكن جاشه مالم يؤخذ بثأره. وتصير روحه هامة أي بومة تطير في الفلوات وتقول: اسقوني - اسقوني، فإذا أخذ بثأره سكن واستراح (المباركفوري، الرحيق المختوم، ص 44).

كان العرب يقومون بكل ذلك وفيهم بقية من دين إبراهيم، متمثلة في بعض الشعائر مثل: تعظيم البيت، والطواف به، والحج والعمرة، والوقوف بعرفة والمزلفة، وإهداء البدين... ولكن قريشاً ابتدعت في ذلك بدءاً تميزها عن غيرها من قبائل العرب، من ذلك مثلاً:

1- أنهم كانوا يقولون: نحن بنو إبراهيم وأهل الحرم، وولادة البيت، وقاطنو مكة، وليس لأحد من العرب مثل حقنا ومنزلتنا، وكانوا يسمون أنفسهم بالحمس، أي المتحمسون لدينهم، وبالتالي لا يخرجون إلى الحل، ولا يقفون بعرفة، ولا يفيضون منها، فأنزل الله تعالى فيهم: «وأفيضوا من حيث أفاض الناس» (البقرة، الآية 199).

2- كانوا يقولون: لا ينبغي للحمس أن يصنعوا السمن، وهم حرم، ولا يدخلوا بيتاً من شعر ولا يستظلوا إلا ببيوت آدم وهم حرم.

3- لا ينبغي لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به إلى الحرم، إذا جاءوا حجاجاً أو عماراً، بل يأكلوا ما تقدمه لهم قريش في الحرم.

4- ألا يطوف أهل الحل بالبيت إلا بملابس الحمس، فكان الرجل من الحمس يعطي الرجل للزئتر ملابسه يطوف بها، وتعطي المرأة من الحمس المرأة الثياب تطوف فيها، فإن لم يجدوا شيئاً كان الرجال يطوفون عراة والنساء شبه عاريات فأنزل الله في ذلك (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) (الأعراف، الآية 31).

5- كانوا إذا أحرموا لا يأتون بيوتهم من أبوابها، بل كانوا ينقبون نقباً في ظهر البيت يدخلون منه، ويحسبون ذلك براً، وقد نهى الله تعالى عن ذلك بقوله: «وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها

ولكن البر من اتقى، وأتوا البيوت من أبوابها، واتقوا الله لعلكم تفلحون» (البقرة، الآية 189).
بالإضافة إلى الشرك وعبادة الأوثان عرف العرب قبل الإسلام ديانات أخرى كاليهودية
والنصرانية والمجوسية والصابئة... وغيرها.

أما اليهودية فقد دخلت بلاد العرب عن طريق الهجرات اليهودية من الشام، وانتشرت في
المدن الواقعة على الطريق التجاري بين الشام والحجاز، مثل خيبر ويثرب، ووادي القرى،
وفدك وتيماء، كما دخلت اليهودية إلى بلاد اليمن على يد أحد ملوك حمير، ويدعى أسعد أبو
كرب، ويقال إنه ذهب مقاتلاً إلى يثرب وهناك اعتنق اليهودية وجاء بحبرين من بني قريظة إلى
اليمن، وعن ثم أخذت اليهودية في التوسع، ولما جاء ذونواس إلى الحكم بعد أبيه أسعد، هجم
على نصارى نجران، كما سبق وأن فصلنا، وعرض عليهم اعتناق اليهودية أو الموت، فاختاروا
الموت، فحفر لهم أخدوداً وأحرقهم فيه، وكان عددهم يتجاوز العشرين ألفاً، وكان ذلك في عام
523م. وقد ذكرهم القرآن في سورة البروج في قوله تعالى: «قتل أصحاب الأخدود، النار ذات
الوقود، إذ هم عليها قعود، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود، وما نقسوا منهم إلا أن يؤمنوا
بالله العزيز الحميد» (البروج، الآيات 4، 5، 6، 7، 8).

وكانت أهم قبائل اليهود التي شاركت في الأحداث الإسلامية، هي: خيبر والنضير
والمصطلق، وقريظة، وقينقاع، وفدك، وتيماء، ووادي القرى.

أما النصرانية فقد دخلت إلى بلاد العرب عن طريق الشام أيضاً، وانتشرت بين
العساسنة، كما دان بها بعض أهل الحيرة. كما دخلت النصرانية إلى اليمن من الحبشة، عن
طريق الغزو الحبشي لليمن عام 387م، وقد تركزت دعوتهم في منطقة نجران، وحينما اعتنق
ذو نواس اليهودية، غزا الأحباش اليمن مرة أخرى عام 525م انتقاماً لتحريق النصاري في
نجران، ثم قام أبرهة ببناء كنيسة في صنعاء آنذاك وقام بغزو مكة يريد هدم الكعبة، فأخذه
الله نكال الآخرة والأولى، وقد سبق ذكر القصة.

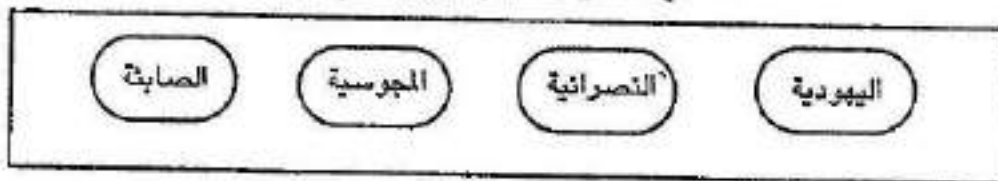
ولم تحظ هاتان الديانتان بانتشار واسع في بلاد العرب، كما أن تأثيرهما على الوثنية
العربية كان ضعيفاً لا يكاد يذكر، وإن كان تأثيرهما الثقافي قد ظهر في اللغة العربية في بعض

المصطلحات المتداولة، أما المجوسية فقد انتشرت وسط العرب المجاورين للفرس، وظهرت
بعض فرقها كالزرادشتية والمائوية في عراق العرب والبحرين وهجر وما جاورها، يقول ابن
قتيبة: «وكانت المجوسية في تميم... وكانت الزندقة في قريش أخذوها من الحيرة...» (ابن
الكثير، الأصنام، ج 9، ص 75).

أما الصابئة، وهي عبادة الكواكب، فتعود إلى الكلدانيين من قوم إبراهيم عليه السلام،
فقد دان بها كثير من أهل الشام وأهل اليمن، وعندما ظهرت اليهودية والمسيحية خمد نشاطها،
وتضعفت مكانتها، ولكن لم تزل بقاياها موجودة في الناس خاصة في عراق العرب
وشواطئ الخليج، حتى ظهر الإسلام.

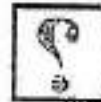
شكل (6)

ديانات عرقها العرب قبل الإسلام



أسئلة تقويم ذاتي

- 1- ماهي الأشياء التي كان يؤمن بها العرب بجانب عبادتهم
للأصنام؟
- 2- ماهي الشعائر من التوحيد التي ظل يؤدونها العرب بجانب
عبادتهم للأصنام؟
- 3- كيف دخلت اليهودية إلى بلاد العرب؟
- 4- ما هي العبادة التي تشير إليها الصابئة؟
- 5- أين انتشرت المجوسية في بلاد العرب؟



وهكذا نجد أن الحالة الدينية في بلاد العرب قبل الإسلام كانت مضطربة، وتسودها الفوضى، فهناك قوم يعبدون الأوثان، وهم الأغلبية، وآخرون اعتنقوا اليهودية والنصرانية، وهناك فئة ثالثة، وهم شريحة صغيرة في مكة وقصوى كل ذلك وشكوا في تلك الممارسات واكتفوا بفعل الخير وتجنب الشر، وامتنعوا إلى ديانة إبراهيم عليه السلام، وأطلق عليهم اسم «الحنفاء» انطلاقاً من الآية: «ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين» (آل عمران، الآية 95). ومن هؤلاء: ورقة بن نوفل، وعثمان بن الحويرث، وزيد بن عمرو بن نفيل.

الخلاصة

عزيزي الدارس، نتمنى أن تكون قد استوعبت ما جاء في هذه الوحدة ولا شك لدينا أنه لديك معارف حول الموضوع الذي تناولته الوحدة. وينفس القدر لا شك لدينا بأن معلوماتك قد زادت بعد قراءتك ودراستك لهذه الوحدة ، عليه يمكن أن نقدم نحن وأنت ملخصاً للوحدة في النقاط التالية :

□ أطلق العرب على بلادهم اسم جزيرة العرب، إلا أن التعبير الجغرافي الصحيح هو شبه جزيرة العرب وقد قسمها الجغرافيون إلى تهامة وهي المنطقة على الشريط الساحلي للبحر الأحمر، والحجاز وهو الإقليم الممتد من اليمن جنوباً حتى الشام شمالاً، أما نجد وهو المنطقة ما دون جبل السراة ويمتد من حدود اليمن جنوباً حتى يادية السماوة شمالاً. واليمن وهو الإقليم الذي يقع في الطرف الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية، أما العروض فهو الإقليم الذي يشمل بلاد اليمامة والبحرين وما والاها.

□ أن العرب من الجنس السامي الذي ينسب إلى سام بن نوح عليه السلام، كما أن اللغة العربية هي إحدى اللغات السامية، وقد قسم المؤرخون العرب إلى قسمين هما أولاً: العرب البائدة والتي ورد ذكرها في القرآن الكريم، مثل عاد قوم هود عليه السلام، وقمود قوم صالح عليه السلام. ثانياً: العرب الباقية وهؤلاء ينقسمون إلى قسمين هما العرب القحطانية وهم العرب الحارثية وأهم قبائلهم سبأ وحمير وكهلان وهمدان وكندة. أما القسم الثاني فهم العرب العدنانية وهم العرب المستعربة وأهم قبائلهم عدنان ومعد ونزار وتشعبت من نزار إياد وربيعة ومضر.

□ في منطقة الحجاز لم تقم حكومة مركزية وكانت القبيلة هي النظام السائد ، بينما قامت ممالك في جنوب الجزيرة مثل ممالك اليمن (سبأ وحمير)، وفي الشمال الشرقي دولة الحيرة، وفي الشمال الغربي قامت دولة الغساسنة.

□ أن مكة هي أهم مدن الحجاز وقد سكن فيها سيدنا إبراهيم وأسرته، ويوجد بها البيت الحرام ، وتعاقب على إدارة مكة والبيت الحرام عدد من الأسر بدءاً من سيدنا إبراهيم وابنه

إسماعيل حتى آلت إلى قصي جد النبي صلى الله عليه وسلم، ومن ثم وزعت إدارة مكة والبيت الحرام على بطون قريش.

□ اختلفت الأحوال الاجتماعية للعرب قبل الإسلام من منطقة لأخرى، حيث عرفت مجتمعات المدن ومابها من نظام طبقي (ملوك وأمراء) كما عرفت مجتمعات البادية وبها طبقة السادة وطبقة العبيد. وفي هذه المجتمعات العديد من العادات الذميمة مثل شرب الخمر وواد البنات... إلخ. بجانب ذلك اشتهر العرب بالعديد من العادات الكريمة مثل الكرم والوفاء بالعهد وحب الحرية.

□ أما الأحوال الدينية في شبه جزيرة العرب فقد كانت مسرحاً للعديد من الرسائل السماوية التي أخبرنا عنها القرآن الكريم والتي نزلت على كل من هود، صالح، شعيب، إبراهيم، إسماعيل. كما عبد العرب مظاهر الطبيعة مثل الأرض والنجوم والكواكب... إلخ، وكذلك عبادة الأصنام والتي انتشرت بصورة كبيرة في شبه الجزيرة العربية، وبقيت في الكعبة الشريفة وكان الناس يحجون إليها ويملأون حولها، كما انتشرت الديانة اليهودية في جزيرة العرب وانتشرت في مناطق خيبر ويثرب ووادي القرى، كما انتشرت النصرانية بين الفساسنة وبعض أهل الحيرة.

مقدمة سابقة عن الوحدة الثانية

عزيزي الدارس، الوحدة القادمة هي الوحدة الثانية من مقرر السيرة النبوية وهي بعنوان مولد ونشأة النبي - صلى الله عليه وسلم - ونزول الوحي. وهذه الوحدة عزيزي الدارس، تفصل لك نسب النبي - صلى الله عليه وسلم - أي القبائل التي انحدر منها والده النبي - صلى الله عليه وسلم -، هذا بالإضافة إلى مولده ونشأته، عزيزي الدارس، ستجد في هذه الوحدة عن حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه : اشتغل في حياته بالرعي والتجارة، وقد أهله صدقه وأمانته أن يتبرأ مكانة رفيعة عند قريش، كما أنه أرحم إليه وهو يتعبد في غار حراء، ومن ثم تتابع نزول «الوحي» القرآن الكريم على النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو ما ترتبت عليه حقائق الدين بعقائده وتشريعاته.

إجابات التمرينات

تدريب (1)

القائمة (أ)	القائمة (ب)
1 / العرب	1 / جزيرة العرب
2 / تهامة	2 / شدة الحر وركود الهواء
3 / العروض	3 / يفصل بين اليمن ونجد والعراق
4 / الجفراليون	4 / شبه جزيرة العرب
5 / الحجاز	5 / يفصل بين تهامة ونجد

تدريب (2)

- 1 / القحطانيون - يعرب بن قحطان
- 2 / العرب العدنانية
- 3 / جرهم
- 4 / كتانة بن خزيمعة
- 5 / العاربة أو القحطانية

تدريب (3)

- 1 / (ب)
- 2 / (أ)
- 3 / (ج)
- 4 / (ب)
- 5 / (ب)

تدريب (4)

1/ أدت مملكة الحيوة مهمتين أساسيتين لدولة الفرس وهما:

أولاً : حراسة الحدود الفارسية من عدوان القبائل العربية التي كانت تغير وتهاجم تخوم فارس وتسلب وتنهب تلك المناطق .

ثانياً : حماية الدولة الفارسية من عدوان الدولة الرومانية حيث كان العداء شديداً بين الدولتين .

2/ قامت مملكة الخساسنة بحراسة الحدود الشرقية للدولة الرومانية وذلك تأميناً للروم

من غارات الفرس المستمرة .

تدريب (5)

1/ عام 522م

2/ عام 613م

3/ عام 628م

4/ عام 529م الى عام 569م

5/ عام 582م

تدريب (6)

1/ بنو عبد مناف

2/ بنو عبد مناف

3/ بنو عبد مناف

4/ بنو عبد الدار

5/ بنو عبد الدار

6/ بنو عبد الدار

تدريب (7)

1 / أ / نكاح الاستبضاع.

• ب / نكاح الرهط.

2 / هو أن ترد كل مظلمة بمكة إلى صاحبها لا فرق في ذلك بين قرشي وغيره. ودخل في

هذا الحالف بنو هاشم وعبدالمطلب وتيم بن مرة وغيرهم، وقد عاصره النبي محمد - صلى الله عليه وسلم -.

المصادر والمراجع

- 1- القرآن الكريم.
- 2- ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن الجزري) ، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1386هـ - 1996م.
- 3- ابن القيم (شمس الدين أبو عبد الله) ، زاد المعاد، المطبعة المصرية 1347هـ.
- 4- ابن سعد (محمد بن سعد) - الطبقات الكبرى، دار صادر (بيروت)، 1388هـ - 1968م.
- 5- ابن كثير (أبو الفداء الحافظ ابن كثير) ، البداية والنهاية في التاريخ، مكتبة المعارف، بيروت 1417هـ - 1997م.
- 6- ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن هشام)، السيرة النبوية، مطبعة بابي الحلبي، القاهرة 1375هـ - 1955م.
- 7- أبو الحسن الندوي، السيرة النبوية، دار الشروق، 1995م.
- 8- الأزرقى ، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، طبع بيروت ومكة المكرمة 1399هـ - 1979م.
- 9- الإمام أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، المكتب الإسلامي، بيروت، 1398هـ - 1978م.
- 10- البخاري (الإمام أبو عبد الله) ، صحيح البخاري ، المكتبة الرحيمية بالهند، 1397هـ - 1977م.
- 11- البوطي (محمد رمضان البوطي)، فقه السيرة، بيروت 1419 - 1999م.
- 12- الترمذي (محمد بن عيسى) ، شمائل الترمذي، دلهي، الهند، 1385هـ - 1965م.
- 13- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير)، تاريخ الأمم والملوك، دار المعارف، القاهرة (د.ت).
- 14- الغزالي (الشيخ محمد الغزالي)، فقه السيرة، دار القلم، دمشق، 1418هـ - 1998م.
- 15- المسعودي (أبو الحسن علي بن حسين) مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار المعرفة، بيروت (د.ت).

- 16- الواقدي (محمد بن عمر بن واقد)، مغازي الواقدي، طبع بيروت، 1384هـ - 1964م.
- 17- اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب)، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، 1379هـ - 1960م.
- 18- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1399 - 1979 م.
- 19- حسن أحمد محفود، انتشار الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، مكتبة النهضة 1966م.
- 20- صفى الرحمن مباركفوري، الرحيق المختوم، دار الوفاء، 1424هـ - 2003م.
- 21- عبدالشافى عبداللطيف ومحمد جبر أبو سعدة ، دراسات في السيرة النبوية، طبع القاهرة 1979م
- 22- محمد الشويخ، الرسول في القرآن الكريم. طبع. القاهرة. 1980م.
- 23- محمد جمال الدين سرور ، قيام الدولة العربية الإسلامية في حياة محمد صلى الله عليه وسلم، دار الفكر، القاهرة 1952.
- 24- محمد الخضري بك، تاريخ الأمم الإسلامية، المكتبة التوفيقية، القاهرة، 1382هـ - 1962م.
- 25- مهدي رزق الله أحمد ، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، دار إمام الدعوة للنشر والتوزيع - السعودية 1424هـ - 2003م.
- 26- ياقوت الحموي ، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1379هـ - 1977م.



محتويات الوحدة

الصفحة	الموضوع
53	مقدمة
53	تمهيد
54	أهداف الوحدة
55	1. النسب والمولد والنشأة
55	1.1 نسب النبي (صلى الله عليه وسلم)
57	2.1 مولده ونشأته
75	2. نزول الوحي على النبي (صلى الله عليه وسلم)
75	1.2 الاختلاء في غار حراء
76	2.2 نزول الوحي
81	3.2 انقطاع الوحي ثم تنابحه
83	الخلاصة
84	لمحة بمابقة عن الوحدة التالية
85	إجابات التدريبات
87	المصادر والمراجع

عزيزي الدارس، بعد إزتيادك من قراءة الوحدة الأولى نحن سعداء أن نلتقي معاً في الوحدة الثانية من مقرر السيرة النبوية وموضوعها «مولد ونشأة النبي (صلى الله عليه وسلم) ونزول الوحي» ونأتي في قسمين رئيسين تفاصيلهما كالآتي:

القسم الأول: يعرفنا بمولد النبي -صلى الله عليه وسلم- ونشأته ونسبه وكيف أنه نشأ يتيماً وعمل بالرعي والتجارة، ومن ثم زواجه من السيدة خديجة وغيرها من أمهات المسلمين، كما يوضح لنا مشاركة النبي -صلى الله عليه وسلم- في بناء الكعبة عندما تعرضت لسيول شديد مدم أجزاء منها.

القسم الثاني: يشرح لنا كيفية نزول الوحي على النبي -صلى الله عليه وسلم- وذلك بعد أن بلغ الأربعين من العمر، ودور الملك جبريل في تعليم النبي -صلى الله عليه وسلم- القرآن الكريم وإبلاغه من عند رب السموات والأرض والعالمين.

عزيزي الدارس في هذه الوحدة تجد مجموعة من أسئلة التقويم الذاتي والتدريبات فاحرص على حلها أولاً بأول. وفتننى لك التوفيق وإلى تفاصيل الوحدة.

أهداف الوحدة

عزيزي الدارس، بعد اطلاعك ودراستك لهذه الوحدة، نتمنى أن تكون قادراً على أن:



- تتحدث عن مولد ونشأة النبي - صلى الله عليه وسلم -.
- تتناول أحداث زواج النبي - صلى الله عليه وسلم - من السيدة خديجة، وما بعدها من أمهات المؤمنين.
- تدحض ما ذهب إليه المستشرقون من طعن في الدين الإسلامي.
- تتبع كيفية نزول الوحي على النبي - صلى الله عليه وسلم -.

1. النسب والمولد والنشأة

أ. 1. نسب النبي (صلى الله عليه وسلم)

أما نسبه صلى الله عليه وسلم، فهو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كعدة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

وعدنان هو من ولد إسماعيل بن نبي الله إبراهيم عليهما الصلاة والسلام، وأن الله قد اختاره من أزكى القبائل وأفضل البطون وأظهر الأصحاب. وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم (صحيح مسلم 1782/4). ويقول أيضاً: «إن الله جل وعلا يوم خلق الخلق جعلني في خير قبيلة، ثم حين جعل البيوت جعلني في خير بيوتهم، فأنما خيرهم نسباً وخيرهم بيتاً» (الترمذي 5: 635).

وكانت أمة آمنة بنت وهب، وهي من بني زهرة بن كلاب، من أشرف بيوت قريش، ويلتقي نسبها مع الرسول صلى الله عليه وسلم في كلاب بن مرة.

وهكذا جاء الرسول صلى الله عليه وسلم من أعلى بيوت قريش نسباً. ولم يستطع أبوه سفيان وهو من أشد الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل إسلامه، أن ينكر سمو هذا النسب، فقال: «هو قينا ذو نسب» (ابن هشام، السيرة النبوية، ج 1، ص 291). وكان أبوه عبدالله واسطة عقد بني عبدالمطلب، وكان شاباً مهذباً صبوراً الوجه، وكان أحب أبناء عبدالمطلب إليه، وكان مشهوراً بين قريش، حيث فدته بمائة من الإبل، وذلك عندما اتسم عبدالمطلب بأنه إذا رزق عشرة من الأولاد ليذبحن أحدهم، قرباناً لله، فلما رزق بعشرة أولاد وضربت القدر عليهم خرجت على عبدالله، ففدته قريش بعشرة من الإبل ثم ضربت فخرجت على عبدالله، وهكذا ظلت قريش تضيق في كل مرة عشرة من الإبل حتى بلغت مائة، ثم خرجت على الإبل فخرجت قريش بنجاته ونحرت الإبل في الكعبة، ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «أبى الذبيحين، فالذبيح الأول هو سيدنا إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، أما الذبيح الثاني،

فهو أبوه عبدالله بن عبدالمطلب.

وحتى تكتمل هذه الفرحة ذهب عبدالمطلب وخطب آمنه بنت وهب لابنه عبدالله، وهي يومئذ من أفضل فتيات قريش حسناً ونسباً، وكان أبوها وهب سيد بني زهرة، فوافق على الفور، وتمت هذه الزيجة المباركة، وبني عبدالله بآمنة، ثم سافر إلى الشام في تجارة، وفي طريق عودته أصيب بالمرض في يثرب عند أخواله بني النجار، ثم توفي وحملت الأخبار نبأ وفاته إلى مكة، فحزن عبدالمطلب لموت ابنة الحبيب عبدالله، وحزنت معه مكة كلها، وكانت آمنة أشد الناس حزنًا على فراق زوجها الشاب، الذي لم يعض من قصة فدائه وزواجه إلا وقت قصير، وظنت أن الدنيا قد أظلمت في عينيها، ولم تكن ولقها تدري أن القدر قد رسم هذه القصة، وأنها ستقدم إلى الدنيا كلها أفضل مولود عرفته البشرية، ففي أثناء موجة الحزن تلك بدأت تحس بجنين يتحرك في أحشائها، وبدأت تعلق آمالها في هذا الجنين، على يكون عوضاً لها عن زوجها، وتروي كتب السيرة بأن آمنة كانت لا تعاني في حملها لئلا ولا تعباً، وإنما كانت ترى في منامها رؤى وهوائف حارت في تفسيرها، كما أنها كانت ترى أنواراً تضيء لها قصور الشام، كما أنها كانت ترى في منامها سلسلة من الذهب تتدلى من السماء لتصل ما بينهما وبينها، وأن أشعة من النور كانت تفيض من هذه السلسلة، وغير ذلك من الإرهافات التي كانت تدل على أن مولودها لم يكن عادياً كسائر الأطفال.

تدريب (1)



أجب بلا أو نعم على ما يأتي:

- 1 / كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول أنا ابن الذبيحين.
- 2 / وهب والد آمنة هو سيد بني كنز.
- 3 / أصيب عبدالله بن عبدالمطلب بمرض وتوفي في مكة.
- 4 / عانت آمنة بنت وهب كثيراً عند حملها بالنبي - صلى الله عليه وسلم -.
- 5 / كانت لدية عبدالله بن عبدالمطلب 200 من الإبل.

2.1 مولده ونشأته

أولاً : مولده

ولدت أمته في يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول من عام 571م. وهو عام الفيل، حيث خرج طفلها يتاللاً النور من وجهه، اكحل أدمع مختوناً، يرنو بوجهه إلى الأفق، ويشير بسبابته إلى السماء، فهرولت قابله وهي أم عبدالرحمن بن عوف - إلى عبدالطلب لتزف إليه هذا الخير السعيد، فجاء عبدالطلب مستبشراً وعمله إلى الكعبة، ودعا الله وشكر له، واختار له اسم «محمد»، وهذا الاسم لم يكن معروفاً بكثرة في العرب، وحينما سئل عن عدوله عن أسماء أبيك وأجداده، قال : رجوت أن يكون محموداً في السماء وفي الأرض (ابن هشام، السيرة النبوية، ج 1، ص 293).

وروى المؤرخون أن هناك إرماضات بالبعثة حدثت يوم مولده، حيث سقطت أربع عشرة شرفة من إيوان كسرى، وخمدت النار التي يعبدونها المجوس وانهدمت الكتائن حول بحيرة ساوة (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 2، ص 166).

وكانت أول من أرضعته بعد أمه بأسبوع من المراضع ثويبة مولاة أبي لهب، وابن ابن لها يقال له مسروح، وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبدالطلب، وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبدالاسد المخزومي (صحيح البخاري، 5 / 264).

كان العرب يؤثرون البادية لرضاعة الأطفال ونشأتهم الأولى، لما في هواء البادية من الصفاء، وفي أخلاق أهل البادية من السلامة والاعتدال، والبعد عن غفاس المدينة، كما أن لغة البادية هي السليمة الأصيلة، ولهذا، ففي اليوم السابع من ولادته التحس عبدالطلب المراضع لحمد صلى الله عليه وسلم، وحينما جاءت المراضع من قبيلة بني سعد إلى مكة، استرضع عبدالطلب لابنه امرأة من بني سعد بن بكر، وهي حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية، وزوجها الحارث بن عبدالعزيز، المكنى بابي كبشة. فكان إخوته في الرضاعة : عبدالله بن الحارث وأنيسة بنت الحارث وخدافة بنت الحارث (وهي الشيماء) وهي حاضنته صلى الله عليه وسلم (ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، ص 58).

وقد أجمع رواية السيرة أن بادية بني سعد كانت تعاني حينذاك سنة مجدية، جف فيها
الضرع وبيس الزرع، فما هو إلا أن صار محمد صلى الله عليه وسلم في منزل حليلة،
واستكان إلى حجرها، وورضع من ثديها حتى عادت منازل حليلة من حول خبائها معرعة
مخضرة، فكانت أغنامها تروح منها عائدة إلى الدار شباعاً مُمتلئة الضروع، وانقلبت حياة
حليلة وزوجها إلى خير وبركة (البوطي، فقه السيرة، ص 44) وعن تربيته تقول حليلة: وكان
يشب شباباً لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جافاً (أي قوياً شديداً).

وبعد أن اكمل محمد صلى الله عليه وسلم السنتين أخذته حليلة لتعيده إلى أمه، ولكن في
قرارة نفسها كانت تريد أن يمكث معها أكثر من ذلك، قالت حليلة: فقدمنا إلى أمه ونحن
أحرص على مكثه فيها، لما كنا نرى من بركته، فكلمنا أمه، وقلت لها: لو تركت ابني عندي حتى
يغلظ، فإني أخشى عليه وباء مكة، قالت فلم نزل بها حتى ردت معنا (ابن هشام، السيرة
النبوية، ج 2، ص 60).

عاد محمد صلى الله عليه وسلم إلى بادية بني سعد مرة أخرى، ومكث فيها عامين
آخرين وقيل ثلاثة، وفي هذه المدة حدثت له حادثة شق الصدر، وقصة ذلك حسب ما روى
مسلم عن أنس: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه
فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك،
ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه وأعاده في مكانه، وجاء الغلمان إلى أمه حليلة
فأخبروها، فهرعت إليه مع زوجها فوجداه معتق اللون، فعاد به إلى البيت، ولم يستطيعا
تفسير هذا الحدث، فخشيا أن يكون ما أصاب الطفل من الجان، فقررا إعادته إلى أمه
(صحيح مسلم 2/247). هذه المدة التي قضاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم رضيعاً ظل
يقهر ويعتز بها، ويروى عنه أنه قال: «أنا أفصح العرب، فأنا قرشي واسترضعت في بني
سعد بن بكر (ابن هشام، السيرة النبوية، ج 1، ص 168).

وعندما بلغ السادسة أرادت أمه أن تصحبه في رحلة إلى يثرب، ليرى قبر والده ويزور
أقاربه من بني النجار لأن هاشماً قد تزوج سلمى بنت عمرو بن هدي بن النجار، وقد أنجبت له

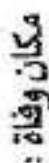
عبدالمطلب جد الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكانت معه جاريتة أم أيمن، التي خلفها له والده، وعند العودة من الزيارة مرضت أمينة في الطريق، وتوفيت في الأبواء، بين مكة والمدينة. وهكذا فقد هذا الطفل الوديع والده دون أن يراه، وما هو قد فقد والدته الحنون في وقت هو في أمس الحاجة إلى عطفها ورعايتها، ولكن الله وحده يعلم الحكمة في ذلك، وفي أن يشب هذا الطفل يتيمًا، ثم حملته جاريتته أم أيمن وأتت به إلى جده عبدالمطلب، الذي تولى كفالته منذ أن مات والده، وكان عبدالمطلب يجتهد في أن لا يشعر حفيده باليتم، وكان يقربه إليه دائماً، فكان محمد صلى الله عليه وسلم يأتي وهو غلام جفرا حتى يجلس مع جده في فراشه، فيحاول أعمامه أن يؤخروه عنه فيمنعهم عبدالمطلب إذا رأهم، ويقول لهم: دعوا ابني هذا، فوالله إن له لشأناً، ثم يجلسه معه في فراشه، ويمسح ظهره بيده، ويسره ما يراه يصنع، ولكن الاقدار لم تمهله، فقد طعن عبدالمطلب في السن، وتوفي وعمر محمد صلى الله عليه وسلم ثماني سنوات فقط، فانتقلت كفالته إلى عمه إبي طالب.

أسئلة تقويم ذاتي



- 1- متى ولد النبي محمد عليه الصلاة والسلام؟
- 2- إلى أين كان يشير النبي الكريم عندما ولد؟
- 3- لماذا أطلق عبدالمطلب اسم محمد على حفيده؟
- 4- ما هي إرماسات البعثة التي حدثت عند مولده - صلى الله عليه وسلم -
- 5- من هي أول من أرضعت محمد بن عبد الله النبي الكريم؟
- 6- من هم إخوة النبي - صلى الله عليه وسلم - في الرضاعة؟
- 7- كم من الزمن مكث النبي - صلى الله عليه وسلم - عند حليلة السعدية؟
- 8- أين توفيت أمينة بنت وهب والدته النبي - صلى الله عليه وسلم -؟

خريطة (1)



(وَالْبُدَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ)

طريق عودة سيد الله من الشام إلى يثرب . . .
طريق القواطل بين مكة المكرمة ويثرب . . .
الأكراد (حيث وفاء أمدة بنت وهب)

الدروس المستفادة

- 1- في نسبه الشريف صلى الله عليه وسلم دلالة واضحة على أن الله سبحانه وتعالى قد ميز العرب على سائر الأمم بالإسلام، وفضل قريشاً على سائر القبائل الأخرى بانتماء محمد صلى الله عليه وسلم إليها .
- 2- ما دامت العرب لا تسمع إلا لذوي الأنساب العالية فيهم، فقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من أعلاهم نسباً، حتى لا يكون لأعداء الإسلام سلاح في أيديهم للصد عن سبيل الله (مهدي رزق الله، السيرة، ج 1، ص 11).
- 3- أن مقتضى محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، محبة القوم الذين ظهر فيهم والقبيلة التي ولد فيها، لا من حيث الأفراد والجنس، بل من حيث الحقيقة المجردة، ذلك لأن الحقيقة العربية القرشية، قد شرف كل منها ولا ريب بانتماء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها (البوطي، فقه السيرة، ص 44).
- 4- ولعل في يتمه صلى الله عليه وسلم أسوة للأيتام في كل زمان ومكان، ليعرفوا أن اليتيم ليس بقيمة، وإنما إنساناً لصاحبه في الوصول إلى أرقى المراتب، ولكن بالنية والإخلاص والعمل، ومن ثم التوكل على الله. (البوطي، فقه السيرة، ص 45).
- 5- وعن رضاعته، حيث عاينت منازل حليلة السعدية مبرعة مخضرة، بعد أن كانت مجذبة قاحلة، وأمتلأت حياتها خيراً وبركة. يدل ذلك على علو شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعة مرتبته عند ربه، حتى عندما كان طفلاً صغيراً، كغيره من الأطفال، وهكذا تعبد الله بذلك المقدمات المباركة ليكزن فيما بعد رحمة للعالمين كما صرح بذلك سبحانه وتعالى: وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين (الأنبياء، آية 107).

تدريب (2)



اكتب بإيجاز عن حادثة شق الصدر التي حدثت للنبي - صلى الله عليه وسلم - وهو بديار حلينة السعدية ووضح الحكمة في ذلك.

ثانياً: الكدح في سبيل الرزق

قام أبو طالب برعاية ابن أخيه خير قيام، وضمه إلى أولاده وقدمه عليهم، واختصه بفضل احترام وتقدير، ولكن محمداً لم يرض القعود في البيت، فإن ذلك ليس من شيم الأنبياء، إذ لا بد من العمل وخوض تجارب الحياة ومشاقها، ولهذا فإن أول عمل قام به محمد صلى الله عليه وسلم هو رعي الغنم، فالرعي فيه كسب شريف، وتربية للنفس، وتقويم للجسم، وفوق ذلك كله فإنه اتباع لسنة الأنبياء، فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من نبي إلا وقد رعى الغنم، قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: نعم، كنت أراهما على قراريط (أي دراهم) لأهل مكة».

وعندما بلغ سنه اثنتي عشرة سنة خرج محمد صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب في رحلة تجارية إلى الشام، ولما بلغت القافلة منطقة بصرى بالقرب من حوران ونزلوا فيها، خرج إليهم راهب يدعى «بحيرا»، وكان من قبل لا يخرج إليهم، وأخذ يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد محمد صلى الله عليه وسلم، وقال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين، فقال له أبو طالب وأشياخ قريش: وما علمك بذلك؟ فقال: إني أعرفه بخاتم النبوة أسفل في كتفه مثل التفاحة، وأنا نجده في كتبنا، ثم أكرمهم بالضيافة، وحذر أبا طالب من الذهاب به إلى الشام، خوفاً عليه من الروم واليهود، ونصحه بأن يعيده إلى مكة، فبعثه عمه مع بعض غلمانه إلى مكة (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص 178 / 279).



عزيزي الدارس، بعد قراءتك للصفحات السابقة أرجع إلى بعض الكتب التي تناولت سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - واكتب مقالاً عن بعض جوانب سيرته على أن تكون المعلومات إما جديدة ولم ترد هنا أو تفصيلاً لما ورد في الصفحات السابقة.

الدروس المستفادة

- 1- قال العلامة ابن الحكمة في إلهام الأنبياء: من رغب في الغنى قبل النية، أن يحصل لهم الثمن برغبتها على ما يكفونه من القيام بأمر أقيم، لأنهم إذا صبروا على رغبها وخطبها بعد تفرقها في الموعى، ونقلها من مصرح إلى مصرح، ودفع عشوا من سبع في دينار أو غيرهما، وعلموا اختلاف طباعها وشدة تفرقها مع ضعفها واحتياجها إلى الحافذة، ألفوا من ذلك الصبر على الأمانة (مهدى رزق الله، السيرة، ج 1، ص 138).
- 2- يظهر جلاء من خلال رغبة الغنى، الذوق الرفيع والإحساس الدقيق للثاني، جعل الله تعالى بهما نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم، لقد كان عمه أبو طالب يحولته بالعناية التامة، وكان يشفق عليه مثل والده تماماً، ولكن محمداً صلى الله عليه وسلم ما أن أتى في نفسه القدرة على الكسب حتى أقبل على العمل بجهده لإعانة عمه الذي كان كثير الغيال، وهو تعبير أخلاقي رفيع عن الشكر ورد الفضل لأهله، وهو دليل على شرافة في الطبع وير في الحافلة (الذوق، فتح السيرة، ص 50).
- 3- إن هذه الصفة توضح لنا نوع الحياة التي يرغبتها الله تعالى لعباده الصالحين، في دار الدنيا، لقد كان سيدنا على الله أن يهيئ للنبي صلى الله عليه وسلم في بداية حياته من أسباب الرزاقية ووسائل العيش الرغيد ما يغنيه عن الكدح ورعاية الأعتام سعيًا وراء

القوت، ولكن الحكمة الإلهية تقتضي منا أن نعلم أن خير مال الإنسان هو ما اكتسبه بكد يمينه، ولقاء ما يقدمه من الخدمة لمجتمعه وبني جنسه، وشر المال هو ما أصاب الإنسان وهو مستقل على ظهره دون أن يبذل جهداً في سبيله.

4- إن صاحب أي دعوة لن تقوم لدعوته أي قيمة في الناس إذا كان كسبه ورزقه من عطايا الناس وصنقاتهم، ولذا فإن أمل الدعوة الإسلامية أخرى الناس بأن يعتمدوا في معيشتهم على أنفسهم، حتى لا يكون لأحد من الناس مئة أو فضل عليهم فيحقيق حركتهم من أن يصدعوا بكلمة الحق في وجهه.

5- أما قصة الزاهد بخيرا فتؤكد معرفة أهل الكتاب بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمانه كما هو مبين في كتبهم، وهي تفسير لنا قوله تعالى في اليهود:

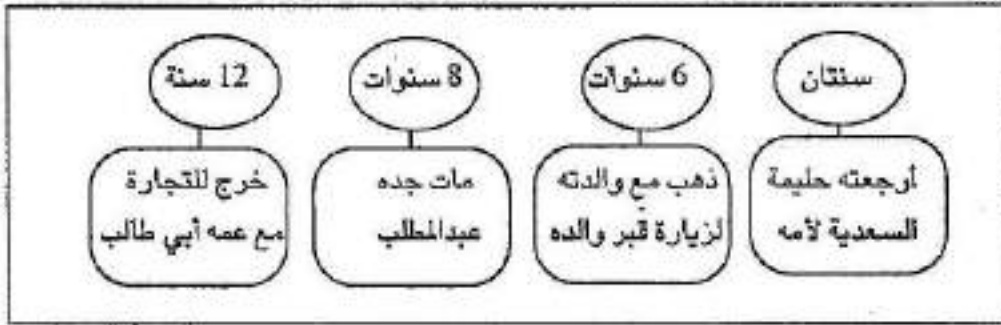
وَقَالُوا لَنَجْذِبَهُمْ إِلَى مِصْبَقِ اللَّهِ مَصِيبُهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (البقرة، الآية 89).

وقد حاول بعض المستشرقين النصارى استغلال هذه القصة وتحريفها للظن في رسالة الإسلام، ذلك ذكروا أن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم قد تلقى تعاليم التوحيد الحقيقية من عالم نصيراني، وذهب المستشرق الفرنسي كارا KARRA إلى أن بخيرا قد لقى محمداً في القرن 10 في هذا اللقاء القصير (أبو الحسن الندوي، السيرة النبوية، ص 105).

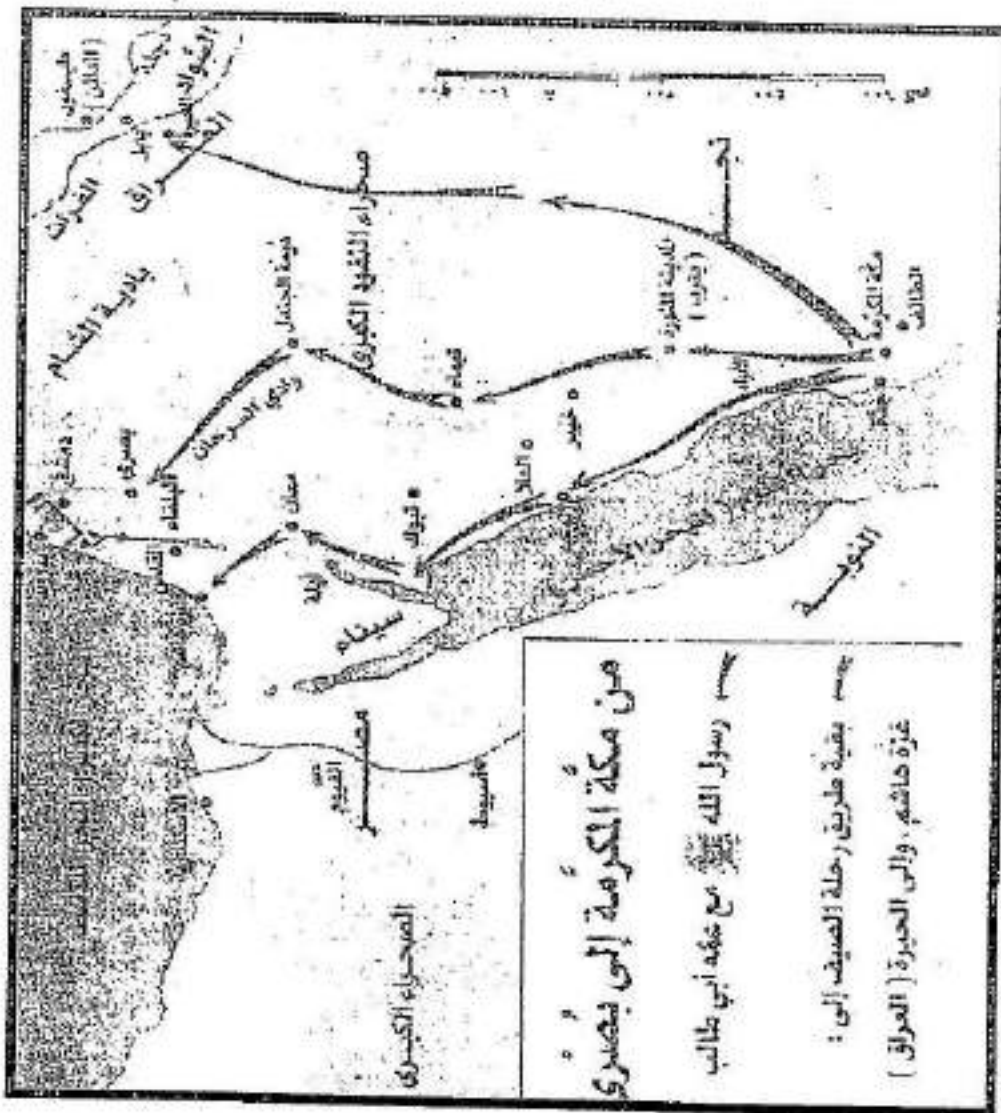
ولكن هذا التلغيق من اليسير نقده وبطلانه، ذلك أنه لا يعقل أن يجلس غلام حدث لم يتجاوز عمره الاثنتي عشرة سنة إلى زاهد كبير لا يعرف لغته وقد جلس معه في مدة قصيرة لا تتجاوز فترة أكل الطعام مع قومه، بالإضافة إلى أن الانبياء عادة يأتيهم التكليف بالرسالة في سنين الأربعين، وفي سن الرشد، فكيف يغلام بهذا السن أن يناقش أموراً دقيقة في العقيدة والقرآن وبخاصة أن القرآن لم يفرل بعد، ونزوله كان يحدث في ثلاثين عاماً من هذه الحادية، كل ذلك يثبت دعوى هؤلاء المستشرقين في هذه القصة.

شكل (1)

ملا مع من سنوات عمر النبي (صلى الله عليه وسلم)



خريطة (2) من مكة المكرمة إلى بصرى



اسئلة تقويم ذاتي



- 1- كم كان عمر النبي - صلى الله عليه وسلم - عندما توفي جده عبدالمطلب؟
- 2- ما هي الحكمة من نشأة النبي - صلى الله عليه وسلم - يتيمًا؟
- 3- اذكر واحدة من المقدمات المباركة على أن النبي - صلى الله عليه وسلم - رحمة للعالمين.
- 4- ما هو أول عمل قام به محمد صلى الله عليه وسلم؟
- 5- أين التقى بحيرا الراهب بالنبي - صلى الله عليه وسلم -؟

ثالثاً : حلف الفضول

كان محمد صلى الله عليه وسلم يشارك قومه بمهمهم وأعمالهم الخيرة وهو لم يزل شاباً، ومن تلك الأحداث حلف الفضول، وقد جاء بعد حرب الفجار، وقد دارت هذه الحرب بين قريش وكنانة من جهة، وقيس عيلان من جهة أخرى، وسميت بحرب الفجار لانتهاكها الأشهر الحرم، وتم الصلح بين الفريقين وقد شارك فيها محمد صلى الله عليه وسلم وعمره عشرون عاماً، وكان يجهز النبل لأعمامه، (ابن هشام، السيرة النبوية، ج 1، ص 154).

وعلى أثر هذه الحرب دعت بعض القبائل من قريش إلى حلف الفضول وهي: بنو هاشم، وبنو عبدالمطلب، وأسد بن عبدالعزى، وزهرة بن كلاب، وتيم بن مرة، واجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان التيمي، فتعاقدوا وتعاهدوا على نصرة أي مظلوم في مكة، من أهلها أو غيرهم حتى ترد إليه مظلومته، وشهد هذا الحلف محمد صلى الله عليه وسلم، فذكره بعد أن جاءت الرسالة حيث قال:

لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت (ابن هشام، السيرة النبوية، ج 1، ص 154).



1/ تروى كُثْبِي - صلى الله عليه وسلم - ونشأ يتيمًا، فما الحكمة من وراء ذلك؟

2/ وضع كيف استغل المستشرقون قصة الراشب بصيرا؟

رابعاً : تجارته في مال خديجة وزواجه منها

كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبدالمزى بن قصي بن كلاب، امرأة تاجرة، ذات شرف ومال تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم، وكانت قريش قومًا تجارًا، فلما بلغها عن صدق محمد صلى الله عليه وسلم وأمانته وكرم أخلاقه، بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجرًا، وتعطيه أجرًا مضاعفًا مما كانت تعطي غيره من التجار، فاستشار عمه أبا طالب فوافق، فخرج مع غلام لها يقال له ميسرة إلى الشام، فكانت رحلة تجارية موفقة مباركة، فقد ربحت التجارة ربحًا لم يعهد من قبل، ووجد ميسرة من خصائص محمد صلى الله عليه وسلم وعظم شمائله وأخلاقه ما ملأ قلبه دهشة وإعجابًا، فلما رجع إلى مكة حكى كل ذلك لخديجة، وأن محمدًا صلى الله عليه وسلم كان يتمتع بخلال عذبة، وشمائل كريمة، وفكر راجع، ومنطق عذب، ونهج أمين فأعجبت خديجة به، ورغبت في الزواج منه، وكان من قبل قد تقدم لزواجها سادات قريش ورؤساؤها فرفضتهم، ثم أسرت بالأمر إلى صديقتها نقيسة بنت منبه لتفتاح محمدًا بالزواج من خديجة، فرفض محمد صلى الله عليه وسلم، وكلم أعمامه بذلك، فتنقذوا إلى عم خديجة وخطبوا إليها، ونم الزواج، وأصدقها عشرين بكرة، وكان عمر خديجة يومئذ أربعين سنة، ومحمد صلى الله عليه وسلم في سن الخامسة والعشرين، ولم يتزوج عليها الرسول صلى الله عليه وسلم حتى ماتت .

وولدت له كل أولاده إلا إبراهيم، ولدت له : القاسم، وبه كان يكنى، ثم زينب ورقية وأم كلثوم، وقاطمة، وعبدالله، وكان يلقب بالطيب والطاهر، ومات بنوه كلهم في صغورهم، أما البنات فكلهن أدركن

الإسلام فأسلمن وهاجرن، إلا أنهن أدركتين الوفاة في حياته إلا فاطمة، والتي لحقت به بعد ستة أشهر من وفاته صلى الله عليه وسلم (ابن هشام، السيرة، النبوية ج 1، ص 189، 191).

وكانت خديجة قبل الرسول صلى الله عليه وسلم تزوجت برجلين، الأول منهما عتيق بن علفظ التميمي، ثم خلفه أبو هالة التميمي، واسمه هند بن زرارة.

الدروس المستفادة

1- إن تحمل الرسول صلى الله عليه وسلم في تجارة خديجة هو مواصلة لخدمته في سبيل البريق وكان صدقه مع نفسه وأهله وأخلاقه العالية في عمله سنياً في غناه بعد فقره، وهو في راحته بعد المشقة، وصديق الله العظيم حين قال في ذلك: «لَمْ يَكُنْ يَتِيمًا قَدِيمًا، وَلَمْ يَكُنْ يَتِيمًا قَدِيمًا، وَوَجَدَ بَنَاتًا فَتَتَمَّى» (الضحى، الآيات 5، 6، 7).

2- كان زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من خديجة فتحاً له وله عويدة عظيمة بعد، فكانت أول من آمن بالله، وفرت له سبل العيش الكريم ليتفرغ هو للدعوة، ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يكن لها وداً خاصاً يحفظها ويحترقها، ويذكر كتاب التكملة أنه كان يذكرها في كل خير، حتى كانت السيفكة عائشة تغير من ذلك، روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: «ما عرت علي ثياب النبي صلى الله عليه وسلم إلا من خديجة، وإنني لم أدركها». قالت: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكاد يخرج من البيت حتى ينكر خديجة ويحسن عليها، فذكرها يوماً من الأيام، فأخذتني الغيرة فقلت: «لماذا لا يخرجونك من عند الله خيراً منها؟» فغضب ثم قال: «ولا والله ما أبدلتني الله خيراً منها». ثم أتتني مني الناس، وصديقتني إن كذبتني الناس، واستفتني بماله، أو خديتني الناس، فذكرني الله منها الولد دون غير ما من النساء» (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 2، ص 189).

3- من خلال هذا الزواج يدرك الإنسان عدم اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بأسباب المتعة الجسدية ومكملاتها، فلو كان مهتماً بكيفية أقرانه من الشباب لتزوج بمن هي أقل منه سناً، أو على الأقل بمن هي مساوية له في السن، ولكن الأمر ليس كذلك، فقد رغب فيها صلى الله عليه وسلم لشرفها ونبلها، حتى أكانت تلقب بالعفيفة الطاهرة (المباركة كقوري، الرحيق المختوم، ص 67).

4- إن بقاء هذا الزواج قائماً حتى وفاة السيدة خديجة عن خمسة وستين عاماً، وقد ناهز النبي صلى الله عليه وسلم الخمسين عاماً، دون أن يفكر خلالها بالزواج بأي امرأة أو فتاة أخرى، لدليل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم تشغله قضايا الشهوة الجسدية والمتعة بالنساء لا سيما وأن ما بين العشرين والخمسين من عمر الإنسان، هو الزمن الذي تتجرك فيه رغبة الإنسان في الاستزادة من الضيق، والليل إلى تعبد النساء للدوافع الشهوانية، لكن متحداً صلى الله عليه وسلم تجاوزت هذه الفترة دون أن يضم إلى خديجة امرأة أخرى أو أمه، وكان بإمكانه أن يفعل ذلك وأن يخرج على ما يوف أو عرف بين الناس على الرغم من أنه تزوج خديجة وهي أمه وكانت تكبره كثيراً (مهدي رزق الله، السيرة النبوية، ج 1، ص 153).

وفي هذا ما يلجأ أفواه أولئك الحلقين على الإسلام من المبشرين والمستشرقين وعبيدهم الذين يسبون من ورائهم، والذين حاولوا جامدين الطعن في رسالة الإسلام من خلال زواج النبي صلى الله عليه وسلم بصورة الرجل الشهواني الخارق في ثبات الجسد، ولكن اتضح من خلال زواجه أنه عكس ذلك تماماً، فالرجل الشهواني لا يعيش حتى سن الخامسة والعشرين في بيئة جاهلية، عفيف النفس دون أن يشتاق إلى مغازي الرذيلة والفساد، والتي كانت تضيق به من كل جانب، والرجل الشهواني لا يقبل بعد ذلك أن يتزوج من أمه ما يقارب من عشرين عاماً، ثم يعيش معها دون أن تمتد عينه إلى شيء مما حوله، إلى أن يتجاوز سن الشباب، ثم الكهولة، ويذهب في مدارج الشيخوخة (البوطي، فقه السيرة، ص 54).

أما زواجه من عائشة وغيرها من أمهات المؤمنين، فلكل زيجة قصتها وحكمتها التي تزيد من إيمان المسلم بعظمة محمد صلى الله عليه وسلم، وورقة شأنه، وكمال أخلاقه، وكل قصة

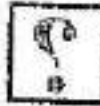
لها ظروفها الإيمانية التي تتماشى مع ظروف الدعوة والمجتمع المسلم، آنذاك، وليس كما يدعي المغرضون الحاقدون على الإسلام، بأن الغرض من تلك الزيجات هو قضاء الشهوة إذ لو كان الأمر كذلك لاستجاب محمد صلى الله عليه وسلم للشهوة التي وقتها الطبيعي، وهو سن الشباب، لاسيما وأنه كان خالي الفكر لَمْ تشغله هموم الدعوة بعد ذلك.

ولهذا فإن على شبابنا المسلم اليوم أن يتحرى الدقة وهو يقرأ سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وأن يحذر تلك الأقلام المسمومة التي تسعى لتشويه هذه الشخصية العطرة لأجل الظن في أصل الدين.

شكل (2)

سيرة ذاتية تعرف بالنبي (صلى الله عليه وسلم)

الاسم	محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم
الولادة	12 ربيع أول عام 571م (عام الفيل)
والدته	آمنة بنت وهب
القبيلة	قريش
العمل	الرعي ثم التجارة
الأبناء	إبراهيم، القاسم، عبدالله
البنات	زينب، رقية، أم كلثوم، فاطمة



- 1- ما هي المميزات التي عرضتها خديجة لـ محمد - صلى الله عليه وسلم - إن خرج في تجارة لها؟
أ- أنها سنوات عظمى قد عطف الله عليها
- 2- من هو الذي حكى عن خصال النبي - صلى الله عليه وسلم - خديجة؟
ب- علي بن أبي طالب
- 3- إلى من أسرت خديجة برغبتها في الزواج من النبي - صلى الله عليه وسلم -؟
ج- إلى أبي طالب
- 4- كم كان عمر النبي - صلى الله عليه وسلم - عندما تزوج خديجة؟
د- 25 سنة
- 5- ممن تزوجت خديجة قبل زواجها بالنبي - صلى الله عليه وسلم -؟
هـ- من أبي طالب

خامساً : اشتراكه صلى الله عليه وسلم في بناء الكعبة

ظلت الكعبة قائمة منذ أن بناها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وكانت بدون سقف، وبمرور الزمن تعرضت للعوادي التي أكلت بنيانها وصبدت جدرانها، وقبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بخمسين سنة تعرضت مكة لسيل عرم، انحدر إلى البيت الحرام، فأوشكت الكعبة على الانهيار التام من هذا السيل، فاضطرت قريش إلى تجديد بنيانها، واحتراماً وتقديساً لها، فلم يتفق لهم من شجرة إبراهيم شيئاً محفوظاً بين العرب إلا الكعبة، فاتفقوا على ألا يدخلوا في بنائها إلا طيباً، وعندما جاءوا إلى مدمها تهيئوها، لاعتقادهم بأن من يهدمها سيصاب بالجنون، فتقدم الوليد بن المغيرة وأخذ المعول وبدأ في الهدم، فلما لم يصبه شيء تبعه الناس في الهدم حتى وصلوا إلى قواعد إبراهيم، ثم أخذوا في البناء، حيث خصصوا لكل قبيلة جزءاً، حتى اكتمل البنيان، وسقفوه وتولى الإشراف على البناء رومي يدعى «باقوم»، ولما جاءوا إلى وضع الحجر الأسود اختلفوا في من ينال شرف وضعه في مكانه، واستمر النزاع أربعة أيام، وكادت الحرب أن تنشب لولا تدخل أبي أمية بن المغيرة المخزومي، واقترح عليهم أن يحكموا

قيما شجر بينهم أول داخل عليهم من باب المسجد فارتضوه، وشاء الله أن يكون أول داخل هو محمد صلى الله عليه وسلم، فلما رأوه قالوا : هذا هو الأمين، رضينا، هذا هو محمد، فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر، طلب رداءً، فبسطه وحمل الحجر بيديه ووضعته وسط الرداء، ثم نادى برؤساء القبائل المتنازعة بأن يمسكوا بأطراف الرداء، وأمرهم أن يرفعوه حتى إذا أوصلوه إلى موضعه أخذه بيده فوضعه في مكانه، وهذا حل حصيف رضي به القوم (المباركفوري، الرحيق المختوم، ص 68). وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد شارك في بناء الكعبة مشاركة فعالة، وكان يحمل الحجارة على كتفه، وعمره إذ ذاك خمس وثلاثون سنة.

تدريب (4)



ارتبط حلف الفضول بحرب الفجار والتي دارت أحداثها في الجاهلية، وقد دلت على تقاليد قريش والعرب التي تحرم الحرب في الأشهر الحرم، وضح لماذا أكد النبي - صلى الله عليه وسلم - على أهمية حلف الفضول.

التدوين المستفادة

1- مدى حكمة النبي صلى الله عليه وسلم في تدبير الأمور، وسياسة القضايا، وقطع دابر الخصومات بين قوم قليلاً تقع الخلاف بينهم، ثم نأمت الفتنة قبل أن يتراق الدماء والتي كان يشعلها الكثيرون، ذلك أن بني عبد المطلب قد حضروا حفلة جملة دعاة قريش، ثم تعاقدوا على أن لا يقاتلوا في الأشهر الحرم، فبسطوا يدهم في ذلك الدم، ولكن دعاة طلقاء هذه الفتنة على يد الرسول صلى الله عليه وسلم، ذلك لأن الله قد اختاره لنبيه، فبعض الروايات النبوية، وأن يعلق نوار الفتنة في العالم كله، وأما من فتنة قريش (البوطي، فتح البصرة، ص 69).

2- إن قبول قريش تحكيم محمد صلى الله عليه وسلم في أمر وضع الحجر الأسود في مكانه من البيت الحرام، ووصفهم له بالأمين، لدليل على تربية الله سبحانه وتعالى لنبيه على مكارم الأخلاق التي كان من بينها الصدق والأمانة. (التدوي، السيرة النبوية، ص 81).

3- جاء إسهام الرسول صلى الله عليه وسلم في القضايا الكبرى التي عاشتها مكة آنذاك متنوعاً شاملاً مغطياً شتى مساحات العمل البشري الجماعي، وكأنه أريد له أن يجرب كل شئ، وأن يسهم عاملاً في كل اتجاه، وأن يبني غير نشاطاته المتنوعة جميعاً شخصية قادرة على التصدي لكل مشكلة، والإسهام الإيجابي الفعال في كل ما من شأنه أن يعيد حقاً أو يقيم عدلاً.. فكانت هذه المشاركات قد اكتسبته خبرة طيبة في مجال التعامل مع الأحداث.

تدريب (5)



ضع دائرة حول حرف الإجابة الصحيحة

1/ ولدت خديجة كل أولاد النبي - صلى الله عليه وسلم - جميعاً ما
عدا:

(أ) عبدالله (ب) إبراهيم (ج) القاسم

2/ أدرك الإسلام من أولاد النبي - صلى الله عليه وسلم -:

(أ) إبراهيم (ب) القاسم (ج) لم يدركه واحد منهم

3/ أدركت الوفاة بنات النبي - صلى الله عليه وسلم - في حياته ما
عدا:

(أ) زينب (ب) رقية (ج) فاطمة

4/ شارك النبي - صلى الله عليه وسلم - في بناء الكعبة عندما هدمها
السيل وعمره: ح. ١٢ سنة

2. نزول الوحي على النبي (صلى الله عليه وسلم)

1.2 الاختلاء في غار حراء

عندما قاربت سن الرسول صلى الله عليه وسلم الأربعين، نشأ لديه حب للعزلة، وكانت تأملاته السابقة قد وسعت الشقة العقلية بينه وبين قومه، فكان يرفض ما عليه قومه من عبادة الأصنام، وما عرفوا فيه من الفساد والمجون، فلم يسجد لصنم قط، ولم يحضر مجلساً من مجالس لهوهم وعبثهم وفسادهم، فخاله تعالى الذي يعلم حيث يجعل رسالته، صان نبيه من عبث الجاهلية وفسقها ومجونها، فاتجه عليه الصلاة والسلام إلى التفكير والتأمل، واختار لذلك مكاناً بعيداً عن صخب مكة وضجيجها، وهو غار حراء في جبل النور؛ يبعد بنحو ميلين عن مكة، فكان يخلو فيه ويتعبد فيه الليالي نوات العدد، فتارة عشرة، وتارة أكثر من ذلك إلى شهر، ثم يعود إلى بيته ليملك قليلاً حتى يتزود من جديد لخلوة أخرى، ويعود الكرة إلى غار حراء، وكان اختياره صلى الله عليه وسلم لهذه العزلة طرفاً من تدبير الله له ليكون بعيداً عن ضجة الحياة وشواغل الدنيا، استعداداً لما ينتظره من الأمر العظيم، وهو حمل الأمانة الكبرى لتغيير الحياة.

الدروس المستفادة

هذه العزلة توضح للمسلمين بحكمة والداعين إلى الله، وخاصة أن المسلم لا يكمل إسلامه مهما كان متطلياً بالفضائل، فالحق بالوأن العبادات، حتى يجمع إلى ذلك صفات تؤمن العزلة والخلوة بجانب فيها التقوى، والقرآن، الله تعالى، ليفكر في خطيئته، ودلائل ذلك على عظمة الله.

في هذه العزلة، الله عز وجل، التي القلب، فهو يجمع الصفات والصفات في الدعوة، ساجدة على هذه، والاشيئة التي ذلك، وفي الأيمان به، كونه القوي، في الآلهة، وتعه، التأمل في مدى كلاله، عظمته، أحم الإحتار من ذكره، شجافته، وتعالى، بالقول، في اللسان، وأما بعد كل ذلك، العزلة والخلوة، والأيمان، في شواغل الدنيا، وحسن حالها.

3- يجب ألا يفهم الشباب المسلم أن الخلوة تعني الإحصراف الكلي عن الناس واتخاذ الكهوف والجبال موطناً، كما تفعل بعض الجماعات الإسلامية اليوم، فذلك مخالف لإدريه صلى الله عليه وسلم، وإنما المراد هو استحباب اتخاذ الخلوة دواءً لإصلاح الحال، والدواء يجب أن يروجق بقدرة وعند اللزوم، وإلا انقلب إلى داء يئغي اقتبى منه (البوطي) فقه السيرة، ص (62).

والمؤمن الذي يخالب الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من الذي لا يخالبهم ولا يصبر على أذاهم (أخف بن خنيل) مسند الإمام أحمد، (94/7).

أسئلة تقويم ذاتي

- 1- من هو أول من بدأ بهدم الكعبة عندما خربها السيل؟
- 2- كيف توصلت القبائل إلى حل مسألة وضع الحجر الأسود في مكانه؟
- 3- لماذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يذهب إلى غار حراء قبيل الدعوة؟
- 4- كيف شارك النبي - صلى الله عليه وسلم - في بناء الكعبة؟

2.2 نزول الوحي

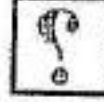
حينما اكتمل عمر محمد صلى الله عليه وسلم أربعين عاماً (وفيها تبعث الرسل) بدأت طلائع الوحي والنبوة تلوح وتظهر، فقد روى الإمام البخاري عن السيدة عائشة تصف كيفية بدء الوحي، وتقول: «أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة ليتزود بمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، وذلك في 17 رمضان في السنة

الحادية والأربعين من ميلاده، (أغسطس 610م) وهو في بقعة ووعي، فقال له اقرأ، قال ما أنا بقارئ (أي ماذا أقرأ؟) قال صلى الله عليه وسلم : فأخذني فغطني (أي ضمني) حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني (أي تركني) فقال : اقرأ، فقلت ما أنا بقارئ؟ قال : فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال : ماقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم» (العلق، الآيات 1 - 5) .

لقى ملك الوحي جبريل عليه السلام على قلب النبي صلى الله عليه وسلم هذه القطرات الأولى من الفيض الإلهي من وحي الله سبحانه وتعالى، ولما أفاق النبي صلى الله عليه وسلم من المفاجأة تملكه شعور غير عادي، فقال : فخرجت حتى إذا كنت في وسط الجبل، سمعت صوتاً من السماء يقول : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل، فرفقت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر، فجعلت أصرف وجهي في أفق السماء فلا أنظر في ناحية إلا رأيتته كذلك، فمازلت واقفاً ما أتقدم وما أرجع ورأيتني حتى بعثت خديجة رسلها في طلبني، فبلغوا أعلى مكة، ورجعوا إليها، وأنا واقف في مكاني ذلك، ثم انصرف عني وانصرف راجعاً إلى أهلي .

فرجع إلى خديجة يرجف فؤاده، فدخل إليها فقال : «زملوني زملوني، أي غطوني - فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة : مالي؟ فأخبرها الخبر، «لقد خشيت على نفسي»، فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت خديجة حتى أتت به إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، ابن عم خديجة وكان ورقة قد تنصر في الجاهلية ويعرف نعلم أهل الكتاب، وكان كبيراً في السن، فقالت له خديجة : يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، ياليتني فيها جذعا (أي شاباً قوياً) ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أو مخرجي هم؟» قال : نعم، لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرأ مؤزراً، ثم لم يلبث ورقة أن توفي وانقطع الوحي (صحيح البخاري، ج2، ص 339) .

اسئلة تقويم ذاتي



- 1- كيف وصلت السيدة عائشة رضي الله عنها بده الوحي؟
- 2- كم كان عمر النبي - صلى الله عليه وسلم - عندما جاءه جبريل في غار حراء؟
- 3- كيف لقن جبريل عليه السلام النبي - صلى الله عليه وسلم - القراءة؟
- 4- ما هي أول سورة من القرآن نزلت على النبي - صلى الله عليه وسلم -؟

شكل (3)

أحداث حوار نزول الوحي بين جبريل عليه السلام والنبي (صلى الله عليه وسلم)

جبريل	اقرأ
محمد	ما أنا بقارئ
جبريل يضم إليه النبي بشدة ثم يتركه	
جبريل	اقرأ
محمد	ما أنا بقارئ
جبريل يضم إليه النبي بشدة ثم يتركه	
جبريل	اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم

الدروس المستفادة

1- حديث بدء الوحي هو الأساس الذي تترتب عليه جميع حقائق الدين بعقائده وتشريعاته، وفهمه واليقين به هما المدخل الذي لا بد منه إلى الإيمان بسلار ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من إخبارات غيبية وأمور تشريعية، ذلك أن حقيقة الوحي هي الفيصل الوحيد بين الإنسان الذي يفكر من عنده ويشعر بواسطة رأيه وعقله، والإنسان الذي يبلغ عن ربه دون تغيير أو تبديل.

ولهذا اهتم محترفو التشكيك بالإسلام، وبذلوا جهوداً خارقة من أجل تشويه حقيقته، فخلطوا بينه وبين الإلهام وحديث النفس، بل حتى الصراع الذي وهبوا به الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك كله من أجل الوصول إلى غاية واحدة، وهي القول بأن كل ما دعا إليه من أجل حفظ حضرة الله عليه وسلم من المبادئ والأحكام التشريعية ليس إلا من نتجته الذات (اليوطني، فقه السيرة، ص 64).

ونحن حينما ننظر إلى هذه التسلطات العجيبة، ندرك بوضوح الحكمة الإلهية الباهرة من بدء الوحي عليه صلى الله عليه وسلم بهذه الطريقة، التي استعملها الله تعالى، لقد فوجئ محمد صلى الله عليه وسلم وهو في غار حراء بجبريل عليه السلام أمامه، يراه بعينه، وهو يقول له: اقرأ، حتى يتبين أن ظاهرة الوحي ليست أمراً ذاتياً داخلية موروثة إلى حديث النفس المجرد، وإنما هي استقبال وتلق لحقيقة خارجية لا علاقة لها بالنفس ودخل الذات. (ينتهي نوح الله، السيرة النبوية، ج 1، ص 161).

كان صديق الملك إيفاء ثم إرساله ثلاث مرات قائلاً في كل مرة: اقرباً، ليعتبر تأكيداً لهذا التلقائي الخارج عن مبالغة في شيء ما قد يتصور من أن الأمر لا يعدو كونه خيالياً داخلية فقط. كان محمد صلى الله عليه وسلم قد داخله الخوف في الرعب مما رأى وسمع، حتى قطع خطواته في الغار وعاد مشرعاً إلى البيت يرجف فرادة، لكي يتضح لكل يفكر عاقل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن على علم بشيء من أنبياء الله الذين سيدعى إلى

حملها، وإنما هي أمر طارئ فوجئ بها دون أي توقع سابق .

إن ذهاب خديجة به عليه الصلاة والسلام إلى ورقة بن نوفل وعرض الأمر عليه، تأكيد من جانب آخر بأن هذا الذي فوجئ به عليه الصلاة والسلام إنما هو الوحي الإلهي الذي كان قد أنزل على الأنبياء من قبله، وإزالة لغاشية اللبس التي كانت تحوم حول نفسه، بالخوف من التصورات المختلفة عن تفسير ما رآه (البوطي، فقه السيرة، ص 66)

2- إن ابن جرير حديث بدء الوحي على النحو الذي ورد في الحديث الثابت الصحيح، يتطوّر على هذا كل ما يحاول المشككون تخيله إلى الناس في أمر الوحي والنبوة التي أكرم الله بها محمدًا عليه الصلاة والسلام، وإذا تبين لك كل ذلك، فركت مدى الحكمة الإلهية العظيمة في أن يكون بداية الوحي على النحو الذي أرادته القدر وجل . (البوطي، فقه السيرة، ص 67)

3- إن كان الوحي أمرًا ذاتيًا لما جاءت آيات في القرآن الكريم تفتّح عليه، أو تأويله لبعض المؤلفين على اعتبار أنه حين أعرض عن عبد الله بن أم مكتوم، فنزلت سورة فيضمون هذا الموقف، وفي السورة «عيسى» فاعتابه له حين أدرك من طلب فداء التلخف عن ضرورة تنبؤك : «عفا الله عنك» . إنك لهم حتى تبين لك الذين صدقوا أو تعلم الكاذبين (التوبة، الآية 43)

4- ولو كان الوحي أمرًا ذاتيًا لما كان الرسول صلى الله عليه وسلم ينسكت من بعض إجابات السائلين الغفيرة، وقد تطوّر وقد تضمنت، ولما عانى من بعض الأحداث مثل حادثة الإفك الذي استمرّت خمسة أشهر .

5- اقتضت حكمة الله أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم لا يعرف القراءة ولا الكتابة، وفي ذلك إيمانًا بحكمة الله في اختيار القرآن (ميداني) وفق الله السيرة النبوية، ج 1، ص 167، وفي ذلك يقول الله تعالى : «وما كنت تتلو من كتاب ولا تحطه بيمينك إلا أنزلناك المثلون» (العنكبوت، الآية 48)

3.2 انقطاع الوحي ثم تنابذه

بعد أن بدأ الوحي في النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد أن اطمأن على نفسه من خلال حديث خديجة وورقة بن نوفل، انقطع الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لفترة من الزمن اختلف المؤرخون في تقديرها، فقال بعضهم : امتدت لسنوات، وقال آخرون امتدت لشهور، وقال فريق ثالث إنها امتدت لأيام فقط وهو الأرجح (الزرقاني - شرح المصاب، ج 1، ص 632).
 وصور بعضهم حالة النبي صلى الله عليه وسلم في فترة الانقطاع بأنه كان حزينا، حتى قيل إنه كان يحاول أن يتردى من شواطئ الجبال وهو قول ضعيف، بعد فترة الانقطاع تلك نزل الوحي عليه مرة أخرى، وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم : «بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فوعيت منه، فرجعت فقلت زملوني، زملوني، فأنزل الله عز وجل : «يا أيها المدثر قم فأأنزله إلى قوله : «والرجز فاهجر، فحمى الوحي وتواتره» (البوطي، فقه السيرة، ص 63).

الدروس المستفادة

1- لقد اتصف محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الذي نزل فيه الوحي في غار حراء، بصفات طويلة، وأن يشهد له القلق من الخلق، ثم يتحول القلق لديه إلى خوف من أن يكون الله عز وجل قد قلده، بعد أن أراد أن ينشققه بالوحي والرسالة لمسودة قد صيد من منه، حتى ضاقت الدنيا عليه .. وهذه الحالة التي مر بها الرسول صلى الله عليه وسلم تؤكد أن الوحي ليس الهاماً نفسياً، لأن صانعي الإنجازات النفسية، والقاملات الفكرية، لا يجزئ الهامة، أو تفكيره، بمثل هذه الأحوال.

2- في انقطاع الوحي بحكمة أرادها الله، ليحصل لديه صلى الله عليه وسلم، التيقن إلى العبودية بعد أن ثبتت لديه الحقيقة أنه أصبح نبياً.

3- أن نزول الوحي مرة أخرى هو تأكيد لنبوته صلى الله عليه وسلم، ولهذا كان اهتمامه واضحاً بالقرآن لأنه موحى به إليه بنفس اللفظ والحروف في أسطة جبريل عليه السلام.

ولهذا أمر أصحابه بأن يحفظوه ويكتبوه، أما الحديث فقد أمر بأن يودعوه ذاكرتهم حتى لا يختلط عليهم الوحي بالحديث .

4- أن الحديث عن انزعاج النبي صلى الله عليه وسلم من انقطاع الوحي عنه إلى درجة أنه هم بأن يلقي بنفسه من شواقى الأحيال، لهو حديث مبالغ فيه، وهو قول ضعيف، فما كان للداعية الذي صنعه الله أن يلجأ إلى ما يخالف تعاليم الله، وإلى ما يغضب الله من أزهاق نفوس أو روح .

تدريب (6)

تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة بنت خويلد رغم فارق السن بينهما، وتزوج بعد وفاتها نساء أخريات، وقد حاول بعض المستشرقين استغلال هذه القضية للطعن في أصل الدين ، ناقش هذا الموضوع من خلال دراستك للسيرة النبوية .



الخلاصة

عزيزي الدارس، لا شك أنك قد استقذت كثيراً من قراءتك لهذه الوحدة والتي كثر موضوعها نسب ومولد ونشأة النبي - صلى الله عليه وسلم - ونزول الوحي. والآن عزيزي الدارس، هيا معاً لنقدم ملخصاً لما اشتملته هذه الوحدة.

عرفتنا هذه الوحدة على نسب النبي - صلى الله عليه وسلم - كما علمنا أنه جاء من أعلى بيوت قريش نسباً فأبوه عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وأمه أمنة بنت وهب وزالدهما سيد بني زهرة. وقد ولد النبي - صلى الله عليه وسلم - في يوم الاثنين 12 ربيع الأول عام 571م وهو عام الفيل.

نشأ النبي - صلى الله عليه وسلم - تحت رعاية عمه أبي طالب وسرعان ما تطلع النبي - صلى الله عليه وسلم - للعمل حيث عمل على رعي الغنم، ومن ثم عمل بالتجارة وكان مشهوراً له بالصدق والأمانة والنزاهة، وكل هذا أهله إلى أن يتولى تجارة السيدة خديجة بنت خويلد والتي احترزت نجاحاً ومكاسب كثيرة. وكانت خلاصة عمله مع خديجة أن طلبته للزواج حيث تزوجها النبي - صلى الله عليه وسلم -.

وعندما قارب النبي - صلى الله عليه وسلم - سن الأربعين حال للوحدة والعزلة وأصبح كثير التأمل والتفكير وكان يفعل كل ذلك في غار حراء، وعندما بلغ النبي - صلى الله عليه وسلم - سن الأربعين نزل عليه الوحي في غار حراء بواسطة الملك جبريل عليه السلام، وكان أول ما نزل من القرآن هي سورة العلق.

ومن ثم أبلغ جبريل النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه رسول الله وأنه هو جبريل عليه السلام، وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - في ذهول من هذا الأمر، وعندما أفاق رجع إلى خديجة وأخبرها بما حدث. ومن ثم انطلقا إلى ورقة بن نوفل وذكر لهما أن هذا ما يحدث للرسول.

الوحدة السابقة هي الوحدة الثانية

عزيزي الدارس، لا شك أنك كنت لا تتمنى أن تنتهي الوحدة السابقة وأن يتواصل الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ولكن لا بأس سيتواصل الحديث عن سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - في الوحدة القادمة، وهي تحدثك عن دعوة النبي - صلى الله عليه وسلم - لأهل مكة للإسلام، ومعارضة قريش لها، ومن ثم هجرة الصحابة إلى الحبشة.

عزيزي الدارس، في سبيل وقف نشر الإسلام وقلت قريش مواقف كثيرة كان الهدف منها التأثير على النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى يتنازل عن ما يدعو إليه وقد سلّكوا في ذلك دروبا شتى، منها التعذيب والسخرية والاستهزاء والمساومات، وعندما ضاق المقام في مكة بالمسلمين نزلت سورة الزمر تشير إلى الهجرة، وكانت الهجرة إلى الحبشة.

كما تعرفك الوحدة عزيزي الدارس بأحداث هامة في فجر الدعوة الإسلامية كان لها كبير الأثر على مسيرتها مثل إسلام حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب.

اجابات التكريرات

تدريب (1)

1/ نعم

2/ لا

3/ لا

4/ لا

5/ لا

تدريب (2)

كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يلعب مع الغلمان فجاءه جبريل عليه السلام وصرعه وشق صدره واستخرج قلبه، ومن ثم استخرج من القلب علقه وقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسل القلب في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه وأعاده في مكانه. يبدو أن الحكمة في الحدث هي إعلان أمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - وتهيؤه للعصمة والوحي منذ صغره بوسائل مادية، ليكون ذلك أقرب إلى إيمان الناس به وتصديقهم برسالته إنها إذن عملية تطهير معنوي، اتخذت هذا الشكل المادي الحسي ليكون ذلك الإعلان الإلهي بين أسماع الناس وأبصارهم.

تدريب (3)

- 1/ ليس من قبيل المصادفة أن يولد رسول الله صلى الله عليه وسلم - يتيماً، ثم لا يلبث أن يفقد جده أيضاً فينشأ بعيداً عن تربية الأب ورعايته محروماً من عاطفة الأم وقد اختار الله عز وجل لنبيه هذه النشأة بحكم باهرة من أهمها :
1- حتى لا يدخل المبطلون في قلوب الناس أن محمداً رضع لبان دعوته ورسالته التي نادى بها بالارشاد من أبيه وجده خاصة أن جده زعيم قريش وسيد مكة.
- 2- أن يكون النبي - صلى الله عليه وسلم - بعيداً عن المال والجاه الذي يزيد في تنعيمه وحتى يتأثر بما حوله من معنى الصدارة والزعامة وحتى لا يلتبس على الناس قداسة النبوة بحياة

الدنيا.

2/ حاول المستشرقون تحريف القصة للطعن في رسالة النبي - صلى الله عليه وسلم - وهي الإسلام. وذكروا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - تلقى تعاليم للتوحيد من عالم نصراني، بل إن النصراني لقن القرآن الكريم جميعه للنبي - صلى الله عليه وسلم -.

تدريب (4)

إن رفض قريش للظلم في هذه الفترة لدليل على تمييزهم عن غيرهم من العرب واحترامهم لبيت الله الحرام، مما جعلهم على استعداد لاستقبال رسالة الإسلام التي حملها واحد من ابنائهم، ولا غرابة أن يؤكد الرسول - صلى الله عليه وسلم - على أهمية ذلك الحلف لأن مضمونه هو مضمون ما دعا إليه الإسلام في أمر احقاق الحق وإبطال الظلم.

تدريب (5)

1/ (ب)

2/ (ج)

3/ (د)

4/ (أ)

تدريب (6)

حاول المستشرقون النيل من الإسلام وذلك عندما طعنوا في رسالة الإسلام حيث صوروا النبي - صلى الله عليه وسلم - في صورة الرجل الشهواني الغارق في لذات الجسد، ولكن قولهم ذلك لا ينطبق على النبي - صلى الله عليه وسلم - فالرجل الشهواني لا يعيش عفيفاً حتى عمر الـ 25 دون أن يقع في الرذيلة، ولا يتزوج من امرأة تكبره بضعف عمره، أما زواجه - صلى الله عليه وسلم - من أمهات المسلمين فلكل زيجة قصتها وحكمتها التي تزيد من إيمان المسلم بعظمة محمد صلى الله عليه وسلم.

المصادر والمراجع

- 1- القرآن الكريم.
- 2- ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن الجزري) ، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1386هـ - 1996م.
- 3- ابن القيم (شمس الدين أبو عبد الله) ، زاد المعاد، المطبعة المصرية 1347هـ.
- 4- ابن سعد (محمد بن سعد) - الطبقات الكبرى، دار صادر (بيروت)، 1388هـ - 1968م.
- 5- ابن كثير (أبو الفداء الحافظ ابن كثير) ، البداية والنهاية في التاريخ، مكتبة المعارف، بيروت 1417هـ - 1997م.
- 6- ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن هشام)، السيرة النبوية، مطبعة بابي الحلبي، القاهرة 1375هـ - 1955م.
- 7- أبو الحسن الندوي ، السيرة النبوية، دار الشروق، 1995م.
- 8- الأزرقى ، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، طبع بيروت ومكة المكرمة 1399هـ - 1979م.
- 9- الإمام أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، المكتب الإسلامي، بيروت، 1398هـ - 1978م.
- 10- البخاري (الإمام أبو عبد الله) ، صحيح البخاري ، المكتبة الرحيمية بالهند. 1397هـ - 1977م.
- 11- البوطي (محمد رمضان البوطي)، فقه السيرة، بيروت 1419 - 1999م.
- 12- الترمذي (محمد بن عيسى) ، شمائل الترمذي، دلهي ، الهند، 1385هـ - 1965م.
- 13- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير)، تاريخ الأمم والملوك، دار المعارف، القاهرة (د.ت).
- 14- الغزالي (الشيخ محمد الغزالي)، فقه السيرة، دار القلم، دمشق، 1418هـ - 1998م.
- 15- المسعودي (أبو الحسن علي بن حسين) مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار المعرفة، بيروت (د.ت).

- 16- الواقدي (محمد بن عمر بن واقد)، مغازي الواقدي، طبع بيروت، 1384هـ - 1964م.
- 17- اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب)، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، 1379هـ - 1960م.
- 18- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1399 - 1979م.
- 19- حسن أحمد محمود، انتشار الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، مكتبة النهضة، 1966م.
- 20- صفى الرحمن مباركفوري، الرحيق المختوم، دار الوفاء، 1424هـ - 2003م.
- 21- عبدالشافى عبداللطيف ومحمد جبر أبو سعدة، دراسات في السيرة النبوية، طبع، القاهرة 1979م.
- 22- محمد الشريف، الرسول في القرآن الكريم، طبع، القاهرة، 1980م.
- 23- محمد جمال الدين سرور، قيام الدولة العربية الإسلامية في حياة محمد صلى الله عليه وسلم، دار الفكر، القاهرة 1952.
- 24- محمد الخضري بك، تاريخ الأمم الإسلامية، المكتبة التوفيقية، القاهرة، 1382هـ - 1962م.
- 25- مهدي رزق الله أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، دار إمام الدعوة للنشر والتوزيع - السعودية 1424هـ - 2003م.
- 26- ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1379هـ - 1977م.



محتويات الوحدة

الصفحة	الموضوع
92	مقدمة
92	تمهيد
93	أهداف الوحدة
94	1. الدعوة في مكة
94	1.1 المرحلة الأولى
97	2.1 المرحلة الثانية
100	2. معارضة قريش للدعوة
101	1.2 أساليب المعارضة
115	2.2 أسباب المعارضة
121	3.2 الهجرة إلى الحبشة
125	3. أحداث هامة في فجر الدعوة
125	1.3 إسلام حمزة وعمر
128	2.3 المقاطعة العامة
130	3.3 عام الحزن
132	4.3 الخروج إلى الطائف

الصفحة	الموضوع
139	5.3 الإسراء والمعراج
144	الخلاصة
146	لمحة سابقة عن الوحدة التالية
147	إجابات التدريبات
150	المصادر والمراجع

تقديم

عزيزي الدارس، قبل أن نتعرف على ما تحتويه الوحدة الثالثة نودع إلى مرحلتين السابقتين محاول أن نسترجع ما في ذاكرتك من ما درستَه قديماً.
إذن الآن لنعرف على ما تحتويه الوحدة الثالثة من سيرة السيرة النبوية في هذه الوحدة هو: الدعوة في مكة ومعارضة قريش والهجرة إلى الحبشة.
كما يلي:

في القسم الأول نتناول الوحدة موضوع الدعوة في مكة في مرحلتين: مرحلة وهي بعد نزول سورة المدثر حيث شرع النبي يكلم الناس عن الإسلام واتبعه. كانت هذه المرحلة سرية، أما المرحلة الثانية فقد كانت جهرية.

أما القسم الثاني فتفصل فيه الوحدة عن معارضة قريش للدعوة الإسلامية وذلك من خلال شرح أسباب المعارضة وأساليبها، بجانب تناول الهجرة إلى الحبشة.
والقسم الثالث يتناول أحداثاً هامة في فجر الدعوة الإسلامية كان لها أبلغ الأثر في مسيرة الدعوة والإسلام، ومن ذلك إسلام حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب ووفاء كل من أبي طالب وخديجة بنت خويلد، ومن بعد ذلك خروج النبي صلى الله عليه وسلم، إلى الطائف، ومن ثم الإسراء والمخارج.

عزيزي الدارس، كل ما قرأت فقرة أو أكثر نرجو منك أن تحل أسئلة التقويم أو التدريب الذي تجده بعد ذلك، لأنها تساعدك في فهم واستيعاب ما قرأته، خاصة وأن هذه الوحدة بها الكثير من المعجزات والحكم والعبر التي يجب الوقوف عندها وقبيلها فهماً جيداً.
عزيزي الدارس، نتمنى لك التوفيق والسداد في قراءة هذه الوحدة، ولا شك أنك سترجع إلى مشرفك الأكاديمي فيما أشكل عليك.

عزيزي الدارس، بعد انتهائك من دراسة هذه الوحدة، نتمنى أن تكون قادراً على أن:



- تحدد المرحلتين اللتين موت بهما الدعوة الإسلامية في مكة.
- توضح أسباب وأساليب معارضة قريش للدعوة الإسلامية وهجرة المسلمين للحبيشة.
- تشير إلى أهم الأحداث التي حدثت في فجر الدعوة الإسلامية.
- تعرف بمعجزة الإسراء والمعراج والرد على دعاة الاستشراق الذين سموا لتشويه هذه المعجزة.

١. الدعوة في مكة

عزيزي الدارس، ربما تعرف الكثير من المعلومات عن دعوة النبي - صلى الله عليه وسلم - في مكة، والآن لتعيد معاً إلى ذاكرتنا هذه المعلومات .
مرت الدعوة الإسلامية في مكة بمرحلتين أساسيتين : المرحلة السرية والمرحلة الجهرية، وتخللت المرحلتين أحداث مرتبطة بظروف الدعوة ومسيرتها، كما واجهت الدعوة في مرحلتها معارضة قوية من قريش تنوعت وتطورت في أساليبها، واستمرت حتى هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة .

١.١ المرحلة الأولى

شكل (1)

ملامح المرحلة الأولى من الدعوة

طبيعة الدعوة	المعنيون بالدعوة	أوائل المسلمين	مكان تعليم النبي - صلى الله عليه وسلم - القرآن للمسلمين
سرية	أهل بيت النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وكل من توسم فيه الخير	خديجة بنت خويلد ، زيد بن حارثة، علي بن أبي طالب، أبو بكر الصديق	دار الأرقم المخزومي

وبدأت قرر نزول آيات سورة المدثر على الرسول صلى الله عليه وسلم، قال تعالى : (يا أيها المدثر، قم فأندر، وربك فكبر، وثيابك فطهر، والرجز فاهجر...) (المدثر، الآيات 1 - 5)
كانت هذه الأوامر المتتالية القاطعة، إيماناً للرسول صلى الله عليه وسلم بأن الماضي قد انتهى بمنامه وهذونه وسلامه، وأنه أمام عمل جديد يستدعي اليقظة والتشهير والإنذار والإعذار، والاعتماد على الله (محمد الغزالي، فقه السيرة، ص 90) .
فشرع محمد صلى الله عليه وسلم يكلم الناس في الإسلام، ويعرض عليهم الأخذ بهذا الدين الذي أرسله الله به، وأن ينهضوا الأصنام ويتركوا عبادتها، ولكنه كان يدعو إلى ذلك سرا،

حذراً من وقع المفاجأة على قريش التي كانت متعصبة لشركها ووثنياتها، وكان من الطبيعي أن يعرض الإسلام على أقرب الناس إليه من أهل بيته، فدعاهم إليه، ودعا إليه كل من توسم فيه الخير ممن يعرفهم ويعرفونه، فأجابه من هؤلاء نفر عرفوا في التاريخ الإسلامي بالسابقين الأولين، وفي مقدمتهم: زوجة خديجة بنت خويلد، ومولاه زيد بن حارثة، وابن عمه علي بن أبي طالب، وكان صبياً يعيش في كنفالة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأسلم صديقه الحميم أبو بكر الصديق، وهو أول من صدق من الرجال، ثم نشط أبو بكر في الدعوة إلى الإسلام، وكان مأثوقاً لدى القوم لتجارته وحسن معاملته، فاستجاب له نفر كريم، منهم عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن مظعون، وأبو عبيدة بن الجراح، وأبو سلفة بن عبد الأسد والأرقم بن أبي الأرقم، (ابن هشام، السيرة النبوية، ج 1، ص 278).

وأسلم أيضاً ورقة بن نوفل، فقد روي أن الرسول صلى الله عليه وسلم رآه في المنام بعد معاته في هيئة حسنة تشهد بإيمانه، وأسلم أبو ذر الغفاري، وعمر بن عبد الله، وخالد بن سعيد بن العاص.

ومن خلال نشاط هؤلاء مع الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ الإسلام ينتشر في مكة وخارجها، ودخل فيه أناس من بطون قريش ومواليها كافة، ومن اشتهروا بين السابقين إلى الإسلام من الموالى: بلال بن رباح، وصهيب بن سنان، وعمار بن ياسر والدة، وأمه سمية بنت خياط (مهدي رزق الله، السيرة، ج 1، ص 771) وكان هؤلاء الموالى يعيشون حياة الفل والاستعباد، قرأوا في الدين الجديد خلاصاً لهم مما هم فيه من يؤس وشقاء.

ومن سبق إلى الإسلام من النساء: أم أيمن بركة الحبشية، وأم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث الهلالية، زوج العباس بن عبد المطلب، وأسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها (ابن الأثير، أسد الغابة، ج 2، ص 367) وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يجتمع بهؤلاء المسلمين الأولين سراً في دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، يتلو عليهم القرآن الكريم الذي يأتيه به جبريل، ثم يعلمهم تعاليم الإسلام، وأخذ خير الدعوة يتسرب إلى قريش، ولكنها لم

تهتم في البداية بأمر محمد ودعوته. لاعتقادهم بأن محمداً لم يتعد أن يكون أحد أولئك المتدينين الذين يتكلمون في الألوهية وحقوقها كما صفع أمية بن أبي الصلت، وقس بن ساعدة، وزيد بن عمرو بن نفيل .. وغيرهم. واستمرت هذه المرحلة السرية حوالي ثلاث سنوات، ثم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالجهار بالدعوة .

الدروس المستفادة

1- إن البدء بالدعوة سراً لم يكن سببه الخوف على حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، لأن الله تعالى قادر على حمايته من أي مكروه. ولكن الهدف من التدرج بالدعوة من طور إلى طور، وهو تعليم للدعاة في كل زمان ومكان، وإرشاد لهم على مشروعية الأخذ بالحيطة والأسباب الظاهرة، وما يقرره التفكير والعقل السليم من الوسائل التي ينبغي أن تتخذ من أجل الوصول إلى غايات الدعوة وأهدافها .

2- يجب المسألة أو الإسرار بالدعوة إذا كان الجهر أو القتال يضر بها ولا يجوز الإسرار في الدعوة إذا أمكن الجهر بها وكان ذلك مفيداً، ولا يجوز المسألة مع الظالمين والمتربصين بها، إذا توفرت أسباب القوة والدفاع عنها، ولا يجوز القعود عن جهاد الكافرين في عقر دورهم إذا ما توفرت وسائل ذلك وأسبابه .
والحكمة في ذلك هي أن هذا الدين بعث الله به أنبياءه ورسله لإخراج الناس من سلطان البشر وحكمهم إلى سلطان الله وحكمه وحده، والمناواة بالمساواة بين الناس جميعاً، وهي أمور يرفضها أولئك المتألهون والمتكبرون، وفي نفس الوقت تلبي أشواق المستضعفين والمضطهدين فينخرطون في هذا الدين الجديد، هذا بالإضافة إلى أن محمداً كان معروفاً لقريش وأتباعها بصدقه وأمانته، ولهذا كله فمن الطبيعي أن يستجيبوا لدعوته .

تدريب (1)



- ضع علامة (✓) على الجملة الصحيحة وعلامة (X) على الجملة الخطأ
- 1/ مرت الدعوة الإسلامية في مكة بثلاث مراحل.
 - 2/ بدأت الدعوة السرية بعد نزول سورة المدثر.
 - 3/ روي أن النبي صلى الله عليه وسلم - رأى في منامه خالد بن سعيد بعد وفاته في هيئة تشهد بإيمانه.
 - 4/ من الموالى السابقين إلى الإسلام عمار بن ياسر ووالده وأمه سمية.
 - 5/ كان النبي يجتمع بأوائل المسلمين في دار الأرقم بن أبي الأرقم يثار عليهم القرآن ويعلمهم تعاليم الإسلام.
 - 6/ استمرت مرحلة الدعوة السرية للإسلام حوالي ست سنوات.

2.1 المرحلة الثانية

شكل (2)

ملامح المرحلة الثانية من الدعوة

طبيعة الدعوة	المعتنون بالدعوة	مكان الدعوة	أول من عارض الدعوة
جهرية	أهل مكة	الكعبة ، جبل الصفا	أبولهب

استمر الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الناس سرّاً حتى نزل عليه قول الله تعالى : «وانذر عشيرتك الأقربين» (الشعراء، الآية 214)، فلما نزل عليه هذا الأمر الواضح دعا عشيرته وأهله وصنع لهم طعاماً في بيته، وبعد أن تناولوا طعامهم عرض عليهم الإسلام وحذّتهم قائلاً :

: «الحمد لله أحمدته وأستعينه، وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ثم قال : «إن الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلا هو، إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة، والله لأموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، وإنها الجنة أبداً أو النار أبداً».

فقال أبو طالب : ما أحب إلينا معاونتك، وأقبلنا لنصيحتك، وأشد تصديقا لحديثك، وهؤلاء بنو أبيك يجتمعون، وإنما أنا أحدهم، غير أنني أسرعهم إلى ما تحب، فامض لما أمرت به، فوالله لا أزال أحركك وأمنعك، غير أن تقسي لا تطاوعني على فراق دين عبدالمطلب .
فقال أبو لهب : هذه والله السوأة، خذوا على يديه قبل أن يأخذه غيركم، فقال أبو طالب :
والله لتمنعت ما بقينا (ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج 1، ص 584)

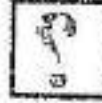
ثم انصرفوا ولم يجبه أحد، وعندما نزل قول الله تعالى : «فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين»، وهو أمر بأن ينتقل بدعوته من عشيرته الأقربين إلى دعوة أهل مكة جميعاً، وهنا ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة، وصعد جبل الصفا، ثم نادى في الناس قائلاً :
«يا صباحاه ! يا صباحاه ! (وهذا النداء يعني تذكير أمر هام) فاجتمعت قريش حوله فقال :
«أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً وراء هذا الجبل تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟ فقالوا : نعم،
أنت عندنا غير متهم، وما جربنا عليك كذباً قط، قال : فإنني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، إنما
مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يربأ أهله، فخشى أن يسبقوه، يا معشر قريش
اشتروا أنفسكم من الله، أنقذوا أنفسكم من النار، فإنني لا أملك لكم ضرراً ولا نفعاً، ولا أغني عنكم
من الله شيئاً، يا عباس بن عبدالمطلب، لا أغني عنك من الله شيئاً يا صفية بنت عبدالمطلب عمة
رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت محمد رسول الله، سليني من مالي ما شئت،
أنقذي نفسك من النار، فإنني لا أملك لك ضرراً ولا نفعاً، ولا أغني عنك من الله شيئاً غير أن لكم
رحماً سابلها بيلالها، أي سابلها حسب حقها (المباركفوري، الرحيق المختوم، ص 84، 85).
وبعد أن انتهى من خطبته صمتوا جميعاً إلا عمه أبو لهب، حيث قال له : تبا لك، ألهذا
جمعتنا، فأنزل الله تعالى رداً عليه : «تبت يدا أبي لهب وتب، ما أغنى عنه ماله وما كسبه،

سيصلى ناراً ذات لهب...» (المسد، الآيات 1 - 3)

على أن هذه الصيحة لم تذهب سدى، فقد شاع حديث الدعوة في مكة منذ ذلك اليوم. وتحدث الناس به في مجالسهم وأنديةهم، وجعلت نفوس أهل مكة تنتهياً لهذا الأمر، فأخذوا يتساهلون فيما بينهم : ما هذا الذي يدعو إليه محمد؟ فمنهم من هدى الله، ومنهم من حقت عليه الضلالة .

الدروس المستفادة

- 1- إن معاداة معظم زعماء قريش للدعوة الإسلامية، وهو الرد القاطع على من يحاولون تصوير هذا الدين بشرعته ومنهاجه، بأنه ثمرة من ثمار القومية، ويدعون أن محمداً عليه الصلاة والسلام إنما كان يمثل بدعوته التي دعا إليها آمال العرب ومطامحهم في ذلك الحين .
- 2- إن خصوصية الأمر بإنذار العشيرة بالدعوة فيه تلميح لدرجات المسؤولية التي تتعلق بالمسلمين عامة، وبأصحاب الدعوة خاصة، فأدنى درجات المسؤولية هي مسؤولية الشخص عن نفسه، وتمثلها فترة العزلة ونزول الوحي عليه صلى الله عليه وسلم، وهي فترة إعداد الرسول صلى الله عليه وسلم لنفسه، أما الدرجة التي تليها فهي مسؤولية المسلم عن أهله وذري قريبه، ومن يلوذون به، وليس هناك خلاف بين دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم في قومه ودعوة المسلم في أسرته وبين أقاربه، سوى أن الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو لدين جديد والمسلم يتأسى بسيرته ومنهجه صلى الله عليه وسلم .
- 3- إن بطء الدعوة وأصعابها بالعادات والتقاليد للأمة، وهو أمر طبيعي يواجهه الدعاة في كل زمان ومكان، خاصة في المجتمعات التي انقطع فيها صوت الدعوة وعميت قلوب الناس فيها .



- 1- اذكر أربعة من الصابحين للإسلام.
- 2- إذا لم يهتم أهل قريش بدعوة محمد بن عبد الله في بادئ الأمر؟
- 3- ما هو الهدف من بداية الدعوة الإسلامية مرة؟
- 4- ما هي الحكمة في أن الرسل يبدأ باتباعهم أراذل الناس؟
- 5- ماذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد نزول قوله تعالى: «ولترهشيتك لأقربين».
- 6- إلى أين ذهب النبي - صلى الله عليه وسلم - عندما أراد أن يعلن عن دعوته جواً.
- 7- اذكر الآية التي نزلت على سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - رداً على أبي لهب عندما قال له تباً لك.

2. معارضة قريش بالدعوة

لم تهتم قريش بالدعوة في مرحلتها السرية، كما ذكرنا، لأنها لم تقدر خطورتها، وظنتها حركة محلية قليلة الشأن لا تثبت أن تموت وتختفي من تلقاء نفسها، ولكن بعد أن بدأ النبي صلى الله عليه وسلم مرحلة الدعوة العلنية، وبدأ يتعرض علناً لعقائد قريش ومعتقداتها، ويعيب أصنامها ويهزأ بها، وأخذ يبين لهم فساد عقائدهم، وأنهم إنما يعبدون أحجاراً صماء لا تسمع ولا تبصر، ولا تضر ولا تنفع، وخير لهم أن يتركوا هذه العبادة الفاسدة، وأن يعبدوا الله وحده الذي خلق الكون كله بما فيه ومن فيه، والذي بيده وحده مقاليد الأمور كلها ..

عندئذ بدأت قريش تتعبه لخطورة الدعوة التي بدأت رغم انتشارها البطيء تكسب كل يوم أنصاراً جديداً، وبدأت قريش تفقد السيطرة على عبيدها وخدمها الذين أسرعوا وتابعوا محمداً غير مباليين بقریش وتهديداتها، وعندما استبد القلق بقریش، قامت في وجه محمد صلى الله عليه وسلم ومن تبعه، وأخذت تمارس شتى أساليب ووسائل الترغيب لصدهم عن هذا الطريق الذي هدد مصالحهم التي يجنونها من وجود الحرم في أرضهم، وحط من تكبرهم على غيرهم، ووقف أمام شهواتهم:

تدريب (2)



استجاب الضعفاء لدعوة النبي - صلى الله عليه وسلم - وآمنوا به. عزيزي الدارس، هل حدث ذلك مع سيدنا نوح وسيدنا موسى، وهل هناك دليل من القرآن الكريم على ذلك.

1.2 أساليب المرافعة

أولاً: التأثير على عمه أبي طالب وتهديده

كان أبو طالب كفيلاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذا كان يدافع عنه في كل الأوقات وهو سيد قريش يومئذ، ولا يستطيع أحد أن يمسّه بسوء وهو في كفالة عمه، ولهذا رأت قريش تجريد محمد صلى الله عليه وسلم من هذه الحماية، فتجمع نفر من أشrafهم وذهبوا إليه، وقالوا له: «يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا، وسفه أعلامنا، وضل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على حبل ما نحن عليه من خلافه، فنكفه، فقال لهم أبو طالب، قولاً رقيقاً وردهم رداً جميلاً، فأنصرفوا عنه، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه يظهر دين الله ويدعو إليه، فاشتدت في التذمر عليه، وقررت مراجعة أبي طالب بأسلوب أغلظ وأقسى من السابق. فجاء وفدها إليه، فقالوا: يا أبا طالب إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا، وإذا قد استتهينك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا، من شتم آبائنا، وتسفيه أعلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنا، أو تنازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين.

فعظم على أبي طالب هذا التهديد والوعيد، فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال له: يا ابن أخي، إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كنا وكنا، فابق علي وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر مالا أطيع، فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمه خاذله، وأنه ضعف

عن نصرته، فقال: يا عم والله لو وضحوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه - ما تركته، ثم استخبر وبكى، وقام قائماً ولى ناداه أبا طالب، فلما أقبل عليه قال له إذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت، في الله لا أسلمك لشيء أبداً . وهكذا وقف محمد صلى الله عليه وسلم بقوة يدافع عن دعوته، وهو أمر يتلاءم مع ما طرحه من مبادئ وقيم .

أما موقف أبو طالب فهو عجيب حقاً، وفي ذلك يقول ابن كثير: إن الله قد امتحن قلبه بحب محمد صلى الله عليه وسلم حباً طبعياً لا شريعياً، وكان استمراره على دين قومه من حكمة الله تعالى، ومما صنعه لرسول الله من الحماية، إذ لو كان إسلام أبو طالب لما كان له عند مشركي قريش وجامة ولا كلمة، ولا كانوا يهابونه ويحترمونه، ولتجراؤا عليه، ومدوا أيديهم وأستنتهم بالسوء إليه وربك يخلق ما يشاء ويختار (مهدي رزق الله، السيرة النبوية ج 1، ص 187) .

ثانياً: الدعاية الكاذبة وسط الحجاج

لم يمر على الجهر بالدعوة سوى أيام أو أشهر قليلة حتى قرب موسم الحج، وعرفت قريش أن وفود العرب ستقدم عليهم، فرأت أنه لا بد من كلمة يقولونها للعرب في شأن محمد حتى لا يكون لدعوته أثر في نفوسهم، فاجتمعوا إلى الوليد بن المغيرة، فقال لهم الوليد: اجتمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، قالوا: فأنث فقل وأقم لنا رأياً نقول به، قال: بل أنتم فقرلوا أسمع، قالوا: نقول: كامن، قال: لا والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكامن ولا سجعه، قالوا: فنقول: مجنون، قال: ما هو مجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه ... قالوا: فنقول شاعر، قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه، وقريضه، ومقبوضة ومبسوطة، فما هو بالشعر ... قالوا: فما نقول؟ قال: إن أقرب القول فيه لأن تقولوا: ساحر جاء بقول هو سحر، يفرق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجه، وبين المرء وعشيرته، فتفرقوا عنه بذلك، وفي الوليد نزل قول الله تعالى: وإنه فكر وقدر، فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر، ثم نظر، ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر، فقال إن هذا إلا سحر يؤثر، إن هذا إلا قول البشر (الم نشر، الآيات 11 - 20)

وبعد أن اتفقوا على هذا القرار أخذوا في تنفيذه، فجلسوا بسبل الناس حين قدموا للموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروهم من محمد صلى الله عليه وسلم وذكروا له أمره .
أما الرسول صلى الله عليه وسلم فقد خرج يتبع الناس في منازلهم، وفي عكاظ ومجنة وذئ المجاز. يدعوهم إلى الله، وأبو لهب وراءه يقول : لا تليحوه فإنه صابئ كذاب (ابن اسحق، السير والمغازي، ص 232) وقد نجحت دعوته وسط العرب في هذا الموسم فحملوا اسمه ودعواه إلى بلاد العرب .

أسئلة تقويم ذاتي



- 1- متى بدأت قريش تنبه إلى خطورة دعوة محمد - صلى الله عليه وسلم - ؟
- 2- ما هو نوع الحماية التي كان يتمتع بها محمد - صلى الله عليه وسلم - في قريش ؟
- 3- كيف سعت قريش إلى تجريد النبي الكريم من هذه الحماية ؟
- 4- ما هي الآية التي فزلت رداً على قول الوليد بن المغيرة بأن النبي - صلى الله عليه وسلم - ساحر ؟
- 5- لماذا اتفقت قريش على وصف النبي - صلى الله عليه وسلم - بالساحر عند قدومهم إلى مكة في موسم الحج ؟

ثالثاً: السخرية والتحقير والاستهزاء والضحك

قصدها بها تخذيل المسلمين وتوهمين قواهم المعنوية، فرموا النبي صلى الله عليه وسلم بنهم هازلة، وشتائم سفهية، فكانوا ينادونه بالجنون، وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون (الحجر، الآية 6)، ويصمونهم بالسحر والكذب، (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال

الكافرون هذا ساحر كذاب) (ص، الآية 4).

وروى البخاري أن أبا جهل قال مستهزئاً : «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فنزلت : (وإذا قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون، ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام). (الأنفال، الآيات 23 - 24) وثبت من طرق صحيحة أن أشراق قريش اجتمعوا يوماً في الحجر يتذكرون أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به، وبينما هم في ذلك إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعطوف بالبيت، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول ثلاث مرات، فقال لهم : يا معشر قريش أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح ... وقد فزعوا من هذا الموقف (ابن هشام، السيرة النبوية، ج 1، ص 358). ومن منطلق هذا الاستعلاء والمسخرة، قال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم : لا نرضى بمجالسة أمثال هؤلاء - يعنون : صهيياً وبلاياً وخباباً -، فاطردهم عنك، فهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك طمعاً في إسلامهم وإسلام قومهم، فأنزل الله تعالى : «ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين) (الأنعام، الآية 52).

ومر الرسول صلى الله عليه وسلم يوماً، بجماعة من زعماء قريش فهمزوه واستهزأوا به فغافله ذلك، فأنزل الله تعالى : «ولقد استهزئوا برسول من قبل فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون» (الأنعام، الآية 10).

ومن كبار المستهزئين والساخرين من قريش : الأسود بن عبد الأسد والحارث بن اللطافة الخزاعي، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، والنضر بن الحارث، والأخنس بن شريق، وأبي بن خلف (ابن هشام، السيرة النبوية، ج 1، ص 445). وقد أنزل الله تعالى في شأنهم : «إنا كفيناك المستهزئين» فتولى الله أمرهم ووضع لكل واحد منهم نهايته المستحقة.

رابعاً : مطالبهم بأن تكون الرسول صلى الله عليه وسلم معجزات

من ذلك قولهم : «مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الأسواق، ألا انزل عليه ملك فيكون معه نذيراً أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها (الفرقان، الآية 3، 4)، وقولهم : «إذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله» ورد عليهم القرآن في الآية نفسها : «قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إليّ أني أخاف أن عصيت ربي عذاب يوم عظيم (يونس، الآية 5)، وقولهم : «قالوا لن نؤمن بك حتى تدع لنا من الأرض ينبوعاً، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتدبر الأنهار خلالها تفيض فجيهاً أو نسقط السمااء كما زعمت عيناك» أو : «يا بالله والملائكة قبيلاً، أو يوحى لك حديث من زخرف أو توقى في السماء» ومن يؤمن لريقك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه ..

ولذا قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم كما جاء في الآية نفسها : «قل سبحانه ربي هل كنت إلا بشراً رسولا، وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولا (الإسراء، الآية 90 - 94) .

وسألوه أن يسير لهم جبال مكة، ويقطع لهم الأرض لينزعوها ويبيع لهم من مضى من الآباء الموتى، أمثال قصي ليسألوه عن صدق محمد، ورد الله عليهم في قوله : «ولو أن قرأنا سيرت به الجبال أو قطعنا به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعاً (الرعد، الآية 31) .

ومن حديث ابن عباس قال : سأل أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن ينحي عنهم الجبال فيزرعوا ..

وهكذا كانت طلباتهم على وجه العناد والاستهتار لا على وجه الهدى والرشاد. ولهذا لم يجابوا إلى كثير مما طلبوا (مهدي رزق الله، السيرة النبوية، ج 1، ص 192) .

تدريب (3)



القائمة (أ)	القائمة (ب)
1/ أبو لبيب	1/ كل يدافع عن النبي في كل الأوقات
2/ أبو طالب	2/ استقرأ بقلمي (صلى الله عليه وسلم)
3/ محمد ساحر	3/ لا أغنى عنك من الله شيئاً
4/ الأخضر بن خريق	4/ من السابقات للإسلام
5/ صفية بنت عبد المطلب	5/ أول من اعترض على الدعوة الجهرية
6/ أم الفضل لبابة الكبرى	6/ الدعاية وسط السمج

خامساً : المساومات

عندما فشلت قريش في كل أساليبها السابقة في إثناء محمد صلى الله عليه وسلم عن دعوته لجأت إلى أسلوب المساومة لعلهم يصلوا معه إلى حل وسط، فعرضوا عليه بأن يعبد آلهم يوماً ويحبدوا هم إلهه يوماً، فرفض محمد صلى الله عليه وسلم، وأنزل الله تعالى سورة الكافرون : «قل يا أيها الكافرون، لا أعبد ما تعبدون، ولا أنتم عابدون ما أعبد، ولا أنا عابد ما عبدتم، ولا أنتم عابدون ما أعبد، لكم دينكم ولي دين» (سورة الكافرون).

ثم لجأت إلى عرض آخر وهو أن تقدم قريش لأبي طالب شاباً من خيرة شبابها، وقد وقع اختيارهم على عمارة بن الوليد بن المغيرة على أن يأخذه أبو طالب ويسلمهم محمداً يفعلون به ما يشاءون، لكن أبا طالب سخر منهم وقال لهم : تدفعون إلى ابنكم أغذوه لكم وأدفع إليكم ابني تقتلونه إن هذا والله لا يكون أبداً (ابن هشام، السيرة النبوية، ج 1، ص 266).

لم تفقد قريش الأمل، وهذه المرة لجأت إلى العروض الدنيوية لعلها تقنع محمداً صلى الله عليه وسلم من هذه الدعوة، فاجتمعت أمرها وأرسلت إليه شيخها عتبة بن ربيعة، صاحب المكانة الرفيعة في قريش، حيث جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وعرض عليه بأسلوب لين ودع حيث قال :

«يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من المكان في النسب، وقد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جصاصتهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً لعلك تقبل بعضها، إن كنت تريد بهذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد تشريفاً سودناك علينا، فلا تقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان الذي يأتيك رقيقاً من الجن لا تستطع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى تبرأ».

فاستمع النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الحديث باستغراب، ثم قال لعتبة: «يا عم اسمع مني» وأخذ يتلو عليه بضع آيات من سورة فصلت، حتى إذا وصل إلى قوله تعالى: «فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود، عندئذ فرع عتبة بن ربيعة وناشد النبي أن يكف عن التلاوة، ويقال إنه قال بعد ذلك: لقد خشيت أن لو استمر محمد في التلاوة لنزلت علينا الصاعقة في الحال».

ثم أنصرف عائلاً إلى قريش التي كانت تنتظره بفارغ الصبر لتعرف نتيجة سفارته، فقالوا له: «ماذا سمعت من محمد؟ قال: لقد سمعت كلاماً له حلاوة وعليه طلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغنيق، وإنه ليعلو ولا يعلو عليه، وإنه ليس من كلام البشر، فصدمت قريش من كلام عتبة واتهمته بالتخذيل، وقررت مواصلة المقاومة والضغط على الرسول صلى الله عليه وسلم».

تكريب (4)

رفض النبي - صلى الله عليه وسلم - كل عروض المساومات التي عرضتها عليه قريش من أجل إنشاءه عن دعوته، ناقش ذلك.



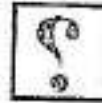
سادساً: التشويش على القرآن وسبه

كان المشركون يقومون بطرد الناس عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ويثيرون الشغب والضوضاء والغناء واللعب عندما يشرع النبي صلى الله عليه وسلم في قراءة القرآن، ودعوة الناس إلى الدخول في الإسلام، وكذلك عندما يقوم للصلاة، «وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون» (فصلت، الآية 26) ولهذا لم يتمكن الرسول

صلى الله عليه وسلم من تلاوة القرآن عليهم في مجامعهم ونواذيرهم إلا في أواخر السنة الخامسة من النبوة، وذلك عن طريق المفاجأة (المباركفوري، الترحيق المختوم، ص 39) وفي حديث ابن عباس أن النضر بن الحارث قد اشترى قبة لتغني على من عرض له الرسول صلى الله عليه وسلم الإسلام فتغنيا وتطعمه وتسقيه وتقول له هذا خير لك مما يدعوك إليه محمد، وفيه مؤثر قول الله تعالى: «ومن أحسن من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله» (لقمان، الآية 6)، وعندما كان المسلمون يسبون أصنام الكفار، أخذ المشركون يسبون الله عدواً بغير علم، فأنزل الله: «ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم» (الأنعام، الآية 108)

استئذان تقويم ذاتي

- 1- ما هو مضمون أسلوب المساومة الذي عرضته قريش على النبي صلى الله عليه وسلم ؟
- 2- ما هي السورة الكريمة التي نزلت رداً على أسلوب المساومة ؟
- 3- من هو مبعوث قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم - ليعرض عليه عرضاً دينياً ؟
- 4- لماذا انصرف مبعوث قريش من النبي صلى الله عليه وسلم - فرحاً ؟
- 5- كيف كان المشركون يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم - عندما يقرأ عليهم القرآن ؟



سابعاً : الاعتداء والتعذيب

عندما رأت قريش أن كل تلك الأساليب لم تجد نفعا في إحباط الدعوة الإسلامية وفي إثناء الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن الإسلام والدعوة إليه، اجتمعوا وقرروا القيام بتعذيب المسلمين وقتلتهم عن دينهم، وقد طال هذا التعذيب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه .
(1) الاعتداء على رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقد اشتد أذى المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم في الفترة الحثية خاصة عندما أخذ يظهر

شعائر دينه مثل الصلاة عند الكعبة، فقد روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: «هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟» قال: فقيل: نعم، فقال: واللوات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطعن على رقبته، أو لأعقرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي - زعم ليثاً على رقبته، قال: فما فاجأهم إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، قال: فقيل له: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاً ولجاجة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو دنا مني لاختلطت الملائكة أعضواً عضواً، فأنزل الله: «كلا إن الإنسان ليطغى...» (العلق، الآية 6) وروى البخاري عن عروة بن الزبير، قال: «سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه، فخنقه خنقاً شديداً، فجاه أبو بكر حتى دفعه عنه صلى الله عليه وسلم فقال: اتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبيانات من ربكم،

تدريب (5)

أكمل الجمل أدناه:

- 1/ سأومت قريش أبا طالب هي النبي - صلى الله عليه وسلم -
على أن يأخذوه ويسلموه بدلاً عنه
- 2/ طالت قريش النبي - صلى الله عليه وسلم - بمعجزات مثل أن يسير لهم وبعث لهم ليسألوه عن صدق محمد.
- 3/ اشترى فينة لتغني على من عرض له النبي - صلى الله عليه وسلم - الإسلام.
- 4/ كانت عروض قريش الدنيوية للنبي - صلى الله عليه وسلم - هي و.....
- 5/ وضع رداءه في عنق النبي وخنقه.



وعن ابن مسعود قال، بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذها فيضعه في كتفي محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم (عقبة بن أبي

معيط) فأخذه، فلما سجد النبي صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه، قال : فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا قائم أنظر لو كان لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم والنبي ساجد ما يرفع رأسه، حتى أنطلق إنسان فأخبر قاطمة، فجاءت وهي جويرية فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تشتمهم، فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم، فو الذي بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق، لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر ثم سحبوا إلى القليب، قليب بدر (صحيح البخاري 10/37/520 ومهدي رزق الله، السيرة النبوية، ج 1، ص 204).

وكان أبو لهب أعدى أعداء الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان يجول خلف النبي صلى الله عليه وسلم في الحج والأسواق لتكذيبه، ولم يقتصر على التكذيب بل كان يضربه حتى يدمي عقيبته، وكانت امرأة أبي لهب أم جميل أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان لا تقل عن زوجها في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كانت تحمل الشوك وتضعه في طريق النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بابه ليلاً، وكانت سليطة اللسان، تبسط فيه لسانها، وتؤجج حوله نار الفتنة والحرب حتى سماها القرآن بحمالة الحطب .

كان أبو لهب يفعل كل ذلك وهو عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاره في البيت. ومن جيرانه الذين كانوا يؤذونه الحكم بن أبي العاص بن أمية، وعقبة بن أبي معيط، وعدي بن حمراء الثقفي، وابن الأصداء الهذلي، وهؤلاء كانوا يطرحون عليه رجم الشاة وهو يصلي، ويطرحونها في برمته إذا نصبت له. حتى اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حجراً ليستتر به منهم. فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا طرحوا عليه ذلك الأذى يخرج به على العود، فيقف به على بابه ثم يقول : يا بني عبد مناف، أي جوار هذا؟ ثم يلقيه في الطريق (ابن هشام، السيرة النبوية، ج 1، ص 416).

وكان أبو جهل يمنع النبي صلى الله عليه وسلم من أول يوم يصلي في الحرم. ومرة مر به وهو يصلي عند المقام فقال : يا محمد ألم أنك عن هذا، وتوعده، فأغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهره، فقال : يا محمد، بأي شيء تهددني؟ أما والله إني لأكثر هذا الوادي

نادياً، فانزل الله «فليرد ناديه، سندع الزبانية» (العلق، الآيات 7 - 8). هذه بعض الصور المصغرة من الأذى الذي كان يلقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من كفار قريش، ولكنها لم تزد إلا صلابة وتمسكاً بدعوته .

(ب) الاعتداء على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومواليهم

لقد لقي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم صنوفاً من الأذى على أيدي كفار قريش، فكان أبو جهل إذا سمع عن رجل قد أسلم وله شرف ومنعة، أنه وأخزاه، وقال له : «تركت دين أبيك وهو خير منك ! لنسفهن حلمك، ولنضعفن رأيك ولنضعفن شرفك»، وإذا كان تاجراً قال له : «لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك، وإذا كان ضعيفاً ضربه وأغرى به (ابن هشام، السيرة النبوية، ج 1، ص 395) .

وذاث يوم قام أبو بكر خطيباً في المسجد الحرام، فضربه المشركون ضرباً شديداً، ومن ضربه عتبة بن ربيعه، حيث جعل يضربه على وجهه بملعين مخصوفتين حتى ما يعرف وجهه من أنفه، وجاء بنو تيم قومه - يتعادون - فأجلت المشركين عن أبي بكر، وحملوه في ثوب إلى منزله، ولا يشكون في موته، وأقسموا أن مات أبو بكر ليقتلن عتبة بن ربيعه (ابن كثير، البداية والنهاية، ج 3، ص 33) .

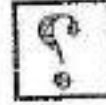
وكان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عبدالله بن مسعود على الرغم من تحذير المسلمين له من عدوان المشركين وخسيتهم عليه، فعندما فعل ذلك، ضربوه على وجهه حتى أثروا فيه، وعندما قال له الصحابة : «هذا الذي خشيئنا عليك، قال : ما كان أعداء الله أعمون منهم الآن، ولئن شئتم لأعاديئهم يستلها غداً، قالوا : لا، حسبك، قد أسمعتهم ما يكرهون .

وكان عم عثمان بن عفان يلقه في حصير من أوراق النخيل ثم يدخله من تحته، ولما علمت أم مصعب بن عمير بإسلامه أجاعته وأخرجته من بيته، وكان من أنعم الناس عيشاً، فتخشف جلده وتخشف الحية، حتى حملته أصحابه على قسيهم لشدة ما به من الجهد (ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج 3، ص 248) .

ومن أودى عثمان بن مظعون، فقد روي أنه عندما رجع من الهجرة الأولى إلى الحبشة، دخل في جوار الوليد بن المغيرة، فلما رأى المشركين يؤذون المسلمين وهو آمن - رد جوار الوليد، وعندما قدم لبيد بن ربيعة إلى مكة، وكان في مجلس لقريش ينشد لهم شعرة، قال لبيد : «لا كل شيء ما خلا الله باطل قال عثمان بن مظعون : صدقت . وعندما قال : وكل نعيم لا محالة زائل، قال له عثمان : كذبت، نعيم الجنة لا يزول. قال لبيد : يا معشر قريش والله ما كان يؤذي جليسكم، فمتى حدث هذا فيكم؟ فقال رجل من القوم : إن هذا أيضاً في سفهاء معه، قد فارقوا ديننا، فلا تجدن في نفسك من قوله، فرد عليه عثمان حتى تفاقم أمرهما، فقام إليه ذلك الرجل، فلطم عينه فخضرها، والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان، فقال : أما والله يا ابن أخي إن كانت عينك عما أصابت لغنية، لقد كنت في ذمة منيعة قال عثمان : بل والله إن عيني الصحيحة للفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله، وإني لفي جوار من هو أعز منك وأقرب يا ابن عبد شمس فقال له الوليد : هلم يا ابن أخي، إن شئت فعد إلى جوارك فقال : لا .

وكان أبو جهل قد حبس أخاه سلمة بن هشام بن المغيرة عندما عاد من الحبشة وأجأه، ولكن تمكن من الهرب واللاحاق بالرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وكان ممن يدعو لهم الرسول ربه في القنوت لينجيهم الله من أعدائهم (مهدي رزق الله، السيرة النبوية، ج 1، ص 207) ولم يتوقف اعتداء قريش على المسلمين من أهل مكة، بل شمل العرب الذين دخلوا في الإسلام من خارج مكة، فهذا أبوذر الغفاري عندما سمع بخبر النبي صلى الله عليه وسلم جاء ودخل مكة وأخذ يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم، فضربه أهل مكة حتى أغشي عليه وكاد أن يموت فخلصه منهم العباس بن عبدالمطلب .

أسئلة تقويم ذاتي



- 1- ماهي أنواع التعذيب التي تعرض لها النبي - صلى الله عليه وسلم - من أهل قريش؟
- 2- من هي عدوة الله ورسوله التي كانت تضع الشوك في طريق النبي - صلى الله عليه وسلم -؟
- 3- ماهو سبب نزول قوله تعالى «قليدع نادية، ستدع الزبانية»؟
- 4- كيف كان أبو جهل يعتدي على النبي - صلى الله عليه وسلم - من داخل في دين محمد - صلى الله عليه وسلم - ويبتدده؟
- 5- من الذي ضرب أبا بكر الصديق حتى أدمى وجهه؟
- 6- كيف كان يعذب عثمان بن عفان؟
- 7 - من هو الصحابي الذي جاء من خارج مكة وعذبه المشركون إلى أن خلصه منهم العباس بن عبد المطلب؟

أما الموالي فقد نزل بهم أشد العذاب والتككيل والقتل، وذلك لعدم وجود المنعة والحماية، فكان السادة والرؤساء يقومون بأنفسهم بالتعذيب، ويغرون الأوباش لإنزال أقسى العقوبات عليهم، حتى عذّبهم الله تعالى فيما يقولون وهم تحت التعذيب، قال سعيد بن جبير لابن عباس: «كان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم؟ قال: نعم والله، إن كانوا ليضربون أحدهم ويجوعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضرب الذي نزل به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولون له: اللات والعزى إليك من دون الله؟ فيقول: نعم، اقتداءً منهم مما يبلغون من جهده» (ابن هشام، السيرة النبوية، ج 1، ص 396) قال ابن كثير: وفي مثل هذا أنزل الله تعالى: «من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقليه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم (النحل، الآية 106) وكان على رأس الموالي المعذبين:

آل ياسر : فقد كُفِنَ عمار بن ياسر مولى لبني مخزوم، أسلم هو وأبوه وأمه، فكان المشركون وخاصة أبو جهل يخرجونهم إلى الأبطح إذا حميت الرمضاء فيعذبونهم بحرماً. ومريهم النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهم يعذبون فقال : «صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة» فمات ياسر من العذاب، وطعن أبو جهل سمية - أم عمار بخربة في قُبلها فماتت، وهي أول شهيدة في الإسلام، ورمى عبدالله بن ياسر فسقط فمات، فتقننوا في تعذيب عمار حتى وافقهم على الكفر مكرهاً، وجاء باكية معتذراً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فأنزل الله : «من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان (النحل، الآية 106) (ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج 3، ص 248).

وكان بلال بن رباح مولى لأبي بن خلف الجمحي، وهو بلال بن رباح وأمه حمامة، ذكر أنه كان حبشياً وهو المشهور، وقيل : كان نوبياً. كان صادق الإيمان فأغضب سيده، فكان أُمّية يضع في عنقه حبلاً، ويخرجه إذا حميت الظهيرة، فيطره على ظهره في الرمضاء في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى، فيقول وهو في ذلك، أحد أحد، وأحياناً يسلمه أُمّية إلى الصبيان يطفون به في جبال مكة، ويجرونه حتى كان الحبل يؤثر في عنقه، وهو يقول أحد أحد، فمر عليه أبو بكر يوماً وهو يعذب فاشتراه من سيده وأعتقه، وكان صهيب بن سنان الرومي يعذب حتى يفقد وعيه ولا يدري ما يقول .

وكان خباب بن الارت مولى لأم أنمار بنت سباع الخزاعية، وكان حدانياً، فلما أسلم عذبت مولاه بالفار، وكانت تأتي بالحديدة المحمّاة فتجعلها على ظهره أو رأسه ليكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم، فلم يكن يزيد ذلك إلا إيماناً وتسليماً، وكانت أمه زنيرة أمة رومية قد أسلمت فعذبت في الله وأصيبت في بصرها حتى عميت، فقيل لها : أصابك اللات والعزى، فقالت : لا والله ما أصابتني، وهذا من الله، وإن شاء الله كشفه، فرد الله بصرها، فقالت قريش : هذا بعض سحر محمد (ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج 3، ص 256) .

وأسلمت أم عيسى، وكان مولاه الأسود بن عبد يغوث يعذبها، وكان من أشد الناس

عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن أسلمن وعذبن من الجواري : النهديّة وابنتها، ومن عذبوا من الموالي عامر بن فجيعة وغير هؤلاء، فلما اشتدّ البلاء بهم شكوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم حالهم، قال خبيب : «شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد برده في ظل الكعبة قلنا له : ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ قال : «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون (مهدي رزق الله، السيرة النبوية، ج 1، ص 215).

شكل (3)

أساليب معارضة قريش لدعوة النبي (صلى الله عليه وسلم)

أولاً	التأثير على عمه أبي طالب وتهديده.
ثانياً	الدعاية الكاذبة وسط الحجاج.
ثالثاً	السخرية والتحقير والاستهزاء والضحك.
رابعاً	المطالبة بأن يكون للرسول صلى الله عليه وسلم معجزات.
خامساً	المساومات.
سادساً	التشويش على القرآن وسبّه.
سابعاً	الاعتداء والتفذيب.

2.2 أسباب المعارضة

وهكذا مارست قريش شتى أنواع التفذيب والتنكيل بالمسلمين، وحاربت الإسلام في بدايته حرباً شعواء، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا تقف قريش هذا الموقف العدائي

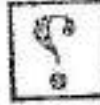
من النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته ؟ على الرغم من إيمان الكثيرين منهم بأن الإسلام حق ،
وكانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم وصدقته وأمانته بينهم ، والجواب عن هذا السؤال
يكون في الأسباب الآتية :

أولاً : المنافسة القبلية على الزعامة

كانت المنافسة على الزعامة في مكة على أشدها قبيل الدعوة الإسلامية ، بين بني هاشم
وبني أمية وذلك عقب وفاة عبدالمطلب بن هاشم سيد مكة ، فقد تركت وفاته فراشاً كبيراً في
مكة ، لأنه لم يكن أحد من أولاده يتمتع بخصائص الزعامة مثله ، فطمع بنو أمية في زعامة مكة
بقيادة أبي سفيان بن حرب ، وحمل بنو أمية راية مقاومة الدعوة الإسلامية ، ولم يدعوا لها إلا
عند فتح مكة خوفاً من السيف ، ولهذا نظرت القبائل العربية في مكة إلى نبوة محمد الهاشمي
في ضوء المنافسة القبلية ، فلم يفرقوا في البداية بين النبوة والملك الدنيوي ، وهو ما يفسره
موقف أبي سفيان عند فتح مكة حينما أخذ العباس بن عبدالمطلب ليأخذ له الأمان من النبي
صلى الله عليه وسلم ، فلما رأى أبو سفيان جيش النبي صلى الله عليه وسلم القادم من المدينة
وضخامته ، نظر إلى العباس بن عبدالمطلب وقال : لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيماً ، ولكن
العباس قال له : يا أبا سفيان إنها النبوة (الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج 2 ، ص 218) .

ولم يكن بنو أمية وحدهم الذين حسدوا بني هاشم على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
بل كان موقف الكثيرين من بطون قريش كبنو مخزوم ، ويصور موقفهم ما جاء على لسان
زعيمهم أبو جهل الذي قال : «تأزعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف : أطعموا فأطعمنا ، وحملوا
فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا : منا نبي يأتيه
الوحي من السماء ، فمتى ندرك هذا؟ والله لا نؤمن به ولا نصديق» .

اسئلة تقويم ذاتي



- 1- كيف عذب أبو جليل أخاه سلمة بن هشام؟
- 2- متى ولما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - صبراً أكل ياسر
فلين موعدهم الجنة؟
- 3- من هي أول شهيدة في الإسلام وكيف استشهدت؟
- 4- وافق عمار بن ياسر على الكفر مكرهاً ، وقص على للنبي ذلك.
لنكر الآيات التي فزلت في هذا الخصوص.
- 5- كيف كان يعذب بلال بن رباح؟
- 6- لماذا عذب خباب بن الارت بالحديد والنار؟

ثانياً : دعوة المساواة

من الأشياء التي أثارت قريشاً على الإسلام، دعوة المساواة المطلقة بين البشر والتي أعلنها الإسلام بكل وضوح وحسم، منذ اللحظة الأولى، فالناس جميعاً أمام الله سواسية كأسنان المشط، وهم مخلوقون من أب واحد وأم واحدة، وأكرمهم عند الله أتقاهم، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، هذا المبدأ الإسلامي الهام، كان صعباً على قريش أن تقبله، لأنها ألغت السيادة والاستعلاء، فكيف يسوي الإسلام بينها وبين عبيدها، فهذا أمر يهتد مصالحها الاقتصادية والاجتماعية، ولهذا قاومت الإسلام بتلك الشراسة .

ثالثاً : متابعة الأبناء والأجداد

ذلك أن قريشاً ألغت متابعة آبائها وأجدادها، متابعة عمياء دون تبصر، فإذا كان آباؤهم قد عبدوا الأصنام، فليتابعوا آباءهم على ذلك، واعتبروا الخروج عن هذا المبدأ خيانة لأبائهم لا تليق بهم، حتى لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون. فسخر القرآن منهم، واعتبر ذلك دليلاً على فساد تفكيرهم قال تعالى : «وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون».

وتمسكهم بهذه التقاليد تجلب إليهم احترام العرب، والمحافظة على تميزهم على غيرهم
عن القبائل، بل كانوا هم الحمس، فكانوا يخرجون من الحرم إلى الحل دون غيرهم، وكانوا
لا يقفون بعرفة، ولا يفيضون منها، وإنما يفيضون من مزدلفة، ولا يدخلوا بيتاً من شعور، ولا
يستظلوا إلا في بيوت الأدم ما داموا حراماً.. إلخ تلك الامتيازات والتي سيفقدونها بالإسلام .
ولهذا كله وغيره من الأسباب حاربت قريش الإسلام وأهله في مبدأ الدعوة، ولكن حريها
كانت خاسرة لا محالة، فمتى كانت هذه الأساليب الرخيصة تستطيع أن توقف دعوة سماوية
خالدة؟ ومتى كان الباطل قادراً على الصمود في وجه الحق؟ قاله مقيم نوره ولو كره
الكافرون.

نشاط



عزيزي الدارس، وجدت الدعوة الإسلامية منذ ظهورها معارضة
شديدة من المشركين والكفار واختلفت أساليب وأسباب المعارضة من
عصر لآخر، حول هذا الموضوع لكتب مقالاً عن أسباب وأساليب
معارضة ومعاربة المسلمين من قبل قوى الفسك والضلال في
عصرنا الحاضر.

الدروس المستفادة

أ- أول ما يخطر على البال، حينما يتأمل المرء قصة الرسول صلى الله عليه وسلم وما لقيه مع
أصحابه من الأذى من مشركي قريش، هو أن يتساءل : لماذا هذا العذاب الذي لقيه النبي
صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم على الحق؟ ولماذا لم يعصمهم الله عز وجل منه وهم
جنوده وفيهم رسول الله، يدعوون إلى دينه ويجاهدون في سبيله؟
والجواب : إن أول صفة للإنسان في الدنيا، أنه مكلف، والتكليف من أهم مستلزمات العبودية

الله تعالى. وأمر الدعوة إلى الإسلام والجهاد، لإعلاء كلمته من أهم متعلقات التكليف، واستلزم التكليف تحمل المشاق ومجاهدة النفس والأموال، ومن أجل هذا كان واجب عبادة الله في هذه الدنيا تحقيق أمرين اثنين :

أولهما : التمسك بالإسلام وإقامة المجتمع الإسلامي الصحيح .

ثانيهما : سلوك السبل الشاقة إليه واقتحام المخاطر وبذل المهج والمال من أجل تحقيق ذلك .

ومن هنا تأتي الفتنة والابتلاء، وهما الميزان الذي يميز الصالح من الكاذب، وصدق الله العظيم حين قال : «الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين» (العنكبوت، الآية 321)، وما دام الأمر كذلك فلا يتوهم المسلم اليأس، إذا ما عانى شيئاً من المحنة والمشقة، بل العكس على المسلم أن يستبشر بالنصر كلما رأى أنه تحمل مزيداً من الأذى والنكبات، ويتجلى ذلك في قول الله تعالى : «أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم اليأس والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله إلا إن نصر الله قريب (البقرة، الآية 41) .

2- المقرر عند علماء المسلمين أن الأخذ بالعزيمة في ميدان الإكراه أولى من الرخصة، وأن أخذ الأئمة والقادة بالعزيمة هو الأولى والأجمل، ويعتبر الفقهاء الإكراه بمدى قدرة للمكره على إيقاع ما يهدده .

وأن أخذ عامة المسلمين بالرخصة ليس دليلاً على فساد في العقيدة، بدليل قول الرسول صلى الله عليه وسلم لعمار بن ياسر «إن عادوا قعدت طالمنا كان قلبه مطمئناً بالإيمان» (مهدي رزق الله، السيرة النبوية، ج 1، ص 217) .

تدريب (6)



ضع دائرة حول حرف الإجابة الصحيحة

1 / فقدت بصرها من التعذيب فردد الله إليها بعد دعائها .

(أ) زهيرة (ب) منيرة (ج) أميرة

2 / قال ولقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيماً .

(أ) أبو لبيب (ب) أبو جول (ج) أبو سفيان

3 / كان يدعو لها الإسلام ، ولم تقلبها قريش لأنها ألقت السيادة والاستعلاء .

(أ) الحرية (ب) للمساواة (ج) عدم التجارة

4 / بعد وفاة عبد المطلب أصبحت زعامة مكة متنافسة بين بني هاشم و

(أ) بني أمية (ب) بني النضير (ج) بني ثعلبة

5 / اعتبره القرآن الكريم دليلاً على فساد تفكير أهل قريش من المشركين .

(أ) شرب الخمر (ب) متابعة الأجداد (ج) لعب الميسر

شكل (4)

أسباب معارضة قريش لدعوة النبي (صلى الله عليه وسلم)

أولاً / المنافسة، القيادة على الزعامة	ثانياً / دعوة المساواة	ثالثاً / متابعة الآباء والأجداد
---------------------------------------	------------------------	---------------------------------

3.2 الهجرة إلى الحبشة

أولاً : الهجرة الأولى إلى الحبشة

أخذت الاعتداءات على المسلمين في مكة تزداد يوماً فيوماً، وشهراً فشهرًا حتى تقاعست في أراسط السنة الخامسة من بعثته صلى الله عليه وسلم، حتى ضاق بهم المقام في مكة، وأخذوا يفكرون في حيلة تنجيهم من هذا العذاب الأليم، وفي هذه الظروف نزلت سورة الزمر تشير إلى اتخاذ سبيل الهجرة، وتعلن بأن أرض الله واسعة، وللذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب (الزمر، الآية 10) فأمَرَ النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بأن يهاجروا إلى الحبشة قراراً بدينهم من الفتن فإن فيها ملك عادل لا يظلم عنده أحد. ويدعى أصحمة النجاشي.

وفي رجب من السنة الخامسة من النبوة هاجر أول فوج من الصحابة إلى الحبشة، وكان مكوناً من اثني عشر رجلاً وأربع نسوة، على رأسهم عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كان رحيلهم تسلاً في ظلمة الليل حتى لا تظن لهم قريش - خرجوا إلى البحر ويمسوا ميّاء الشعبية، ويسر الله لهم الأمر فوجدوا سفينتين تجاريتين أبحرنا بهم إلى الحبشة، وعندما قطنت قريش لهم وخرجت على أثرهم وجدتهم قد أبحروا من الشاطئ آمدين، فوصلوا أرض الحبشة وأقاموا في أحسن جوار (ابن القيم، زاد المعاد ج 1، ص 248)، ولم يمكث هؤلاء المهاجرون طويلاً حتى بلغتهم الأخبار بأن أهل مكة قد أسلموا فقرروا العودة إلى وطنهم في شوال من نفس السنة، فلما اقتربوا من مكة عرفوا أن حالة قريش لم تتغير من اضطهاد

المسلمين وتغذيبهم، فرجع بعضهم إلى الحبشة، ولم يدخل مكة منهم أحد إلا مستخفياً أو في جوار رجل من قريش .

ثم اشتد أذى قريش على المسلمين، فقد صعب عليها ما بلغها عن النجاشي من حسن الجوار، ولم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بداً من أن يشير على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة مرة أخرى .

ثانياً : الهجرة الثانية إلى الحبشة

كانت الهجرة الثانية أوسع نطاقاً، وكانت أشق من سابقتها، ذلك أن قريشاً قد تيقظت لها، وقررت إحباطها، لكن للمسلمين كانوا أسرع، وعناية الله بهم كانت أقوى، فحلوا عند النجاشي قبل أن تتركهم قريش (ابن القيم، زاد المعاد، ج 1، ص 24)

وفي هذه المرة سافر من الرجال ثلاثة وثمانون رجلاً وثمانى عشرة امرأة، وصعب على المشركين أن يجد المهاجرين مأمناً لأنفسهم ودينهم، فقرروا إعادتهم وتأديبهم على صنيعهم، فاختاروا رجلين جليدين هما : عمرو بن العاص، وعبدالله بن ربيعة، (قبل إسلامهما) وأرسلوا معهما الهدايا المستطرفة للنجاشي ولبطارقته، وبعد أن اجتمعا بالبطارقة ساقا كل حبيبهما التي يطرد بها أولئك المهاجرون، واتفق البطارقة معهما أن يضيروا إلى النجاشي بإقصائهم، ثم حضروا إلى النجاشي فكلماه . فقالا : «أيها الملك قد ضوى إلى بلدك غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم . ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا يدين ابتدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائركم، لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عيلاً، وأعلم بما عابوا عليهم، وعاتبوهم فيه» .

وقالت البطارقة : صدقاً أيها الملك، فأسلمهم إليهما، فليرداهم إلى قومهم وبلادهم، ولكن النجاشي رأى ضرورة سماع حجة الطرف الثاني، فأرسل إلى المسلمين، فحضرُوا، فقال لهم : ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا به في ديني ولا دين أحد من هذه الملل؟ فتقدم جعفر بن أبي طالب متحدثاً عن المسلمين، فقال : «أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع

الأرحام، وتبسيء الجوار، ويأكل منا القوي الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لتوحيده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم، ونهانا عن الفواحش، فصدقناه وأمانا به، واتبعناه على ما جاء من الله، فعدا علينا قوما فعذبونا وقتلونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان .. فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك ..

فسأله النجاشي أن يتلو عليه ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله، فقرأ عليه جعفر من أول سورة مريم حتى قوله تعالى : «قال إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبيا، وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا، وبرا بوالدي ولم يجعلني جبارا شقيا، والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا» فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته وقال : إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، ثم قال عمرو بن العاص ورفيقه : انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكما .. (ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج 1، ص 207)، وخرج عمرو بن العاص وصاحبه خائنين، وهكذا فشلت سفارة قريش في مهمتها، ولم تجد قريش أمامها غير التشفي ممن هم تحت أيديها .

الدروس المستفادة

1- أن التمسك بالدين وإقامة دعائمه أساس ومصدر لكل قوة، وهو السياج لحفظ كل حق من مال وأرض وحرية وكرامة، ولأجل هذا كان على الدعاة إلى الإسلام والمجاهدين في سبيله أن يجندوا كل إمكاناتهم لحماية الدين ومبادئه، وأن يجعلوا من الوطن والأرض والمال والحياة وسائل لحفظ العقيدة وترسيخها، حتى إذا اقتضى الأمر بذل ذلك كله في سبيلها وجب بذله.

ولأجل هذا شرعت الهجرة في الإسلام، فأشار الرسول صلى الله عليه وسلم على أصحابه بعد أن نالهم من أذى المشركين ما خشي عليهم معه الفتنة في الدين والهجرة والخروج من الوطن .

2- إن حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن النجاشي يدل على العلاقة القائمة بين ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، وما جاء به سيدنا عيسى عليه السلام، فلو أخلص النصراني وصدقوا مثلما صدق النجاشي لاكتشفوا أن الأنبياء جميعهم جاءوا بعقيدة واحدة، لم يختلفوا حولها .

3- إنه يجوز للمسلمين أن يدخلوا في حماية غير المسلمين إذا دعت الضرورة إلى ذلك، سواء أكان المجير من أهل الكتاب كالنجاشي، (إذ كان نصرانياً)، ولكنه أسلم بعد ذلك، أم كان مشركاً مثل أولئك الذين عاد المسلمون إلى مكة في حمايتهم، ما لم يترتب على الحماية أضرار بالدعوة الإسلامية.

أسئلة تقويم ذاتي



- 1- ما اسم السورة التي أشارت إلى اتخاذ سبيل للهجرة بعد اشتداد الاعتداءات على المسلمين في مكة؟
- 2- إلى أين أمر النبي (ص) أصحابه والهجرة فراراً بدينهم من الفتنة؟
- 3- لماذا قرر المهاجرون العودة إلى مكة مرة أخرى؟
- 4- من هما مبعوثا قريش لإعادة المهاجرين من الحبشة؟
- 5- ما اسم الملك الذي لجأ إليه المهاجرون؟
- 6- من هو الذي تحدث نيابة عن المهاجرين إلى ملك الحبشة؟
- 7- لماذا فشلت سفارة قريش في إرجاع المهاجرين؟

3. أحداث هامة في فجر الدعوة

شكل (5)

ملخص لأحداث هامة في فجر الدعوة

الحدث	ملاحظات
إسلام حمزة وعمر	تضاعف الأمل في نفوس المسلمين، واستجاب الله دعوة نبيه بأن أسلم أحد العمرين وهو عمر بن الخطاب.
المقاطعة العامة	استمرت ثلاث سنوات، وتجلت قدرة الله في أن أكلت الأرضة صحيفة المقاطعة.
عام الحزن	توفي فيه أبو طالب وخديجة وامتزت مشاعر النبي - صلى الله عليه وسلم - لوفاتهما.
الخروج إلى الطائف	طرد أهل الطائف النبي - صلى الله عليه وسلم - ورموه بالحجارة.
الإسراء والمعراج	جاءت هذه الحادثة تكريماً وتثبيتاً للنبي - صلى الله عليه وسلم - على دعوته.

1.3 إسلام حمزة وعمر

خلال هذا الجو الملبد بغيوم الظلم والعدوان، لاح برق أضواء الطريق، وضاعف الأمل في نفوس المسلمين وهو إسلام حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه، وذلك في أواخر السنة السادسة من البعثة النبوية، ويقال إن سبب إسلامه أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً عند الصفا، فأذاه وسبه، ورسول الله ساكت لا يكلمه، ثم ضربه بحجر حتى نزف منه الدم، فشاهدت جارية لعبدالله بن جدعان هذا الحدث، فذهبت إلى حمزة فأخبرته، ووجدته قادماً لآتره من الصيد، فغضب حمزة وخرج إلى الكعبة باحثاً عن أبي جهل، فلما وقف عليه قال له: تشتم ابن أخي وأنا على دينه؟ ثم ضربه بقوس في يده فشجه شجة منكورة، وكادت الفتنة

أن تقع بين بني مخزوم وبني هاشم، لولا تدخل أبي جهل نفسه، حيث قال : دعوا أبا عماره،
فإني سببت ابن أخيه سباً قبيحاً (ابن هشام، السيرة النبوية، ج 1، ص 177) .
فكان إسلام حمزة أنفة رجل أبي أن يهان مولاه، ثم شرح الله صدره فاستمسك بالمعروة
الوثقى، واعتز به المسلمون أيما اعتزاز.

أما عمر بن الخطاب : فقد جاء إسلامه بعد ثلاثة أيام من إسلام حمزة رضي الله عنه، كان عمر معروفاً
بجدة الطبع وقوة الشكيمة، وقد لقي المسلمون منه أدنى كثيراً ويروى أن للنبي صلى الله عليه وسلم كان قد دعا
الله لإسلامه، فعن ابن مسعود وأبى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «اللهم عز الإسلام بلحج الرجلين إليك
: عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام (أبو جهل)». ويقول ابن مسعود رضي الله عنه : كان إسلام عمر قتلحاً،
وكانت مجرته نصرأ، وكانت خالقه رجلة .

أما عن قصة إسلامه فيروي أنه قد حزت في نفسه هجرة للمسلمين إلى الحبشة وتأثر لفراقهم وتركهم
أهلهم ووطنهم، وحمل مسئولية ذلك كله للنبي صلى الله عليه وسلم، فصمم على أن يخلص مكة من هذا الرجل
الذي فرق جماعتها، وعاب آلهتها، وجعل نفراً من أهلها على ترك وطنهم الحبيب، فحمل سيفه واتجه نحو محمد
وأصحابه حيث كانوا مجتمعين، يريد قتل النبي صلى الله عليه وسلم، وفي الطريق لقيه نعيم بن عبد الله العدوي
يسأله : أين تريد يا عمر؟ فأنضم إلى عمر بما ينوي عمله، فأنزعج الرجل وماله الأمر، وقال له : والله لقد غرتك
نفسك يا عمر، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً؟ فكان الرجل يريد صرفه عن
هذا الأمر للخطير، ثم واصل نعيم قوله : «أفلا ترجع يا عمر إلى أهل بيتك لتقيم أمرهم؟ قال عمر مهتماً دهشاً :
وأى أهل بيتي؟ قال نعيم : ختلك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو، وأختك فاطمة بنت الخطاب، فقد والله أسلما،
وتابعا محمداً على دينه فعليك بهما، فعاد عمر مسرعاً غاضباً إلى بيت أخته، وكان عندهما خباب بن الأرت ومعه
صحيفة فيها (سورة طه) يقرؤها إماماً، فلما سمع خباب صوت عمر قواري في البيت، وأخلفت فاطمة
الصحيفة، فلما دخل عليهما قال : ما هذه الهيمنة التي سمعتها عنكم؟ فقالا : ما عدا حديثاً تحدثناه بيننا، قال :
فلعلكما قد صبرتما، فقال له ختته : يا عمر، أرايت إن كان الحق في غير دينك؟ فوثب عمر على ختته فوطأه وطأ
شديداً، فجاءت أخته لرفعه عن زوجها، فضربها ضربة قوية بيده فأدمى وجهها، فقالت وهي فضيى
: يا عمر إن كان الحق في غير دينك . أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله (ابن

الجوزي، تاريخ عمر بن الخطاب، ص 11 .

فلما يش عمو، ورأى ما بأخته من الدم ندم واستحيا، وهنا شرح الله صدره للإسلام فقال :
أعطوني هذا الكتاب الذي عنكم فأقرؤه، فقالت أخته : إنك رجس، ولا يمسه إلا المطهرون، فقم فاغتسل،
فقام فاغتسل، ثم أخذ الكتاب فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال : أسماء طيبة طاهرة، ثم قرأ : (سورة
طه) حتى انتهى إلى قوله : وإني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري (طه، الآية 14) فقال : ما
أحسن هذا الكلام وأكرمه؟ داووني على محمد، فلما سمع خطاب قول عمر خرج من مضجعه وقال له : أبشر يا
عمر، فإني أرجو أن تكون هي دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لله، فخرج عمر متوشحاً سيفه إلى الدار
التي كان فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فضرب الباب، فقام رجل ينظر من خلل الباب، قرأه
متوشحاً بالسيف، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستجمع القوم. فقال لهم حمزة : ما لكم؟ قالوا :
عمر ! فقال : وعمر؟ افتحوا له الباب، فإن كان جاء يريد خيراً يذلناه له، وإن كان جاء يريد شراً قتلناه
بسيفه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم دخل يوحى إليه، فخرج إلى عمر حتى لقيه في الحجرة، فأخذ
بمجامع ثوبه وحبائل السيف، ثم جذبته جذبة شديدة فقال : أما أنت متقنياً يا عمر حتى ينزل الله بك من
الخرزي والذكال ما نزل بالوليد بن المغيرة؟ اللهم هذا عمر بن الخطاب، اللهم عز الإسلام بعمر بن الخطاب،
فقال عمر : أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله، وأسلم، فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد .

أسئلة تقويم ذاتي



- 1- كم كان عدد المسلمين عندما هاجروا إلى الحبشة في المرة الأولى؟
- 2- كيف وصل المهاجرون إلى بلاد الحبشة؟
- 3- كم كان عدد المسلمين عندما هاجروا إلى الحبشة في المرة الثانية؟
- 4- ما هي السورة التي قرأها جعفر بن أبي طالب على ملك الحبشة؟
- 5- متى وكيف أسلم حمزة بن عبد المطلب؟
- 6- لماذا فكر عمر بن الخطاب قبل أن يدخل في الإسلام في التخلص من النبي - صلى الله عليه وسلم - ؟
- 7- من موافقني طلب عمر بن الخطاب بالرجوع إلى أهل بيته ليروي ما يحدث من أخيه وزوجها؟
- 8- كيف أسلم عمر بن الخطاب؟

كان إسلام عمر فتحاً على المسلمين، وذلة للكافرين، فقد روي أن المسلمين كانوا يصلون في دورهم حتى أسلم عمر فقاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة فصلى المسلمون معه .
وعن ابن عباس قال : « لما أسلم عمر قال للمشركون : قد انتصف القوم منا »
وروي عن صهيب الرومي أنه قال : « لما أسلم عمر ظهر الإسلام ودعي إليه علانية، وجلسنا حول البيت حلقاً، وطفنا بالبيت، وانتصفنا ممن غلظ علينا، ورددنا عليه بعض ما يأتي به » . وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع الفاروق، أي الذي فرق بين الحق والباطل، وهكذا كانت دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بالإسلام خير دليل للدعاة في عصرنا هذا وفي كل العصور أن دعوة كبار القوم للإسلام لها من الضرورة بمكان، لما لهم من مكانة في مجتمعاتهم، ولما رأيت قريش أن أمر الإسلام ينمو ويعلو، وأن وسائلها كلها في محاربته عجزت عن منعه من الانتشار، هنا اجتمعت قريش وقررت أسلوباً آخر من الحرب النفسية أكثر إحكاماً وأشد قوة لعله يأتي بفائدة .

تدريب (7)



ضع من القائمة (أ) مع ما يناسبه من القائمة (ب)

القائمة (أ)	القائمة (ب)
1 / السنة الخامسة من النبوة	1 / تسليم المهاجرين
2 / بطارقة النجاشي	2 / عمر بن الخطاب
3 / السنة السادسة من النبوة	3 / هجرة الحبشة الثانية
4 / ثلاثة وثمانون رجلاً	4 / هجرة الحبشة الأولى
5 / سورة طه	5 / إسلام حمزة بن عبد المطلب

2.3 المقاطعة العامة

أمام هذا الانتشار القوي للإسلام واستقطاب كبار القوم إليه لم تجد قريش بداً من إيجاد

أسلوب جديد لمحاربة الإسلام، فاجتمعوا وقرروا مقاطعة بني هاشم وبني المطلب الذين مازلوا مصممين على حماية النبي صلى الله عليه وسلم والقيام بدونه، فتحالفوا على ألا يبيعون لهم ولا يشترون منهم، ولا يتزوجون منهم، ولا يزوجونهم، ولا يدخلوا بيوتهم ولا يكلموهم حتى يسلموا إليهم محمداً صلى الله عليه وسلم ليقتلوه، وكتبوا بذلك صحيفة فيها عهود ومواثيق وعلقت في جوف الكعبة فأنحاز بنو هاشم وبني المطلب مؤمنهم وكافرهم إلا أبا لهب، وحبسوا في شعب أبي طالب، استمر هذا الحصار القاسي ثلاث سنوات، نال منه بنو هاشم والمطلب الأذى الشديد، فقد قطعت عنهم الميرة والطعام واشتد عليهم الحصار حتى أكلوا الجلود وأوراق الشجر، ولكنهم صمدوا ولم يسلموا محمداً صلى الله عليه وسلم، بل اشتدت حماية أبي طالب ورقابته له، وأمام هذا التصدي من الطرفين أخذت النخوة مجموعة من قريش وعز عليهم أن يستمتعوا بطيبات الحياة وبنو عمومهم من الهاشميين والمطلبين محرومون من كل شيء، فاجتمع خمسة نفر، هم : هشام بن عمرو بن عامر، وزهير بن أبي أمية المخزومي، وكانت أمه عاتكة بنت عبدالمطلب، والمطعم بن عدي، وزمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، وأبو البختري بن هشام، اجتمعوا عند الحجون، وتعاهدوا على القيام بتقضى الصحيفة، وقال زهير : أنا أبدوكم فأكون أول من يتكلم، فلما أصبحوا اجتمعوا وذهبوا إلى قريش في أنديتهم، وغدا زهير عليه حلة، فمظاف بالبيت سبعاً، ثم أقبل على الناس، فقال : يا أهل مكة أناكل الطعام، ونلبس الثياب، وبنو هاشم هلكت، لا يباع ولا يبتاع منهم، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة، قال أبو جهل، وكان في ناحية المسجد : كذبت والله لا تشق، فقال زمعة بن الأسود : أنت والله أكذب، ما رضىنا كتابتها حين كتبت، قال أبو البختري، صدق زمعة، لا نرضى ما كتب فيها ولا نقر به، قال المطعم بن عدي : صدقتمنا وكذب من قال غير ذلك، نهراً إلى الله منها ومما كتب فيها، وقال هشام بن عمرو نحوه من ذلك، فقال أبو جهل : هذا أمر قضى بليل، وتشور فيه بغير هذا المكان. وبعد أن دار الكلام بين القوم وبين أبي جهل، قام المطعم بن عدي إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا «باسمك اللهم»، ثم تقضى الصحيفة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الشعب الذي انحصروا فيه.

ليستأنف دعوته إلى دين الله تعالى دون كلل أو ملل.

الدروس المستفادة

1- كما سبق وأن أشرنا فإن دعوة الحق معرضة لشتى أنواع الضغوط لأجل إضعافها والقضاء عليها، ولكن رغم انتشار الظلم إلا أنه لا يخلو زمان أو مكان من أهل المروءة والتجدة، فعلى الدعوة إلى الله أن ينتبهوا لهؤلاء للاستفادة منهم.

2- إن ما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابتلاءات عزاء لكل مؤمن فيما يصيبه في هذه الحياة من ابتلاءات ومصائب، وذلك لا يعالج إلا بالصبر والتمسك بالحق حتى يأتي نصر الله.

3- الجاهليات القديمة والحديثة لا تخلوا من جوارب إيجابية يمكن الاستفادة منها، فقد ضحى بنو هاشم وبنو المطلب تضحيات كبيرة في سبيل قيمهم الجاهلية الخاصة بحماية القريب، واستفادت الدعوة الإسلامية من هذه التضحيات ولا بأس اليوم من الاستفادة من القوانين التي تصدرها المنظمات المحلية والإقليمية والدولية لحماية حقوق الإنسان أو اللجوء السياسي أو الحرية الفكرية أو غيرها.

3.3 عام الحزن

وهو العام العاشر من بعثته صلى الله عليه وسلم، فلم يمض على خروج بني هاشم سوى بضعة أشهر حتى مرض أبو طالب ومات.

وفي الصحيح أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل فقال: «أي عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله»، فقال أبو جهل: يا أبا طالب، ترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل يكلمه حتى مات على ملة عبد المطلب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «استغفروا لي ما لم أنه عنه» فنزلت «ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو

كانوا أولي قربي من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم (سورة التوبة، الآية 113)

وبعد وفاة أبي طالب بشهرين توفيت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد عن خمس وستين سنة، فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم على فقدتهما حزناً شديداً حتى سمي المؤرخون هذا العام «بعام الحزن» كيفاً؟ وكان أبو طالب هو الدرع الواقى والصمد المتبع له من أذى قريش، وكان نصيره في كل أمر يتخذه، يقول ابن هشام: «فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً، وبخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه، فقامت إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها: لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أبائك». (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص544). أما خديجة فقد كانت من نعم الله الجليلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كانت أول من آمن به وأزرقته في أخرج الأوقات، وأعانته على إبلاغ رسالته، حتى قال عنها صلى الله عليه وسلم: «أمنت بي حين كفر بي الناس، وصنقتني حين كذبني الناس، وأشركتني في مالها حين حرمتني الناس، ورزقني الله منها الولد، ولهذا فقد اهتزت مشاعر النبي صلى الله عليه وسلم بالحزن والألم على فقدتهما.

الدروس المستفادة

1- قدر الله بأن يعجل بابي طالب قبل أن يشتد ساعد المسلمين، وهو الحامي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فما الحكمة في ذلك؟ وكذلك السؤال حول، الحكمة في أن يعجل الله تعالى بوفاة خديجة، في وقت كان الرسول صلى الله عليه وسلم في أمس الحاجة إليها؟ وللإجابة عن ذلك نقول: إنه لو بقي أبو طالب بجوار النبي صلى الله عليه وسلم حتى قامت الدولة الإسلامية في المدينة، لتوهم البعض بأن أبا طالب كان من وراء هذه الدعوة وأنه هو الذي يدافع عنها بمكانته وسلطانه بين قومه، وإن ظل هو على الكفر.

2- إن وفاة عمه وزوجه في هذا الوقت الصعب للدلالة بأن الذي يحميه هو الله تعالى، وأقصد تعهد الله أن يعصم رسوله من المشركين والأعداء، فسواء أكان له ثمة من يحميه من الناس أو لم يكن، وذلك حتى تبلغ دعوته إلى مبعثها من النصر والتوفيق.

3- ليس العصمة من الناس أن لا يرى منهم إيذاءً أو عذاباً، وإنما العصمة التي تعهد الله بها بقوله «والله يعصمك من الناس» (المائدة، الآية 67) العصمة من القتل ومن أي عدوان أو صد من شأنه إيقاف الدعوة الإسلامية، فقد اقتضت حكمة الله أن يذوق الأنبياء من ذلك الشيء الكثير.

أسئلة تقويم ذاتي



- 1- ما هو مضمون مقاطعة قريش لبني هاشم وبني المطلب؟
- 2- كم من الزمن استمرت مقاطعة قريش؟
- 3- من هم الذين تعاضدوا على نقض صحيفة المقاطعة؟
- 4- ما هو مصير صحيفة المقاطعة؟
- 5- لماذا رفض أبو طالب أن يتبع النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو على فراش الموت بقول لا إله إلا الله؟
- 6- لماذا سمي المؤرخون العام العاشر من البعثة المحمدية بعام الحزن؟
- 7- كيف كان أثر وفاة أبي طالب على مسيرة النبي - صلى الله عليه وسلم -؟

4.3 الخروج إلى الطائف

اشتد إيذاء قريش للنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أبي طالب وخديجة، وسدت في وجهه كل السبل في مكة، ففكر النبي صلى الله عليه وسلم في أن يعرض دعوته على بعض القبائل العربية الأخرى خارج مكة على إيجادها النصير الذي يؤمن به ويؤازره، فقرر أن يذهب إلى قبيلة ثقيف بالطائف، وهي تبعد حوالي ستين ميلاً من مكة، فسار إليها ومعه مولاة

زيد بن حارثة وكان كلما مر على قبيلة في الطريق دعاهم إلى الإسلام، فلم تستجب إليه واحدة منها.

فلما وصل الطائف عمد إلى زعمائها وهم : عبدالميل، ومسعود وحبيب أبناء عمرو بن عمير الثقفي فدعاهم إلى الله وإلى نصرة الإسلام، فرفضوا وردوا عليه رداً منكراً، فقال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم : «إذ فعلتم فاكتموا عني» فمكث في الطائف عشرة أيام يدعو أشrafها، ولكنهم قالوا له : اخرج من بلادنا، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم، فوقفوا صفين يسبون ويصيحون فيه ويرمون بالحجارة، حتى تخضبت نعلاه بالدماء، وكان زيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى أصابه شجاج في رأسه، ومازالوا يتابعونه حتى خرج من الطائف ولجا إلى حائط بستان لعتبة بن ربيعة وأخيه شبيب، ثم جلس ودعا ربه دعاءً يدل على الحزن والكآبة مما لقي من الشدة حيث قال :

«اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك».

فلما رآه ابنا ربيعة تحركت له رحمهما، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عداس، وأمراه بأن يأخذ قطعاً من العنب ويقدمها له، فلما وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مد يده إليه وقال «بسم الله» ثم أكل، فقال عداس : إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : من أي البلاد أنت؟ وما دينك؟ قال : أنا نصراني من أهل فينوى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من قرية الرجل الصالح يونس بن متى»، قال له : وما يدريك ما يونس بن متى؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ناك أخي كان نبياً وأنا نبي» فكب عداس على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وبديه ورجليه يقبلها.

ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق مكة بعد خروجه من الحائط كئيباً

محزوناً كسير القلب، فلما بلغ قرن المنازل بعث الله إليه جبريل ومعه ملك الجبال ليأمره صلى الله عليه وسلم بما شاء، فقال له : يا محمد فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين (وهما جبلا مكة أبو قبيس وقبيعان)، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : ويل أرجو أن يخرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله عز وجل وحده ولا يشرك به شيئاً. (الباركغوري، الرحيق المختوم، ص 109)

ثم تقدم في طريق مكة حتى بلغ وادي ثخلة، وأقام فيه أياماً، وخلال إقامته هناك، بعث الله إليه نفرًا من الجن استمعوا إلى القرآن فأمنوا به، وقد نكر الله تعالى ذلك في سورتي الاحقاف والجن، حيث قال :

«وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمْعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصَتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلُوا إِلَى قَوْمِهِمْ مَنْثَرِينَ، قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى، مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَخْطِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابِ إِلِيمٍ (الاحقاف، الآيات 29 - 31) .

«قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنًا عجيباً، يهدي إلى الرشاد فأمنوا به ولن نَشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا» (الجن، الآيتان 2-1)

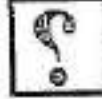
وبعد نزول هذه الآيات وقبلها مجيء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث أطمأن الرسول على مسيرة دعوته، وزالت عنه سحابة الحزن التي ألمت به في الطائف، وقرر العودة إلى مكة ومواصلة الدعوة بحماس جديد حتى النصر، وحينئذ سأل زيد بن حارثة قائلاً : كيف تدخل على قريش وقد أخرجوك؟ فقال : «يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً، وإن الله ناصر دينه، ومظهر نبيه» وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا دنا من مكة بحراء، بعث إلى الأخنس بن شريق ليجيره فرفض، فبعث إلى سهيل بن عمرو فرفض، ثم بعث إلى المطعم ابن عدي فأجاره، فدخل الرسول صلى الله عليه وسلم مكة تحت حمايته، فحفظ الرسول صلى الله عليه وسلم للمطعم هذا الصنيع، فقال في أسارى بدر : «لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له .

تقريب (8)



من مآثر الجامعة عُرف الجوار وكانوا يحترمونهم، عزيزي
الدارس، ما هو المقابل للجوار في عصرنا هذا وكيف يمكن أن يستفيد
منه الإسلام.

أسئلة تقويم ذاتي



- 1- كم بلغت خديجة بنت خويلد من العمر عندما تزوجت ؟
- 2- لماذا قرر النبي - صلى الله عليه وسلم - الذهاب إلى قبيلة ثقيف بالطائف ؟
- 3- كيف كان رد زعماء ثقيف على النبي عندما دعاهم للإسلام ؟
- 4- كم من الزمن مكث النبي - صلى الله عليه وسلم - في الطائف يدعو الناس للإسلام ؟
- 5- كيف أسلم عذاس على يدي النبي - صلى الله عليه وسلم - ؟

(3) **خوبی**

الطريق التاريخي بين مكة والمطائف

الذي سلكه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)



الدروس المستفادة

- 1- إن الأذى الذي لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم بالطائفتين لهو من جملة المحن التبليغية التي أراد الرسول صلى الله عليه وسلم تبليغها للناس، وأن عليهم واجب الصبر كما قال الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا» (آية 20) وأن الإنسان مهما بلغ به من الأذى في سبيل الدعوة أن يستقبل ذلك الأذى بنفس راضية مطمئنة، ويتجرع تلك الشدائد صابراً محتسباً، وأن روح الانتقام من الأهل والعشيرة ربما أضرت بالدعوة ولا سيما وأن الدعوة اليوم تواجه مثل تلك التحديات والعقبات الشديدة الكثيرة، فعلى الدعوة التماسي بسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم.
- 2- إن الصبر على الكاره والشكر إلى الله لا تتعارضان، فالشكر إلى الله تعبد وضراعة، وإن المصائب تسوق صاحبها إلى باب الله تعالى واللجوء إليه، ولذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلمنا في سيرته كلا الأمرين، فكان بصبره الشديد على المحن، يعلمنا أن هذه هي وظيفة المسلمين عامة والدعاة إلى الله خاصة، وكان أطول ضراسته والتجته إلى الله تعالى يعلمنا وظيفة العبودية ومقتضياتها (البوطي، فقه السيرة، ص 102).
- 3- لقد كان إيمان الجن برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن ناله الأذى من ثقيف تسلياً من الله له أنسته الآله، وأكدت له أن الله تعالى لن يتركه، فإن تخلى عنه أهل الأرض إلى حين، ففي العوالم الأخرى من الملائكة والجن من يشد أزره ويؤمن به، وأن الله الذي حول الجن إلى مؤمنين ودعاة إلى هذا الدين الجديد لقادر على تحويل عتاة قريش وثقيف إلى مؤمنين ودعاة بعد حين، وقد كان ذلك كذلك.
- 4- إن موقف زيد بن ثابت وحمايقه لرسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه حتى ناله ما ناله من الأذى لهو درس لدعاة اليوم وما يجب عليهم من حماية قواد الدعوة ورموزها والدفاع عنهم وإن اقتضى الأمر التضحية بحياتهم.
- 5- إن إجابة الرسول صلى الله عليه وسلم لزيد بن ثابت عندما أراد دخول مكة، فهي إجابة الرسول الموقن برسالته، وأنه سيسير في هذه الطريق مهما كانت العاقبة، وهو درس بليغ

لدعاة اليوم بأنه يجب أن لا تصدنا المحن والعقبات التي تقف في طريق الدعوة الإسلامية عن السير، وأن لا تثبت فينا روح الدعة والكسل ما دمنا نسير على هدى الإيمان وتوقيفه. فمن استمد القوة من الله جدير به أن لا يعرف لليأس والكسل معنى، فما دام هو الأمر، فلا شك أنه الناصر أيضاً.

تدريب (9)



أولاً : ضع دائرة حول الحرف الذي يشير إلى الإجابة الصحيحة

- 1 / عندما ذهب النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى الطائف كان يصحبه :
(أ) أبو بكر الصديق (ب) زيد بن حارثة (ج) أسامة بن زيد
 - 2 / عندما خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - من الطائف لجأ إلى :
(أ) حائط يستان (ب) جبل أحد (ج) أحد المنازل
 - 3 / في طريق عودته إلى مكة أقام النبي - صلى الله عليه وسلم - أياماً في وادي
(أ) قرن المنازل (ب) نخلة (ج) العقيق
- ثانياً : اكمل ما يأتي من دعاء النبي (صلى الله عليه وسلم) :
- «اللهم ضعف قوتي، و و يا أرحم الراحمين ، أنت وأنت إلى؟ إلى أم إلى إن لم يكن فلا أبالي، ولكن أعوذ أشرقت له الظلمات و أمر الدنيا والآخرة من أو يحل لك ولا حول ولا قوة إلا بك»

5.3 الإسراء والمعراج

عزيزي الدارس، هل فكرت يوماً ما هي الحكمة من الظواهر الإلهية التي خص بها الله نبيه الكريم. والآن نتعرف سوياً على حادثة الإسراء والمعراج كواحدة من هذه الظواهر.

في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ظواهر إلهية أوجدها الله ليختبر بها القلوب، ويمحص بها الأفئدة، ويصهر بها إيمان المؤمن فيزداد إيماناً، ويكشف بها من كان وأهمل الإيمان وأهمل العقيدة فيبعده عن شريعته السمحة ورحمته الرحيمة (محمود الشريف، الرسول في القرآن، ص 28)

وقد حدثت واقعة الإسراء والمعراج في السنة العاشرة من بعثته صلى الله عليه وسلم، في وقت اشتد فيه الأذى برسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة عقب خروجه إلى الطائف، فجاءت هذه الحادثة تكريماً وتثبيتاً له على دعوته والسبيل الذي يسير عليه (المباركفوري، الرحيق المختوم، ص 135).

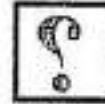
ويقصد بالإسراء، الرحلة التي أكرم الله بها نبيه من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالقدس، أما المعراج فهو ما أعقب ذلك من العروج به إلى طبقات السماوات للعلا ثم الوصول به إلى حد انقطعت عنده علوم الخلائق من ملائكة وإنس وجن، كل ذلك في ليلة واحدة.

واتفق جمهور المسلمين على أن هذه الرحلة كانت بالجسم والروح معاً، ولذلك فهي من معجزاته الباهرة التي أكرم الله بها (البوطي، فقه السيرة، ص 108)

أما قصة ذلك فكما ورد في كتب الحديث والسيرة بأن الرسول صلى الله عليه وسلم في ليلة الإسراء كان في بيت أم هانئ بنت عمه أبي طالب حين جاءه جبريل عليه السلام ومعه البراق، وأخذه إلى بيت المقدس في فلسطين، حيث كان في استقباله هناك جمع من الأنبياء فيهم إبراهيم وموسى وعيسى... عليهم الصلاة والسلام، فعلى النبي صلى الله عليه وسلم بهم إماماً ركعتين، وعرض عليه جبريل إناءً من خمر وإناءً من لبن، فاختر عليه الصلاة والسلام اللبن، فقال جبريل: اخترت الفطرة، ثم عرج به إلى السماء الأولى، فالثانية فالثالثة... حتى السماء السابعة، فالتقى بإخوانه الأنبياء كل في مكانه، فالتقى آدم وإدريس، ونوح، وإبراهيم، وموسى وهارون وداود وسليمان ويحيى وعيسى، وتحدث إليهم ومنازه وحيوه، ثم ارتقى في السموات العلى عند سدرة المنتهى حيث رأى من آيات ربه الكبرى، وأوحى الله إليه ما أوحى

.. ثم عرضت عليه وعلى أمته خمسين صلاة في اليوم. وما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل ربه التخفيف حتى جعلها الله خمس صلوات في كل يوم وليلة من فداهن إيماناً واحتساباً كان له أجر خمسين صلاة (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 1، ص 211).

أسئلة تقويم ذاتي



- 1- متى حدثت واقعة الإسراء والمعراج؟
- 2- أين كان النبي - صلى الله عليه وسلم - في ليلة الإسراء؟
- 3- من كان في استقبال النبي - صلى الله عليه وسلم - عندما أخذه جبريل عليه السلام إلى بيت المقدس؟
- 4- ما هي العبادة التي فرضت على النبي - صلى الله عليه وسلم - وعلى عباده في رحلة المعراج؟
- 5- أين رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - آيات ربه الكبرى في رحلة المعراج؟

وقد ورد ذكر تفاصيل الإسراء والمعراج في سورتين من القرآن الكريم : الأولى سورة الإسراء، حيث قال تعالى : «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير» (الإسراء، الآية 1). وقال في سورة النجم «ولقد رآه نزلة أخرى، عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى، إذ يغشى السدرة ما يغشى، ما زاغ البصر وما طغى، لقد رأى من آيات ربه الكبرى» (النجم، الآيات 13 - 18).

نشاط



عزيزي الدارس، ارجع إلى كتب تفاسير القرآن الكريم وكتب مقالاً يحتوي على تفسير الآيات من 13 إلى 18 من سورة النجم ومن ثم وضح كيف يمكن أن ترد على المستشرقين الذين جردوا النبي - صلى الله عليه وسلم - من تلك المعجزات. وأعرض ذلك على زملائك ومشرقتك الأكاديمية.

ثم عاد الرسول صلى الله عليه وسلم من رحلته إلى مكة في الليلة ذاتها، وفي الصباح أخبر قومه بما حدث له، وما شاهده، وكما كان متوقفاً منهم، كذبوه وسخروا منه، بل أكثر من ذلك اعتبروا القصة قرصة لهم لحسب الناس عن الإيمان به وتصديقه، وقالوا: من ذا يصدق، أن رجلاً يمكنه أن يذهب من مكة إلى فلسطين ويعود في ليلة واحدة، ونحن نضرب بها أكباد الإبل شهراً ذهاباً، وشهراً إياباً؟ فضاءً عن قصة المعراج التي هي أغرب من أمر الإسراء!! ومن ثم أخذ المشركون يروجون لحمل الناس على تكذيبه، ومروولوا إلى أبي بكر وقالوا له: تعال واسمع ما يقول صاحبك، فقال لهم: ماذا قال: قالوا: أنه يقول: إنه أسرى به من مكة إلى بيت المقدس، وعاد إلى مكة في ليلة واحدة.. فقال أبو بكر: إن كان قال ذلك فقد صدق، لأنه يخبرني أن الخبر يأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه، وهذا أبعد مما تعجبون منه، فالجهمهم أبو بكر بذلك. وعندما سمع الرسول صلى الله عليه وسلم ما حدث من أبي بكر، لقيه بالصديق.

الدروس المستفادة

1- إن حادث الإسراء والمعراج لم يكن حدثاً فردياً عادياً، وإنما اشتمل على معانٍ شبيهة عميقة ودقيقة، وأكد بأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو نبي القبلتين، وإمام المشرقين والمغربين، ووارث الأنبياء قبله، وإمام الأجيال بعده، فقد التقت في شخصه وفي أسرائه مكة بالقدس، والبيت الحرام بالمسجد الأقصى، وكانت إمامته للأنبياء إيذاناً بعموم رسالته وخلود إمامته وإنسانية تعاليمه، وصلاحياتها لاختلاف الزمان والمكان، وتحديد إمامته وقيادته بتلك الصفة كما ورد في سورة النجم هو تأكيد لمكانة الأمة التي بعث فيها وأمنت به وبيان لرسالتها ودورها الذي يجب أن تقوم به في هذا العالم وبين الشعوب والأمم (الندوي، السيرة النبوية، ص 149).

2- ولعل الحكمة في مرور هذه الرحلة ببيت المقدس لم تكن من المسجد الحرام إلى سدرة المنتهى مباشرة، هو أنه عندما أهدر اليهود كرامة الوحي، وأسقطوا أحكام الله حلت بهم لعنة الله وتقرر تحويل النبوة منهم إلى الأبد، على الرغم من أنها ظلت فيهم زمناً طويلاً، ومن ثم كان مجيء الرسالة إلى محمد صلى الله عليه وسلم انتقالاً بالقيادة في العالم من أمة إلى أمة، ومن بلد إلى بلد، ومن ذرية إسرائيل إلى ذرية إسماعيل، وهو انتقال فيه احترام للإيمان الذي درج قديماً في رحابه (مهدي رزق الله، السيرة النبوية، ج 1، ص 282).

3- وفي ليلة الإسراء والمعراج تأكدت الصفة الأولى لهذا الدين وهو أنه دين الفطرة، ففي الحديث: «... ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن، فأخذت اللبن فقال: هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك. إن سلامة الفطرة لهي لب الإسلام، ويستحيل أن تفتح أبواب السماء لرجل فاسد السريرة، غليل القلب، ويوم تكون العبادات نفسها ستاراً لفطرة فاسدة فإن هذه العبادات الخبيثة تعتبر أنزل رتبة من المعاصي الفاجرة، والناس كلما تقدمت بهم الحضارات أغنوا في التكلف والمصانعة، وقيدوا أنفسهم بعبادات وتقاليد قاسية، وأكثر هذه التكاليف حجب تطمس وهج الفطرة وتطمس نقاوتها وطلاقتها (الغزالي، فقه السيرة، ص 136).

4- إن حادثة الإسراء والمعراج معجزة خص الله بها نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم مثلما خصه بالنبوة، وبالتالي فإن الخوارق والمعجزات قائمة في أصل كيانه عليه الصلاة والسلام، وأن محاولة بعض المستشرقين وتلامذتهم الطعن في هذه المعجزات والتقليل من شأنها، لهو محاولة للطعن في أصل الدين، كما يحاول البعض تجريد النبي صلى الله عليه وسلم من تلك الخوارق والمعجزات وتصوير حياته بعيدة عن كل ما لا يدركه العقل من المعجزات وخوارق العادات كي يتم لهم إنشاء صورة جديدة للنبي صلى الله عليه وسلم في أنهان المسلمين مع مرور الزمن قد تكون صورة (محمد العبقري) أو (محمد القائد) أو (صورة محمد البطل) وهي صورة أقرب إلى عالم ما يسمونه بالميثولوجيا (الأساطير) منه إلى ظاهرة الوحي والنبوة اللتان تعتبران في رأس المعجزات، وبالتالي يكون الأمر الجامع للناس حول الرسول صلى الله عليه وسلم، هو عبقريته ومقومات قيادته، وقد تجلّى هذا

الامر واضحاً في إساءتهم لكلمة «محمدين»، كتسمية جديدة بدلاً عن «مسلمين»
(البوطي، فقه السيرة، ص 113).

ولذا فإن على الشباب المسلم أن ينتبه وهو يطالع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الأقلام المسمومة لحترفي التشكيك وأرباب الغزو الفكري، الذين وجدوا فيما يقوله بعض المسلمين أنفسهم ممن افقتتوا وانخدعوا بالحضارة الغربية والذهضة العلمية من أمثال الشيخ محمد عبده ومحمد فريد وجدي وحسين هيكل... وغيرهم ممن تتلمذوا على المستشرقين الأجانب مثل غوستاف لوبون، وأوجست كونت، وهيوم، وجولدزبيرج وغير هؤلاء.

5- إن فرض الصلوات الخمس في ليلة المعراج لدليل على أهمية هذا الركن من أركان الإسلام. فقد شرعت في السماء لتكون معراجاً يرقى بالناس كلما قُلت بهم شهوات النفوس وأعراض الدنيا، فعلامة صدق الصلاة أن تعصم من الدنيا وأن تخجل صاحبها من البقاء عليها إن ألم بشيء منها (الغزالي، فقه السيرة، ص 136).

الخلاصة

عزيزي الدارس، بهذا نكون قد وصلنا إلى نهاية الوحدة الثالثة من مقرر السيرة النبوية ولعله من الأفضل أن نلخص ما جاء في هذه الوحدة قبل أن ننتقل إلى الوحدة الرابعة.

حدثتنا هذه الوحدة في مجملها عن الدعوة في مكة بمعارضة قريش لها، وخروج الصحابة ومجرتهم إلى الحبشة، وقد مرت الدعوة في مكة بمرحلتين مرحلة أولى وكانت سرية وخاصة بأهل بيت النبي - صلى الله عليه وسلم - وأقاربه، ومرحلة ثانية وكانت جهرية حيث دعا قريشاً للدخول في دين الإسلام والخروج من الظلمات إلى النور.

عزيزي الدارس، وجدنا أن قريشاً لم تهتم بالدعوة الإسلامية في مرحلتها الأولى (السرية) ولكنها تنبّهت إلى خطورة الدعوة في مرحلتها الثانية (الجهرية) وهنا بدأت قريش في معارضة الدعوة ومعارضة النبي - صلى الله عليه وسلم - وصحابته وذلك بالطرق التالية:

أ/ التأثير على عمه أبي طالب وتهديده.

ب/ الدعاية الكاذبة وسط الحجاج.

ج/ السخرية والتحقير والاستهزاء والضحك.

د/ مطالبة النبي - صلى الله عليه وسلم - بالمعجزات.

هـ/ المساومات.

و/ التشويش على القرآن الكريم.

ز/ الاعتداء والتعذيب.

من بعد ذلك عرفنا عزيزي الدارس أن هذه المعارضة كان وراءها العديد من الأسباب

تمثلت في الآتي:

أ/ المنافسة القبلية على زعامة قريش «تناقض بين بني هاشم وبني أمية».

ب/ رفض قريش لدعوة النبي - صلى الله عليه وسلم - للمساواة بين البشر، وأن الناس

سراسية أمام الله.

ج/ تمسك قريش بعبادات وتقاليد وعبادات أجدادهم والخروج عن ذلك يعتبر خيانة.

في ظل هذه المعارضات والتعذيب هاجر بعض الصحابة إلى الحبشة مرتين حيث وجدوا حسن الجوار من ملك الحبشة ، كما وجد الإسلام دفعة قوية حيث حدثت أحداث كان لها الفضل في تقدم الإسلام على الشرك ، ونوجزها في الآتي :

أ/ إسلام حمزة بن عبدالمطلب وعمر بن الخطاب .

ب/ مقاطعة قريش لبني هاشم .

ج/ وفاة أبي طالب وخديجة بنت خويلد (عام الحزن) .

د/ الخروج للدعوة في الطائف .

هـ/ الإسراء والمعراج .

الوحدة السابقة من الوحدة التالية

عزيزي الدارس، ونحن نتابع سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - نذكرك بأن موضوع الوحدة القادمة هو بيعتنا العقبة وأحداث الهجرة إلى المدينة المنورة. وهي توضح لك مدى اجتهاد النبي - صلى الله عليه وسلم - لتبليغ رسالته وبعوته إلى أن يبايعه الناس على عدم الشرك بالله وعدم الزنا والسرقه إلخ. وقد وجد النبي - صلى الله عليه وسلم - في هذا الأمر أنواعاً من المعارضة والتعذيب له ولأصحابه، فأذن النبي - صلى الله عليه وسلم - بالهجرة إلى المدينة المنورة حيث كانت طلائع الهجرة من بعض الصحابة. عزيزي الدارس، نتعرف في الوحدة القادمة أن المشركين دبروا مكيدة لقتل النبي - صلى الله عليه وسلم - ولكن الله أنجاه، وتمت له الهجرة إلى المدينة المنورة، وفي هذه الرحلة أو الهجرة حدث الكثير من معجزات النبي - صلى الله عليه وسلم -.

اجابات التدريبات

تدريب (1)

X / 1

✓ / 2

X / 3

✓ / 4

✓ / 5

X / 6

تدريب (2)

نعم حدث ذلك، فقد كان قوم نوح يعبرونه بأنه أتباعه من أراذل الناس ودمماتهم، قال تعالى :
 :وما نراك إلا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي» (هود، الآية 27).
 وكذلك كان فرعون وأتباعه يرون أتباع موسى أنلاء مستضعفين فتحدث عنهم القرآن بعد
 هلاك فرعون ومن معه، قال تعالى : «واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض
 ومغاريها التي باركنا فيها» (الاعراف، الآية 137).

تدريب (3)

القائمة (ب)	القائمة (أ)
1 / أول من عارض الدعوة الجهرية	1 / أبو لهب
2 / كان يدافع عن النبي في كل الأوقات	2 / أبو طالب
3 / الدعاية وسط الحجاج	3 / محمد ساحر
4 / استهزأ بالنبي - صلى الله عليه وسلم -	4 / الأخنس بن شريق
5 / لا أغني عنك من الله شيئاً	5 / صفية بنت عبدالمطلب
6 / من السابقات للإسلام	6 / أم الفضل لبابة الكبرى

تدريب (4)

كانت دعوة النبي - صلى الله عليه وسلم - واضحة جلية وكانت وقفته واحدة لم يتزعزع عنها وكان من جليل حكمة الله تعالى أن يقوم مشركوا قريش بسلسلة من المسارعات مع النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد أن صوروا في أنفسهم كل ما يمكن أن يظنوه سبباً أو هدفاً وراء دعوته ورفض النبي - صلى الله عليه وسلم - كل العروض ليثبت للتاريخ أن هدفه شيء واحد وهو الإسلام، وليقطع الطريق أمام المتشككين في أهداف دعوته.

تدريب (5)

- 1 / عمارة بن الوليد بن المغيرة
- 2 / حياض مكة - قصي
- 3 / النضر بن الحارث
- 4 / الأموال - السيادة - الملك - العلاج من الأمراض.
- 5 / عقبة بن أبي معيط

تدريب (6)

- 1 / (أ)
- 2 / (ج)
- 3 / (ب)
- 4 / (أ)
- 5 / (ب)

تدريب (7)

القائمة (أ)	القائمة (ب)
1 / السنة الخامسة من النبوة	1 / هجرة الحبشة الاولى .
2 / بطارقة النجاشي	2 / تسليم المهاجرين
3 / السنة السادسة من النبوة	3 / إسلام حمزة بن عبدالمطلب
4 / ثلاثة وثمانون رجلاً	4 / هجرة الحبشة الثانية
5 / سورة طه	5 / عمر بن الخطاب

تدريب (8)

إن من مآثر الجاهلية ذلك العرف الذي كانوا يحترمونهُ ألا وهو الجوار، وهو يشبه ما يعرف من الدول الحديثة بحق اللجوء السياسي وهو ما يمكن أن يستفيد منه الدعاة المسلمون اليوم وخاصة الذين تخرجهم بلادهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله .

تدريب (9)

أولاً:

1 / (ب)

2 / (أ)

3 / (ب)

ثانياً : إليك أشكو - قلة حيلتي - هواني على الناس - رب المستضعفين - ربي - من تكلمي - بعيد يتجهمني - عدو ملكته أمري - بك على غضب - عاقبتك أوسع لي - بنور وجهك الذي - صلح - أن ينزل بي غضبك - على سخطك - العتبى حتى ترضى .

المصادر والمراجع

- 1- القرآن الكريم.
- 2- ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن الجزري) ، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1386هـ - 1996م.
- 3- ابن القيم (شمس الدين أبو عبدالله) ، زاد المعاد، المطبعة المصرية 1347هـ.
- 4- ابن سعد (محمد بن سعد) - الطبقات الكبرى، دار صادر (بيروت)، 1388هـ - 1968م.
- 5- ابن كثير (أبو الفداء الحافظ ابن كثير) ، البداية والنهاية في التاريخ، مكتبة المعارف، بيروت 1417هـ - 1997م.
- 6- ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن هشام)، السيرة النبوية، مطبعة بابي الحلبي، القاهرة 1375هـ - 1955م.
- 7- أبو الحسن الندوي ، السيرة النبوية، دار الشروق، 1995م.
- 8- الأزرقى ، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، طبع بيروت ومكة المكرمة 1399هـ - 1979م.
- 9- الإمام أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، المكتب الإسلامي، بيروت، 1398هـ - 1978م.
- 10- البخاري (الإمام أبو عبدالله) ، صحيح البخاري ، المكتبة الرحيمية بالهند، 1397هـ - 1977م.
- 11- البوطي (محمد رمضان البوطي)، فقه السيرة، بيروت 1419 - 1999م.
- 12- الترمذي (محمد بن عيسى) ، شعائل الترمذي، دلهي ، الهند، 1385هـ - 1965م.
- 13- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير)، تاريخ الأمم والملوك، دار المعارف، القاهرة (د.ت.).
- 14- الغزالي (الشيخ محمد الغزالي)، فقه السيرة، دار القلم، دمشق، 1418هـ - 1998م.
- 15- المسعودي (أبو الحسن علي بن حسين) مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار المعرفة، بيروت (د.ت.).

- 16- الواقدي (محمد بن عمر بن واقد)، مغازي الواقدي، طبع بيروت، 1384هـ - 1964م.
- 17- اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب)، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، 1379هـ - 1960م.
- 18- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة، المصرية، القاهرة 1399 - 1979 م.
- 19- حسن أحمد محمود، انتشار الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، مكتبة النهضة، 1966م.
- 20- صفى الرحمن مباركفوري، الرحيق المختوم، دار الوفاء، 1424هـ - 2003م.
- 21- عبد الشافي عبداللطيف ومحمد جبر أبو سعدة ، دراسات في السيرة النبوية، طبع، القاهرة 1979م
- 22- محمد الشريف، الرسول في القرآن الكريم، طبع، القاهرة، 1980م.
- 23- محمد جمال الدين سرور ، قيام الدولة العربية الإسلامية في حياة محمد صلى الله عليه وسلم، دار الفكر، القاهرة 1952.
- 24- محمد الخضري بك، تاريخ الأمم الإسلامية، المكتبة التوفيقية، القاهرة، 1382هـ - 1962م.
- 25- مهدي رزق الله أحمد ، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، دار إمام الدعوة للنشر والتوزيع - السعودية 1424هـ - 2003م.
- 26- ياقوت الحموي ، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1379هـ - 1977م.



مستويات الوحدة

الصفحة	الموضوع
155	مقدمة
155	تمهيد
156	أهداف الوحدة
157	1. بيعة العقبة
158	1.1 بيعة العقبة الأولى
159	2.1 بيعة العقبة الثانية
165	2. هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة
165	1.2 ملاحع الهجرة
167	2.2 مؤامرة قريش
171	3.2 الرحلة إلى المدينة
179	الخلاصة
180	لمحة سابقة عن الوحدة التالية
181	إجابات التدريبات
184	المصادر والمراجع

عزيزي الدارس، أهلاً بك في الوحدة الرابعة من مقرر السيرة النبوية، وهي تحدثك عن بيعتي العقبة وأحداث الهجرة إلى المدينة.

نواصل معاً عزيزي الدارس، مجهودات النبي - صلى الله عليه وسلم - في نشر الدعوة الإسلامية، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور. وتأتيك هذه الوحدة في قسمين رئيسين :
القسم الأول : عن بيعتي العقبة الأولى والثانية، والآخر كانت هي الأساس الذي هاجر عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة المنورة.

القسم الثاني : يفصل لنا في هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة، ويتناول أسباب الهجرة إلى المدينة، والرحلة من مكة إلى المدينة، وما صاحبها من حكم ومعجزات.
عزيزي الدارس، نرجو منك أن تعطي هذه الوحدة مزيداً من الاهتمام وخاصة فيما يتعلق بالإجابة عن أسئلة التقويم الذاتي والتدريبات والأنشطة والوقوف عند الأشكال التوضيحية، والتي أعدت لتساعدك في فهم واستيعاب الوحدة.
ونرحب بك مرة ثانية في الوحدة الرابعة. وإلى تفاصيلها.



مزيزي الدارس ، بعد انتهائك من الاطلاع على هذه الوحدة، تأمل فيك أن تكون قادراً على أن :

- تتحدث عن بيعتي العقبة الأولى والثانية وظروف انعقادهما .
- تكتب عن هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة ومعارضة مشركي مكة ، وتعرض المسلمين للأذى .
- تفصل في العناية الإلهية للنبي - صلى الله عليه وسلم - وحدث المعجزات في هجرته من مكة للمدينة .
- توضح أهم الدروس والعبر المستفادة من هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - .

١. يهودا العقبة

كان الرسول صلى الله عليه وسلم خلال هذه الفترة كلها يعرض نفسه في موسم الحج من كل سنة على القبائل التي تتوافد إلى بيت الله الحرام، يثلو عليهم كتاب الله ويدعوهم إلى توحيد الله، فلا يستجيب له أحد، ومما كان يقوله في هذه المواسم:

«هل من رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشاً منعوني أن أبليغ كلام ربّي» «ويا بني فلان، إني رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً وأن تخلعوا مما تعبدون من دونه وأن تؤمنوا بي وتصدقوني، وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به» (ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص 200).

وكان أبو لهب يسير خلفه فإذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديثه هذا، قال: هذا يدعركم أن تفارقوا دين آبائكم وأن تسلخوا اللات والعزى وحلفاءكم... إلى ما جاء به من البدعة والضلال.

وعن القبائل التي دعاها الرسول صلى الله عليه وسلم، وعرض نفسه عليهم: بنو عامر بن صعصعة، ومحارب بن خصفة، وقزارة، وغسان، ومرة، وحثيفة، وسليم، وعيس، وبنو نصر، وبنو البكاء، وكندة، وكنب، والحارث بن كعب، وعذرة، والحضارمة، فلم يستجب منهم أحد. وفي موسم العام الحادي عشر من النبوة، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو كعابته القبائل، وفي ليلة خرج معه أبو بكر وعلي، فمر بعقبة مني، فسمع أصوات رجال يتكلمون، فعمدهم حتى لحقهم، وقال لهم: «من أنتم؟» قالوا: نفر من الخزرج، قال: من موالي اليهود؟ قالوا: نعم، قال: «أفلا تجلسون أكلمكم؟» قالوا: بلى، فجلسوا معه، فشرح لهم حقيقة الإسلام ودعوته، ودعاهم إلى الله عز وجل، وتلا عليهم القرآن، فقال بعضهم لبعض: تعلمون والله يا قوم، إنه النبي الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقكم إليه، فأسرعوا إلى إجابة دعوته وأسلموا.

وكانت يثرب قد أنهكتها الحرب الأهلية بين الأوس والخزرج، فأملوا أن تكون دعوته سبباً لوضع تلك الحرب، فقالوا له: «إننا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما

بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فستقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك. ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك، ووعده أن يلتقوا في الموسم القادم (المباركفوري، الرحيق المختوم، ص 133).
ولما رجع هؤلاء إلى يثرب حملوا إليها رسالة الإسلام، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيه ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

1.1 بيعة العقبة الأولى

فلما استدار العام وأقبل موسم الحج لسنة 12 من النبوة، أقبل إلى مكة اثنا عشر رجلاً من المسلمين من يثرب، بعضهم ممن لقي النبي صلى الله عليه وسلم في الموسم السابق. وآمن به، فلقيهم الرسول صلى الله عليه وسلم عند العقبة بمنى، فبايعوه.
روى البخاري عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم: «تعالوا بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا بيهتان تغتروا به بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وفي منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله، فأمره إلى الله، إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه، فبايعناه على ذلك». (ابن القيم، زاد المعاد، ج 1، ص 42) وسميت أيضاً هذه البيعة ببيعة النساء تشبيهاً لها ببيعة الرسول صلى الله عليه وسلم للنساء في اليوم الثاني من فتح مكة.

وعندما أرادوا العودة إلى بلادهم، بحث معهم الرسول صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير ليقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين، فكان يسمى مقرئ المدينة، وكان يقيم مع أسعد بن زرارة وكان معه أيضاً عبد الله بن أم مكتوم.
ونجح مصعب أيما نجاح في نشر الإسلام، وأسلم على يديه خلق كثير من الأنصار، بمعاونة أسعد بن زرارة، ومن أسلم من أشرافهم، أسيد بن الحضير، وسعد بن معاذ، وأسلم بإسلامهم يومئذ جميع بني عبد الأشول الرجال والنساء إلا أصيرم بن ثابت فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أحد، وكان أول من أقام صلاة الجمعة بالمدينة هو أسعد بن زرارة، وكانوا

أربعين رجلاً، أمهم مصعب بن عمير .

وقبل حلول موسم الحج التالي من العام الثالث عشر للبعثة عاد مصعب بن عمير إلى مكة ليخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بالنجاح والتبؤل الذي لقيه الإسلام في يثرب، ويقتص عليه خبر قبائلها، وما فيها من مواهب الخير ومالها من قوة ومنعة (ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 2، ص 68).

تدريب (1)

ضع من القائمة (أ) مع ما يناسبه من القائمة (ب)	
القائمة (أ)	القائمة (ب)
1 / نفر من الخرج	1 / مصعب بن عمير
2 / اثناء عشر رجلاً	2 / أسعد بن زرارَة
3 / ميعوث النبي - صلى الله عليه	3 / اليوم الثاني من فتح مكة
وسلم - لتعليم القرآن الكريم	4 / حملوا الدعوة إلى يثرب
4 / بيعة النساء	5 / بيعة العقبة الأولى
5 / أول من أقام صلاة الجمعة بالمدينة	

2.1 بيعة العقبة الثانية

في موسم الحج في السنة الثالثة عشرة من النبوة حضر لأداء مناسك الحج بضع وسبعون نفرًا من المسلمين من أهل يثرب، وكانوا في الطريق يتساءلون فيما بينهم، حتى متى تترك رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف ويطرد في جبال مكة ويخاف؟ فلما قدموا اتصلوا سرًا برسول الله صلى الله عليه وسلم واتفقوا معه على أن يجتمعوا به في أواسط أيام التشريق في شعب العقبة بمعنى، على أن يكون الاجتماع ليلاً وبطريقة سرية .

وقد روى كعب بن مالك قصة هذا اللقاء بقوله : «فمنمنا تلك الليلة في رحالنا حتى إذا

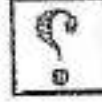
مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا ليعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم، نتسلل تسلل القطا مستخفين، حتى اجتمعنا في الشعب عند العتبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً، وامرأتان من نساءنا، نسيية بنت كعب وأسماء بنت عمرو، فاجتمعنا في الشعب نتنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتي جاءنا ومعه عمه العباس بن عبدالمطلب، وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويستوثق له، وكان أول المتكلمين، حيث قال: يا معشر الخزرج، إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده، وأنه قد أبى إلا الانحياز إليكم والحق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتوه إليه، وما نعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده، قال كعب: فقلنا له قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت.

فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلاً للقرآن، ودعا إلى الله، ورغب في الإسلام، ثم قال: «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم» فأخذ البراء بن معمر بيده ثم قال: والذي بعثك بالحق نبياً لنمنعك مما تمنع منه أزونا، فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أبناء الحرب وأمل الحلقة، ورثناها كابراً عن كابر، فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو الهيثم بن التيهان، فقال: يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبلاً، وإنا قاطعوها، - يعني اليهود - فهل عسيث إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا: فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: «بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم».

ثم نهض إثنان من الأنصار وهما العباس بن فضلة وأسعد بن زرارة ليشرحا لقومهما خطورة ما هم مقدمون عليه، فقال العباس بن فضلة: هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ فقالوا: نعم، قال: أنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتلاً أسلمتموه، فمن الآن فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتوه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف،

فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة. قالوا : فإننا نأخذك على مصيبة الاموال وقتل الأشراف، فمالنا بذلك يا رسول الله إن نحن وقينا بذلك؟ قال : الجفة قالوا أبسط يدك، فبسط يده فبايعوه (ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، ص 100).

أسئلة تقويم ذاتي



- 1- من هم الذين حضروا للحج في السنة الثالثة عشرة من النبوة ومثلوا لقاء النبي - صلى الله عليه وسلم - في أوسط أيام التشريق؟
- 2- أين ومضى تم هذا اللقاء؟
- 3- من هو الذي روى قصة هذا اللقاء؟
- 4- من هو الذي حضر مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للقاء هذا الوفد؟
- 5- على ماذا بايع النبي - صلى الله عليه وسلم - هذا الوفد.

وقال أسعد بن زرارة عندما قام الناس للبيعة : «روينا أهل يثرب، إننا لم نضرب إليه أكباد الإبل، إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وأن إخراجنا اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم. وإن تعضكم السيوف، فإما أنتم تصبرون على ذلك فخذوه، وأجركم على الله، وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه، فهو أعذر لكم عند الله، فقلوا يا أسعد أمط عنا يدك، فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نستقبلها».

وعندما تأكد لأسعد موقف قومه ضرب على يد الرسول صلى الله عليه وسلم أي صافحه، ثم تتابع القوم رجالاً رجالاً لمبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم، مبشراً بالجنة من وفى بها (ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، ص 96). أما بنو البيعة فقد قال جابر : قلنا يا رسول الله علام نبايعك : قال :

- على السمع والطاعة في النشاط والكسل
- وعلى النفقة في العسر واليسر

- وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
 - وعلى أن تقولوا في الله ، ولا تأخذكم في الله لومة لائم .
 - وعلى أن تنصروني إذا قدمت إليكم ، وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم ولكم الجنة .
- وعندما تمت البيعة قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :
- أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيباً ليقوموا على قومهم بما فيهم . فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس ، وهم :
- عبادة بن الصامت ، البراء بن معرور ، عبدالله بن رواحة ، سعد بن الربيع ، أسعد بن زرارة ، سعد بن عباد ، المنذر بن عمرو ، أسيد بن حضير ، سعد بن خيثمة ، عبدالله بن حرام ، رافع بن مالك ، أبو الهيثم بن التيهان .
- فقال الرسول صلى الله عليه وسلم للنقباء : وأنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ، ككفالة الحوارين لعيسى بن مريم ، وأنا كنيل على قومي - يعني المسلمين ، قالوا : نعم . (ابن هشام . السيرة النبوية ، ج 2 ، ص 97) .

تدريب (2)

علل لأآتي :
كان انصار النبي - صلى الله عليه وسلم - الأول من غير قومه وبيئته .



نشاط

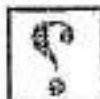
عزيزي الدارس ، ضع بعض الأفكار في ذهنك عن تصور لكيفية الاستفادة من التطور الهائل في وسائل الإعلام والاتصالات للخدمة إلى الإسلام ، وأعرض هذا التصور على زملائك .



ويذكر المؤرخون أن قريشاً حينما علمت بهذه البيعة بوساطة أحد شياطينها، فرعت إلى منازل الأنصار تريد النيل منهم، ولكنهم وجدوا القوم قد غادروا إلى بلادهم، فتنكبوا أثرهم، ولكنهم لم يلحقوا إلا بسعد بن عباد حيث قبضوا عليه وفؤسعوه ضرباً ثم غادوا به إلى مكة موثق اليدين، فجاء للطعم بن عدي والحارث بن أمية فخلصاه من أيديهم، فلحق بركب أصحابه.

أسئلة تقويم ذاتي

- 1- من هو الذي أخذ بيد النبي - صلى الله عليه وسلم - وطلب منه أن يبايعهم؟
- 2- لماذا اعترض أبو الهيثم بن النبهان على المبايعة؟
- 3- ما هي الأشياء التي بايع عليها أبو الهيثم - صلى الله عليه وسلم - ؟
- 4- ماذا فعلت قريش عندما علمت بهذه البيعة؟
- 5- كيف كان مصير سعد بن عباد بعد البيعة؟



شكل (1)

بيعتا العقبة الأولى والثانية

بيعة العقبة الأولى	عدم الشرك بالله، عدم السرقة والزنا، عدم قتل الأبناء، عدم المعصية في معروف، عدم البهتان.
بيعة العقبة الثانية	السمع والطاعة في النشاط والكسل، النفقة في العسر واليسر، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نصرة النبي - صلى الله عليه وسلم -، منع النبي - صلى الله عليه وسلم - مما يمتعون منه أنفسهم وأموالهم.

الدروس المستفادة

1- ظل الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو إحدى عشر سنة دون بأس أو ضجر، وقد واجه في سبيل ذلك الأذى الكثير من قومه ونجيرانه، ونتيجة الصبر الطويل، جاء النصر قويا مدويا. فكان من اليسير على الله عز وجل أن يقيم دعائم المجتمع الإسلامي دون ذلك الجهد الطويل، ولكن تلك هي سنة الله في عباده، أراد أن يتحقق فيهم التعبد له اختياراً، كما تحققت فيهم صفة العبودية له (إجباراً). ولا يتحقق التعبد بدون بذل الجهد، ولا يمحض الصادق من المنافق بدون عذاب أو استشهاد، وهكذا، فعلى الدعاة اليوم أن يصبروا على الصعاب التي تواجههم، وأيضاً فليعلموا بأن مع العسر يسراً، وأن وعد الله لأت وإن يخلف الله وعده.

2- إن الله عز وجل قد مهد حياة المدينة وبيئتها لقبول الدعوة الإسلامية، وأنه كان في صدور أهل المدينة تهيؤ لقبول هذا الدين، ومن مظاهر هذا التهيؤ، ذلك الخليط السكاني لأهل المدينة من عرب مشركين ويهود ومهاجرين إليها من أطراف الجزيرة، وكانت الحرب مشتعلة بين الأوس والخزرج، وقد حالف كل من القبيلتين قبيلة من يهود ... كل هذه الظروف جعلت أهل المدينة أكثر تطلعاً للإسلام، على يخلصهم مما هم فيه، ولهذا أقبل سادتهم إلى الإسلام بينما كان سادة مكة أكثر الناس معارضة له.

3- كانت البيعة الثانية هي الأساس الذي ملجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بناء عليه، ولهذا كانت شاملة للمبادئ التي ستم مشروعيتها بعد الهجرة إلى المدينة، وفي مقدمتها الجهاد والدفاع عن الدعوة بالقوة، وهذا يؤكد أن الجهاد شرع بعد هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وليس قبل الهجرة كما يدعي البعض (اليبوتي، فقه السيرة، ص 127)

4- إن السرية التي أحيطت بهذه البيعة وغيرها، دليل على مشروعية الحذر والحيلة عند تدبير الأمور، لاسيما الأمور التي تتعلق بمستقبل الدعوة.

تدريب (3)



أكمل ما يأتي -

- 1 / و شهدنا بيعة العقبة الثانية.
- 2 / و شرحا للأنصار ما معنى هذه البيعة.
- 3 / هو أول من بايع النبي - صلى الله عليه وسلم - في بيعة العقبة الثانية.
- 4 / أشتار وفد بيعة العقبة الثانية اثني عشر نقيباً ليقيموا بالدعوة عند قومهم، وكانوا تسعة من وثلاثة من

2. هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة 1.2 طلائع الهجرة

بعد أن بايع الأنصار النبي صلى الله عليه وسلم البيعة الثانية، طابت نفسه، فقد جعل الله له منعة وقوماً أهل حرب وعدة ونجدة، في وقت اشتد فيه التضيق على المسلمين في مكة، ونالوا ما لم يكونوا ينالوه من الشتم والاذى، فشكروا ذلك إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، واستأذنه في الهجرة، فقال لهم :

«قد أخبرت بدار هجرتكم، وهي يثرب، فمن أراد الخروج فليخرج إليها، فجعل القوم يتجهزون ويتوافقون ويقواسون ويخرجون، ويخفون ذلك» (ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج 1، ص 210).

أسئلة تقويم ذاتي



- 1 - من هما اللذان خلصا سعد بن عبادة من أيدي قريش؟
- 2 - لماذا كان أول أنصار النبي - صلى الله عليه وسلم - من خارج قومه؟
- 3 - هل تأثر النبي - صلى الله عليه وسلم - عندما استأذنه المسلمون في الهجرة؟

ولم يكن معنى الهجرة إلا إهدار المصالح، والتضحية بالأموال، والنجاة بالشخص
فحسب، مع الإشعار بأنه مستباح منهوب قد يهلك في أولئك الطريق أو نهايتها، وبأنه يسير
نحو مستقبل مجهول، لا يدري ما يتخاض عنه من قلاقل وأحزان (المباركفوري، الرحيق
المفتوم، ص 148). ولكن رغما عن ذلك فإن تلك المصائب تهون في سبيل الدين وبناء دولة
الإيمان. وأخذ المسلمون يهاجرون، وأخذ المشركون يحولون بينهم وبين خروجهم، وإليك
نماذج من ذلك :

❖ كان أول المهاجرين أبو سلمة وزوجته وابنه، فلما استعد للخروج قال له أوصيائه : هذه
نفسك غلبتنا عليها، أرايت صاحبتنا هذه؟ علام نتركك تسير بها في البلاد؟ فأخذوا منه
زوجته، فغضب آل أبي سلمة لرجلهم، فقالوا : لا نترك ابننا معها إذ نزعتموها من صاحبتنا،
وتجاذبوا الغلام بينهم فخلعوا يده ونعّبوا به، وانطلق أبو سلمة وحده إلى المدينة، ولم
تسترجع أم سلمة ولدها وتلحق بزوجها إلا بعد أكثر من عام ذاقته فيه من العذاب الشيء
الكثير .

❖ وهاجر صهيب بن سنان الرومي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما أراد الهجرة
قال له كفار قريش : أتيتنا صعلوكاً حقيراً فكثرت مالك عندنا، وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن
تخرج بمالك ونفسك؟ والله لا يكون ذلك، فقال لهم صهيب: أرايتم إن جعلت لكم مالي
أتخلون سبيلي؟ قالوا : نعم قال : فإنني قد جعلت لكم مالي، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال : «بيع أبا يحيى ثلاث مرات، وتلا قول الله تعالى: «ومن الناس من
يشري نفسه ابتغاء مرضات الله ...»

❖ وهاجر سراً عياش بن أبي ربيعة ومشام بن العاص مع عمر بن الخطاب، فلما قدم المدينة
قدم إليه أخواه لأمه أبو جهل والحارث، فقالا له : إن أمك نذرت ألا يمس رأسها مشط ولا
تستظل بشمس حتى تراك، فرك لها، وخرج معهما عائدا فلما اقتربوا من مكة امتديا عليه
ضرباً، فأوثقاه وربطاه ثم دخلا به مكة نهراً موثقاً، وقالا : يا أهل مكة، هكذا فافعلوا
بسفهاثكم كما فعلنا بسفيهنا هذا (ابن هشام، السيرة النبوية، ج 1، ص 474) .

وكانت هجرة جميع المسلمين سرّاً إلا عمر بن الخطاب عندما أراد الهجرة تقلد سيفه وتنقب قوسه وذهب إلى الحرم صلى ركعتين وطاف سبعمائة ثم نادى : يا معشر قريش إني مهاجر، فمن أراد أن تتكلم أمة أو ترمل زوجته، فليقطني وراء هذا الوادي .. ثم خرج، فلم يلحق به إلا بعض المستضعفين الذين هاجروا معه وهناك رواية للبخاري عن هجرة عمر بن الخطاب أنه قدم إلى المدينة مهاجراً في عشرين ركباً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. وتدل رواية ابن إسحاق بأن هؤلاء العشرين من أهل عمر لحقوا به ولم يرافقه ابتداءً، إذ أن من رافقه هو عياض بن أبي ربيعة.

هكذا كان يفعل المشركون بمن يريد الهجرة إذا علموا بذلك، ولكن على الرغم من ذلك خرج الناس أرسالاً يتبع بعضهم بعضاً، وبعد شهرين وبضعة أيام من بيعة العقبة الثانية، لم يبق بمكة من المسلمين إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعلي، فأقاما بأمره لهما، وكذلك من احتسبه المشركون كرهاً، فيذكر المؤرخون أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر حينما طلب منه الإذن له بالهجرة : «لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا».

تدريب (4)



- 1/ من هو أول المهاجرين إلى المدينة؟
- 2/ من الذي قالت له قريش أنه حقير ضعيف والآن يريد أن يخرج بماله ونفسه؟
- 3/ من الذي هاجر جهراً وطاف بالكعبة قبل الهجرة ولم يعترضه أحد من قريش؟

2.2 مؤامرة قريش

لما رأى المشركون أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تجهزوا وخرجوا، وحملوا وساقوا الذراري والأطفال والأموال إلى الأوس والخزرج، تجسد أمامهم خطر حقيقي عظيم

أخذ يهدد كيانه الوثنى، فقد خشوا أن يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجمعهم بأصحابه وحلفائه الأوس والخزرج وبالتالي يشكلون قوة اقتصادية وعسكرية ضدهم .
ولذا أخذوا يفكرون في أنجع السبل لدفع هذا الخطر، فاجتمعوا في دار الندوة في صفر ستة أربع عشرة من البعثة، وحضر هذا الاجتماع معظم زعماء القبائل القرشية، وبعد نقاش طويل حول كيفية التخلص من النبي صلى الله عليه وسلم اقترح لهم أبو جهل خطة وافقوا عليها جميعاً . وهي أن يأخذوا من كل قبيلة فتى جليداً نسيبياً، ويعطى كل واحد منهم سيفاً صارماً، فيضربون جميعاً بأسياهم محمداً ضربة رجل واحد، ليتفرق دمه بين القبائل، ولا يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً، فيرضوا بالدية، وتفرقوا على ذلك، ولم يبق إلا التنفيذ.

وقد ذكر القرآن الكريم ما دار في هذا الاجتماع، حيث قال تعالى :
«وإن يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك (أي يسجنوك) أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) (الأنفال، الآية 30) .

خروج الرسول صلى الله عليه وسلم :

عقب هذا الاجتماع والقرار الذي اتخذته قريش نزل جبريل عليه السلام وأخبره به، وأمره بالهجرة، وعدم المبيت في فراشه الليلة .

فذهب النبي صلى الله عليه وسلم في الباجرة، إلى أبي بكر رضي الله عنه يخبره ويتفق معه على خطة الهجرة، قالت عائشة رضي الله عنها : بينما نحن جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعاً في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر : والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر، فاستأذن فأذن له فدخل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : «أخرج من عندك» فقال أبو بكر : إنما هم أهلك، (يقصد السيدة عائشة . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد عقد عليها) . قال : «فإنني قد آذن لي في الخروج، فقال أبو بكر : الصحبة بأبي أنت يا رسول الله ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم (ابن القيم، زاد المعاد، ج 2، ص 52) ثم أبرم معه خطة الهجرة، ورجع إلى

بيته ينتظر مجيء الليل .

في نفس الوقت كانت قريش تعد العدة لتنفيذ مخططها، وانفقوا على أن يتم التنفيذ بعد منتصف الليل في وقت خروج النبي صلى الله عليه وسلم من البيت. فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ينام أول الليل ثم يخرج بعد نصف الليل إلى المسجد الحرام يصلي فيه قيام الليل، فأمر علياً رضي الله عنه تلك الليلة لينام على فراشه، ويتغذى ببرد الحضرمية الخضراء، وأخبره بأنه لا يصيبه مكروه .

ثم جاء المشركون وحاصروا المنزل وباتوا متيقظين ينتظرون ساعة الصفر، ولكن عناية الله قد أفشلت خطتهم، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من البيت مخترقاً صفوفهم، وأخذ حفنة من التراب فجعل يذره على رؤوسهم وقد أخذ الله أبصارهم فلا يرونه وهو يتلو: وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً غاثشيناهم فهم لا يبصرون (يس، الآية 9) . فلم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه تراباً، ومضى إلى أبي بكر فخرجوا من خوخة في دار أبي بكر ليلاً حتى لحقوا بغار ثور .

استئلة تقويم ذاتي

- 1- لماذا تخوفت قريش من خروج النبي - صلى الله عليه وسلم - واجتماعه بأصحابه من الأوس والخزرج؟
- 2- أين اجتمعت قريش للتفكير حول التخلص من النبي صلى الله عليه وسلم؟
- 3- من هو صاحب خطة الخالص من النبي صلى الله عليه وسلم؟
- 4- ما هي طريقة الخطة التخلص من النبي صلى الله عليه وسلم؟
- 5- كيف علم النبي - صلى الله عليه وسلم - بأمر قريش وعزمها للتخلص منه؟
- 6- من هو الذي نام في فراش النبي - صلى الله عليه وسلم - ليلة الخروج إلى الهجرة؟
- 7- كيف خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - من داره والمشركون عند الباب؟

وبقي المحاصرون ينتظرون حلول ساعة الصفر حتى جاءهم رجل ممن لم يكن معهم ورأىهم يبابه فقال : ما تنتظرون؟ قالوا : محمداً ، قال : خبتم وخسرتم، قد والله مربكم. وذر على رؤوسكم التراب، وانطلق لحاجته، قالوا : والله ما أبصرناه، وقاموا ينفخون التراب من رؤوسهم .

ولكنهم تطلعوا إلى السرير فرأوا علياً، فقالوا : الله هذا محمد نائماً عليه برذته، وظلوا كذلك حتى أصبحوا، وقام علي من الفراش فسقط في أيديهم فسأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لا علم لي به .

ثم خرج الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى غار ثور ليلاً، وذلك في ليلة 27 من شهر صفر بعد مضي ثلاث عشرة سنة من البعثة، ولما وصلوا إلى الغار قال أبو بكر : والله لا تدخله حتى أدخل قبلك، فإن كان فيه شيء أصابني دونه، فدخل فكسحه، ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أدخل، فدخل، ثم نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حجر أبي بكر، فلذغته حية في رجله فتألم منها فتفل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب الألم، وبقي في الغار ثلاثة ليال، ليلة الجمعة والسبت والأحد، وحسب الخطة فإن عبدالله بن أبي بكر كان ينقل إليهما أخبار قريش ليلاً، وكان عامر بن قهيرة مولى أبي بكر يرعى الغنم نهاراً ويأتي الغار ليلاً فيسقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه لبناً، ثم يعود إلى مكة ليمحو آثار عبدالله بن أبي بكر، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث .

أما قريش فقد جن جنونها حينما تأكد لديها إفلات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفشل مؤامرتهم، فهجموا على علي بن أبي طالب وأوسعوه ضرباً لعله يبرح لهم بشيء ولكن دون جدوى، ثم ذهبوا إلى منزل أبي بكر، فخرجت إليهم أسماء بنت أبي بكر، فسألوها عن أبيها، فقالت لا أدري فلطمها أبو جهل حتى سقط منها قرطها، وهنا قررت قريش في جلسة طارئة ضرورة القبض على الرجلين، وبكل الوسائل، وقرروا مكافأة قدرها مائة ناقة بدل كل واحد منهما لمن يأتي بهما حيين أو ميتين، فذهب الفرسان والمشاة وقصاص الأثر وانتشروا في كل الجهات، حتى وصل بعضهم إلى الغار الذي فيه النبي صلى الله عليه وسلم وصعدوا فوقه،

وسمع الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أصواتهم، فاشفق أبو بكر على الرسول صلى الله عليه وسلم وأصابه النهم، وقال: «يا رسول الله لو أن أحدكم نخل إلى قدميه لبصرنا تحت قدميه»، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا أبا بكر، ما ظنك يا اثنين الله ثالثهما» وفي هذا نزل قول الله تعالى: «إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا (التوبة، الآية 40)»

وحمل الله نبيه في الغار من كل سوء، ومن ذلك ما روي من أن قريشاً عندما صعدوا الجبل فمرروا بالغار فرأوا في بابه نسج العنكبوت، فقالوا لو نخل ما هذا أحد لم يكن نسج العنكبوت على بابه، وبذلك دخل المطاردون اليأس والقنوط، بفعل العنكبوت، والحمامتين اللتين باضتا في غم الغار، وقد فعلتا ما لم تفعله الجيوش الجرارة وما يعلم جنود ربك إلا هو» (الغزالي، فقه السيرة، ص 134).

تدريب (5)

تمت هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - بأمر من الله وحمايته، وقد حدث فيها بعض المعجزات أكدت تلك العناية الإلهية، عزيزي الدارس، اكتب مقالاً قصيراً توضح فيه هذه المعجزات.



3.2 الرحلة إلى المدينة

حينما انقطع الطلب عنهما، وهبأت ثلثات قريش، تهباً رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه للخروج إلى المدينة، وحسب الخطة فقد جاءهما عبدالله بن أريقط بالراجلتين اللتين أعدهما أبو بكر وواعده خارج الغار، وكان ابن أريقط كافراً، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم استوثق منه، وكان ماهراً في الطريق، فاستأجراه، وأتت أسماء لهما بالزاد، وعندما أرادت ربط الجراب لم تجد له حبلاً، فشظت نطاقها نصفين فربطت الجراب بواحدة، وتمنطقت بالآخر، فسميت: ذات النطاقين (ابن هشام، السيرة النبوية، ج 1، ص 486).

فلما خرج بهما الدليل سلك بهما طريقاً لم يألوه الناس حتى وصلوا قباء، وفي الطريق
حدثت معجزات كثيرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصلها كتاب السيرة فنذكر منها
مثالين:

1- في اليوم الثالث مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيمتي أم معبد الخزاعية وكان
موقعها ناحية قديد بالشلل، وكانت تطعم وتسقي من مربها، فسألاها هل عندها شيء؟
فقالت: والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم، وكانت سنة شهباء، فنظر رسول الله صلى
الله عليه وسلم إلى شاة داخل الخيمة فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ قالت: شاة خلفنا
الجهد عن الخنم، فقال: هل بها من لبن؟ قالت: هي أجهد من ذلك، فقال: «أتأذنين لي أن
أحلبها؟» قالت: نعم بأبي وأمي إن رأيت بها حلباً فاحلبها، فمسح رسول الله صلى الله عليه
وسلم بيده ضرعها، وسمى الله ودعا فتأجت عنه ودرت، فدعا بإناء لها، فحلب فيه حتى
ملته الرغوة، فسقاها فشربت حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رواء، ثم شرب، وحلب
فيه ثانياً حتى ملأ الإناء، ثم غادره عندهما فارتحلوا.

فلما جاء زوجها ورأى اللبن عجب وقال: من أين لك هذا، والشاة عازب؟ ولا حلوبة في
البيت؟ فقالت: لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كبت وكيت، ومن حاله كنا وكنا
... قال: إنه والله صاحب قریش الذي تطلبه، صفيه لي يا أم معبد، فوصفته بصفاته الكريمة،
وصفاً بديعاً كأن السامع ينظر إليه أمامه، فقال أبو معبد: والله هذا صاحب قریش الذي ذكرنا
من أمره ما ذكرنا، لقد هممت أن أصحبه، ولا فعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً.

2- في أثناء سيرهما اتبعهما في الطريق سراقة بن مالك، يقول سراقة: أخذت رمحي وركبت
فرسي، فأسرعت حتى دنوت منهم، فعثرت بي فرسي، فخررت عنها، فقامت فأهويت يدي
إلى كنانتي ... فقامت فركبت فرسي، حتى إذا دنوت منهم، سمعت قراءة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات، وسأخت يدا فرسي في الأرض
حتى بلغت الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها فنهضت فلما استوت قائمة ... ناديتهم
بالأمان فوقفوا، فركبت فرسي حتى جثتهم، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من

الحبس عنهم أن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سوف يظهر، فأخبرتهم لخيار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يبرزوا، ولم يسألاني. إلا أن قال لي: «أخف عنا» لسألك أن يكتب لي كتاب أنت، فأمر عامر بن فهيرة، فكتب لي في رقعة من أدم، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح البخاري، 1 / 554).

وفي الحارث في بطن ريم لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير، وهو في ركب من المسلمين في رحلة تجارية قادمين من الشام فكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثياباً بيضاء.

نشاط



عزيزي الدارس، اغتد فرصة أي تجمع لأصدقائك أو زملائك أو سكان الحي، إلخ، وحاول أن تحدثهم عن هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - من مكة إلى المدينة وكيف أيد رب العالمين نبيه الكريم بالمعجزات.

أسئلة تقويم ذاتي



- 1- لماذا سميت أسماء بنت أبي بكر بذات النطاقين؟
- 2- من هو الذي جلب الراحلتين للنبي - صلى الله عليه وسلم - زابي بكر الصديق عند غار ثور؟
- 3- ماذا طلب سراقة بن مالك عندما لحق بالنبي - صلى الله عليه وسلم -؟
- 4- من هو الذي كسا النبي - صلى الله عليه وسلم - وأبا بكر ثياباً بيضاء عندما التقى بهما في بطن ريم؟

وفي يوم الاثنين 8 ربيع الأول سنة 14 من النبوة نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء، فمكث فيها أربعة أيام، الإثنين، الثلاثاء، والأربعاء والخميس، وأسس مسجد بقاء وصلى فيه، وهو أول مسجد أسس على التقوي بعد النبوة، فلما كان اليوم الخامس - يوم الجمعة ركب الرسول صلى الله عليه وسلم بأمر الله له، وأبو بكر ردفه، وأرسل إلى أخواله بني النجار فجاءوا متقلدين سيوفهم فصار نحو المدينة وهم حوله، وأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف فجمع بهم وكانوا مائة رجل (ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 1، ص 320).

وكان المسلمون بالمدينة حينما علموا بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة، كانوا يخرجون في كل يوم إلى الحرة، فينتظرونه حتى يردفهم حر الطيرة، وكانوا يصعدون على ظهور بيوتهم ليشاهدوا مقدمه، فلما قدم في تلك الجمعة ثاروا إلى سلاحهم ملبيين مهللين بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم سار النبي صلى الله عليه وسلم حتى دخل المدينة، وكان يوماً مشهوداً، فقد ارتجت البيوت والشوارع بأصوات الحمد والتسبيح، وتغشت بنات الانصار وهن في غاية الفرح والسرور:

طلع البدر علينا	من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا	ما دعا الله داع
أيها المبعوث فينا	جئت بالأمير
جئت شرفت المدينة	مرحباً يا حبيب

وسميت يثرب منذ هذا اليوم بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان كل واحد عن الأنصار يتمنى أن ينزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده، فكان لا يمر بدار إلا وأخطأ راحلته، فكان يقول لهم، دعوها فإنها مأمورة، فلم تزل سائرة حتى بركت عند بني النجار في المكان الذي بنى فيه مسجد صلى الله عليه وسلم، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحب أن ينزل عند أخواله بني النجار إكراماً لهم، فأخذ الناس يكلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم في النزول عليهم، فبادر أبو أيوب الأنصاري فأخذ رحله وأدخله بيته، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول : «المرء مع رحلته» وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بزمام راحلته فكانت عنده .
 ثم أخذ بقية المسلمين يهاجرون إلى المدينة، فيستقبلهم الرسول صلى الله عليه وسلم والانصار،
 وعما قليل أخذت وبليّات المدينة تؤثر على المهاجرين، حيث أصيب أبو بكر وبلال بالحمى، وأخذوا
 يحنون إلى مكة حيث الجو الصحو، فحينما علم الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك قال : «اللهم حبيب
 إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، وصححها وبارك في صاعها ومدها، وانقل حماتها فاجعلها بالجمعة .
 فاستجاب الله هذا الدعاء، فكانت المدينة من أحب بلاد الله إلى المسلمين كافة .

شكل رقم (2)

المعجزات التي حدثت في أثناء الهجرة إلى المدينة

المعجزة الأولى	المعجزة الثانية	المعجزة الثالثة	المعجزة الرابعة	المعجزة الخامسة
خروج النبي - صلى الله عليه وسلم - من داره ليلة الهجرة دون أن يراه المشركون،	نسج العنكبوت وبيض الحمام عند مدخل غار حراء.	شفاء أبي بكر الصديق من لدغة الحية بريق النبي صلى الله عليه وسلم.	دخول * أرجل فرس سراقبة داخل الأرض عندما كان يلاحق النبي صلى الله عليه وسلم.	إدراج شاة أم معبد للبن عندما حلبها - النبي صلى الله عليه وسلم - رغم ضعفها ووهنها.

تدريب (6)

كيف تفسر هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة
 المنورة سراً، بينما هاجر إليها عمر بن الخطاب جهاراً نهاراً.



الدروس المستفادة

1- إن الهجرة تعطينا الكثير من الدروس والعبر، ولعل أهمها كما سبق الإشارة : أن الله عز وجل جعل قداسة الدين والعقيدة فوق كل شيء، فلا قيمة للأرض والوطن والمال والجاه إذا كانت العقيدة وشعائر الدين مهددة بالحرب أو الزوال، ولذا فرض الله على عباده أن يضحوا بكل ذلك إذا اقتضى الأمر في سبيل العقيدة والإسلام .

وكما سبق وأن ذكرنا أن سنة الله في الكون اقتضت أن تكون القوى المعنوية التي تتمثل في العقيدة السليمة والدين الحق هي الحافظة للعكاسب والقوى المادية، ولذلك شرع الله عز وجل مبدأ التضحية بالمال والأرض في سبيل العقيدة والدين عندما يقتضي الأمر ذلك، فيه يضمن المسلمون لأنفسهم المال والوطن والحياة، وإن بدا لأول وهلة أنهم تعروا عن كل ذلك وفقدوه .

ويتحقق ذلك في هجرته صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة، فبحسب الظاهر ترك الوطن وتضييع له ولكن في الواقع كانت حفاظاً عليه وضمانة له، فبعد بضع سنوات عاد فاتحاً لها بفضل الدين الذي أقامه، فعاد إلى وطنه الذي أخرج منه عزيزاً مكرماً مرفوع الرأس دون أن يتعرض له أعداء الأمس بأي سوء .

2- إن اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي بكر ليرافقه في الهجرة دون غيره من الصحابة دليل على محبته له، وأن أبا بكر أولى الناس بالخلافة لا سيما وأن هناك الكثير من الأقوال والأفعال التي تعضد هذا الدليل، وقد رأينا كيف أسهم هو وأهل بيته في سبيل الدعوة والهجرة وبناء الدولة الإسلامية .

3- إن حماية الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ببيت العنكبوت، وببيض الحمامتين، وهي من أوهى الأشياء، وقد ضرب الله مثلاً بذلك في القرآن الكريم «وإن أرمئ البيوت لبيوت العنكبوت لو كانوا يعلمون» (العنكبوت، الآية 41) لدليل ودرس كبير للدعاة بأن الله طاملاً حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم قادر على حماية الدعوة والدعاة بشتى الوسائل الوامية والقوية وكل ذلك استهانة بأمر المشركين أمام قدرة الله الجبارة .

4- إن الدور الذي قام به عبدالله بن أبي بكر وأخته أسماء في تنفيذ خطة الرسول صلى الله عليه وسلم يشكل الدور المتعاقلم للشباب المسلم من الجنسين اليوم في سبيل نشر الدعوة الإسلامية، كما فعل الشباب مع الرسول صلى الله عليه وسلم حتى قال : نصرني الشباب وخذلني الشيوخ، (الهيوطي، فقه السيرة، ص 186)

تدريب (7)



ضع علامة (✓) أمام الجملة الصحيحة وعلامة (X) أمام الجملة الخطأ

- 1- أول مسجد أسس بعد النبوة هو مسجد قباء.
- 2- صلى النبي - صلى الله عليه وسلم - صلاة الجمعة قبل أن يصل المدينة في بني قينقاع.
- 3- أخوال النبي - صلى الله عليه وسلم - في المدينة هم بنو النجار.
- 4- عندما وصل النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة وضع رحله عند أبي أيوب الأنصاري.
- 5- أخذ عبدالله بن سلول وأخته النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى داره.

الخلاصة

عزيزي الدارس، نحن نعلم أنك تريد أن تواصل في دراسة سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - دون انقطاع، وذلك لما فيها من القربية الروحية والإيمانية، ولكن علينا أن نقف هنا لنقدم ملخصاً لما جاء في الصفحات السابقة، وذلك حتى تلم إماماً عاماً بما اشتملت عليه الوحدة.

عزيزي الدارس، خلصنا من دراسة بيعتي العقبة الأولى والثانية أن النبي - صلى الله عليه وسلم - في أول دعوته لم ينصره أهله وإنما أيده وآمن به أناس من غير قومه وبيئته وذلك خير دليل على أن حياة الدعوة النبوية تحيط بها العناية الإلهية حيث جاءت هذه المأصرة والبيعة حتى لا يظن فلان أن دعوة النبي - صلى الله عليه وسلم - دعوة محلية جاءت نتيجة لظروف محددة.

عزيزي الدارس، بعد اشتداد التضيق على المسلمين في مكة أذن النبي - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه بالهجرة إلى المدينة، ومن ثم هاجر النبي - صلى الله عليه وسلم - ولعل الهجرة إلى المدينة تعطينا درساً في التضحية بالمال والأرض والأهل من أجل العقيدة والدين.

عزيزي الدارس، من النتائج الهامة لهجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - هي أن الله تعالى حمى النبي - صلى الله عليه وسلم - من كل سوء وأيده بالعديد من المعجزات، ومن ذلك: خروجه من داره من غير أن يراه المشركون، واتخاذ العنكبوت له بيتاً في الغار، وبيض الحمامتين، وحادثة سراقه، كل ذلك دليل على حماية الله تعالى للدعوة الإسلامية.

وحدة سابقة عن الوحدة التالية

عزيزي الدارس، هاجر النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة واستقر بها وشروع في وضع أسس قيامت عليها الدولة الإسلامية والمجتمع الإسلامي. وقد عمل النبي - صلى الله عليه وسلم - على بناء المسجد النبوي الشريف، وأخى بين المسلمين، وكتب العهود بين المسلمين وغيرهم.

عزيزي الدارس في ظل التهديد المستمر للمسلمين في المدينة وخارجها أنزل الله تعالى آياته تأنن للمسلمين بالقتال ولم يفرض عليهم، ومن ثم نزل الأمر بالقتال. وستجد في الوحدة القادمة عزيزي الدارس، شرحاً وافياً لجهاد المسلمين ضد الشرك والمشركين وذلك من خلال تتبع الغزوات، من غزوة بدر الكبرى حتى غزوة قريظة، وكل ذلك ساهم في بناء وإنشاء الدولة الإسلامية.

اجابات التدريبات

تدريب (1)

القائمة (أ)	القائمة (ب)
1 / نفر من الخزرج	1 / حملوا الدعو إلى يشرب
2 / اثنا عشر رجلاً	2 / بيعة العقبة الاولى
3 / مبعوث النبي - صلى الله عليه وسلم - لتعليم القرآن الكريم	3 / مصعب بن عمير
4 / بيعة النساء	4 / اليوم الثاني من فتح مكة
5 / أول من أقام صلاة الجمعة بالمدينة	5 / أسعد بن زرارة

تدريب (2)

اقتضت حكمة الله عز وجل أن يكون أنصار النبي - صلى الله عليه وسلم - الأول من غير قومه وبيئته حتى لا يظن ظان بأن دعوة النبي - صلى الله عليه وسلم - كانت في حقيقتها دعوة قومية حاكتها رغبات قومه وظروف بيئته.

تدريب (3)

- 1 / نسبية بنت كعب ، أسماء بنت عمرو .
- 2 / العباس بن نضلة ، وأسعد بن زرارة .
- 3 / أسعد بن زرارة .
- 4 / الخزرج ، الأوس .

تدريب (4)

- 1 / أبو سلمة وزوجته وابنه .
- 2 / صهيب بن سنان الرومي .

تدريب (5)

تتمثل معجزات النبي - صلى الله عليه وسلم - عندما أراد الهجرة إلى المدينة في أنه عندما حاصر المشركون منزله لقتله عند خروجه للصلاة في المسجد، خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - من بين صفوف الأعداء والمشركين وذلك بعد أن أخذ حفنة من تراب ذرة فوق رؤوسهم، وقد أخذ الله أبصارهم فلم يروه وهو خارج من داره.

المعجزة الثانية عندما لدغ أبو بكر الصديق رفيق النبي - صلى الله عليه وسلم - في غار ثور من حية ألتته كثيراً فبصق النبي - صلى الله عليه وسلم - على مكان الإصابة فزال الألم في الحال.

المعجزة الثالثة عندما لاحقت قريش النبي - صلى الله عليه وسلم - وأبا بكر الصديق ووصلوا إلى غار ثور ولكنهم لم يدخلوا فيه، وذلك لأن العنكبوت نسجت خيوطها عند مدخل الغار، وباضت حمامة، وكل هذا بأمر من العزيز الجبار لحماية نبيه وصاحبه.

معجزة رابعة وهي شاة أم معبد والتي لجأ إليها النبي - صلى الله عليه وسلم - وأبو بكر بعد خروجهما من الغار، حيث طلب النبي - صلى الله عليه وسلم - الشاة وكانت ضعيفة هزيلة وليس بها لبن، ولكن عندما مستها يد النبي - صلى الله عليه وسلم - جرى اللبن في ضرعها.

معجزة خامسة ويحكىها سراقبة بن مالك حيث قال تعقبت النبي - صلى الله عليه وسلم - وأبا بكر بفرسي، ولكن كلما اقتربت منهما كانت أقدام فرسي تسوخ في الأرض.

وكل هذه المعجزات والأحداث لحماية النبي - صلى الله عليه وسلم -

تدريب (6)

تصرف عمر رضي الله عنه كان تصرفاً شخصياً لا يتبعه حجة تشريعية، أما النبي - صلى الله عليه وسلم - فهو مشرع بمعنى أن جميع تصرفاته المتعلقة بالدين هي تشريع، وبذلك يريد النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يعلمنا اتخاذ الأسباب واستعمال كل الوسائل

المادية التي يهتدي اليها العقل البشري وأخذ الحيطة والحذر كما فعل عند تركه علي رضي الله عنه وأمره له بالنوم على فراشه واختبائه في الخار ثلاث ليال والسرية التي ظالت كل خطواته يقوم بكل ذلك لاستكمال الوظائف التشريعية.

تدريب (7)

✓/1

X /2

✓/3

✓/4

X /5

المصادر والمراجع

- 1- القرآن الكريم.
- 2- ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن الجزري) ، الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، 1386هـ - 1996م.
- 3- ابن القيم (شمس الدين أبو عبد الله) ، زاد المعاد ، المطبعة المصرية 1347هـ.
- 4- ابن سعد (محمد بن سعد) - الطبقات الكبرى ، دار صادر (بيروت) ، 1388هـ - 1968م.
- 5- ابن كثير (أبو الفداء الحافظ ابن كثير) ، البداية والنهاية في التاريخ ، مكتبة المعارف ، بيروت 1417هـ - 1997م.
- 6- ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن هشام) ، السيرة النبوية ، مطبعة بابي الحلبي ، القاهرة 1375هـ - 1955م.
- 7- أبو الحسن الندوي ، السيرة النبوية ، دار الشروق ، 1995م.
- 8- الأزرقي ، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، طبع بيروت ومكة المكرمة 1399هـ - 1979م.
- 9- الإمام أحمد بن حنبل ، مسند الإمام أحمد ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، 1398هـ - 1978م.
- 10- البخاري (الإمام أبو عبد الله) ، صحيح البخاري ، المكتبة الرحيمية بالهند ، 1397هـ - 1977م.
- 11- البوطي (محمد رمضان البوطي) ، فقه السيرة ، بيروت 1419 - 1999م.
- 12- الترمذي (محمد بن عيسى) ، شمائل الترمذي ، دلهي ، الهند ، 1385هـ - 1965م.
- 13- الحلبي (أبو جعفر محمد بن جرير) ، تاريخ الأمم والملوك ، دار المعارف ، القاهرة (د.ت).
- 14- الغزالي (الشيخ محمد الغزالي) ، فقه السيرة ، دار القلم ، دمشق ، 1418هـ - 1998م.
- 15- المسعودي (أبو الحسن علي بن حسين) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار المعرفة ، بيروت (د.ت).
- 16- الواقدي (محمد بن عمر بن واقد) ، مغازي الواقدي ، طبع بيروت ، 1384هـ - 1964م.

- 17- اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب)، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، 1379هـ - 1960م.
- 18- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1399 - 1979م.
- 19- حسن أحمد محمود، انتشار الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، مكتبة النهضة، 1966م.
- 20- صفى الرحمن مباركفوري، الرحيق المخفوم، دار الوفاء، 1424هـ - 2003م.
- 21- عبدالشافى عبداللطيف ومحمد جبر أبو سعدة، دراسات في السيرة النبوية، طبع، القاهرة 1979م.
- 22- محمد الشريف، الرسول في القرآن الكريم، طبع، القاهرة، 1980م.
- 23- محمد جمال الدين سرور، قيام الدولة العربية الإسلامية في حياة محمد صلى الله عليه وسلم، دار الفكر، القاهرة 1952.
- 24- محمد الخضري بك، تاريخ الأمم الإسلامية، المكتبة التوفيقية، القاهرة، 1382هـ - 1962م.
- 25- مهدي رزق الله أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، دار إمام الدعوة للنشر والتوزيع - السعودية 1424هـ - 2003م.
- 26- ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1379هـ - 1977م.



الوحدة الخامسة

إنشاء الدولة

الإسلامية

محتويات الوحدة

الصفحة	الموضوع
190	المقدمة
190	تمهيد
191	أهداف الوحدة
192	1. أسس بناء المجتمع والدولة الإسلامية
192	1.1 بناء المسجد
194	2.1 المواخاة بين المسلمين
196	3.1 كتابة الوثيقة بين المسلمين وغيرهم
199	4.1 الجهاد العسكري
205	2. جهاد النبي - صلى الله عليه وسلم - والمسلمين ضد الكفار
205	1.2 غزوة بدر الكبرى
222	2.2 غزوة بني قينقاع
224	3.2 غزوة أحد
236	4.2 الغزوات بين أحد والأحزاب
240	5.2 غزوة بني النضير
242	6.2 غزوة بني المصطلق
248	7.2 غزوة الخندق
255	8.2 غزوة بني قريظة

الترتيب	الموضوع
259	الخلاصة
261	لمحة سابقة عن الوحدة التالية
262	إجابات التدريبات
267	المصادر والمراجع

عزيمي الدارس، نتمنى أن تكون قد استوعبت الوحدة السابقة جيداً ، ونعرفك بأننا «نحن وأنت» سنقد على الوحدة الخامسة من مقرر السيرة النبوية والتي موضوعها «إنشاء الدولة الإسلامية».

عزيمي الدارس، تتناول هذه الوحدة في القسم الأول الأسس التي وضعها النبي -صلى الله عليه وسلم- لبناء المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية، والتي تمثلت في بناء المسجد النبوي الشريف، والمؤاخاة بين المسلمين، وكتابة الوثيقة بين المسلمين وغيرهم ، ومن ثم تفصيل في الجهاد العسكري للمسلمين.

أما القسم الثاني فيتناول جهاد النبي -صلى الله عليه وسلم- والمسلمين ضد الكفار، ويكون ذلك بتفصيل الحديث عن غزوات : بدر الكبرى، بني قينقاع، أحد، الغزوات بين أحد والأحزاب، بني النضير، بني المصطلق، الخندق، وغزوة بني قريظة . وكل هذه الغزوات مكنت للإسلام والمسلمين بقيام الدولة الإسلامية.

عزيمي الدارس، نرجو منك أن تراجع أسئلة التقويم الذاتي والتدريبات والأنشطة أولاً بأول، ولا تتركها حتى نهاية قراءة المقرر أو الوحدة، وذلك لأنها تساعدك في فهم محتويات الوحدة وتجعلك متأكداً من استيعابك .

ومرحباً بك عزيمي الدارس، مرة أخرى في الوحدة الخامسة



عزيزي الدارس، بعد قراءة هذه الوحدة، تكون سعيداً أن تكون قادراً

على أن:

- تعرف بالأسس التي وضعها النبي - صلى الله عليه وسلم - لقيام الدولة الإسلامية بالمدينة.
- تحيط بأسباب ونتائج غزوة بدر الكبرى وما لعبته من دور في قيام الدولة الإسلامية.
- تتناول معركة أحد وما قدمته من دروس وعبر للمسلمين في جوانب المعارك الجهادية.
- تتابع حادثة الإفك واستغلالها من قبل المشركين لإيذاء النبي - صلى الله عليه وسلم - وكيفية تبرئة القرآن للسيدة عائشة.
- تتحدث عن غزوتي الأحزاب وبني قريظة من حيث الاستيعاب والنتائج والدروس المستفادة.

1. أسس بناء المجتمع والدولة الإسلامية

1.1 بناء المسجد

نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة في بني النجار، كما سبق وأن ذكرنا -
ولنه نزل في أرض أمام دار أبي أيوب. وقال: «ها هنا المنزل إن شاء الله» ثم انتقل إلى بيت أبي
أيوب رضي الله عنه.

وكان أول خطوة خطاها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك هي بناء المسجد النبوي.
واختار له المكان الذي بركت فيه ناقته صلى الله عليه وسلم، وكان لغلامين يتيمين من بني
النجار في حجر أسعد بن زرارة، وكان مريداً (المريد هو المكان الذي يجفف فيه الثمر) اتخذ
أسعد بن زرارة مصلى له قبل هجرته صلى الله عليه وسلم، فسأوا بهما الرسول صلى الله
عليه وسلم ليتخذ مسجداً، فقالا: «بل نهيه لك يا رسول الله» فأبى حتى ابتاعه منهما ثم بناه
مسجداً، وكانت في المكان قبور للمشركين، وكانت فيه خرب ونخل وشجر من غرقه، فأمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبور المشركين فنبشت، وبالخرب فسويت وبالنخل
والشجر، فقطعت، وصفت في قبلة المسجد، وكانت القبلة إلى بيت المقدس، وجعلت عضادته
من حجارة، وأقيمت حيطانه من الطوب اللبن، وجعل سقفه من جريد النخل، وعمده الجذوع،
وفرشت أرضه بالرمال والحصباء، وجعلت له ثلاثة أبواب وقد شارك رسول الله صلى الله
عليه وسلم في بنائه بنفسه، فكان ينقل معهم الطوب اللبن والحجارة ويقول:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فأقفروا لأنصار والمهاجرة

وكان ذلك مما يزيد من نشاط الصحابة في العمل، حتى إن أحدهم يقول:

لئن قعدنا والنبي يعمل لئلا كنا من العمل المضلل

وكان عمار بن ياسر من أنشط العاملين في البناء، فبينما كان كل واحد يحمل لبنة، كان
عمار يحمل لبنتين، لبنة عنه ولبنة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، فمسح رسول الله صلى
الله عليه وسلم ظهره وقال: «ابن سمية: للناس أجر ولك أجران، وآخر زادك شربة من لبن،
وتقتلك الفئة الباغية». وقد ظل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا الشكل دون أي

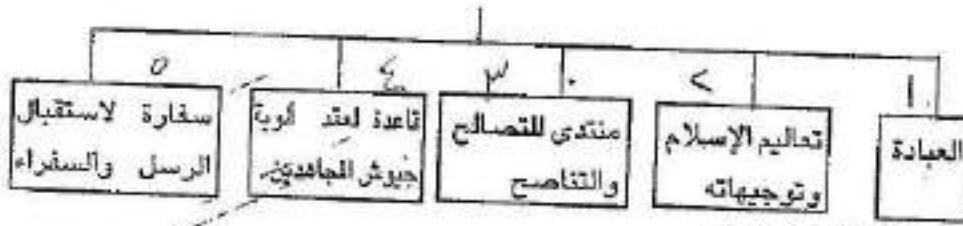
زيادة أو تغيير فيه إلى نهاية خلافة أبي بكر رضي الله عنه، (زاد فيه عمر رضي الله عنه بعض التحسين، ثم زاد فيه عثمان رضي الله عنه زيادة كبيرة وبني جداره بالجص والحجارة المنقوشة) وكان قد بنيت بجانبه بيوت بالحجر والطوب اللبن، وسقفها بالجريد والجدوع، وهي حجرات أزواجه صلى الله عليه وسلم. وبعد تكامل الحجرات انتقل إليها من بيت أبي أيوب. وفي أوائل الهجرة شرع الأذان، وذلك عندما رأى عبدالله بن زيد رضي الله عنه في منامه صيغة الأذان، فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بلالاً فأذن بها، وعندما سمعه عمر رضي الله عنه جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم مهرولاً، وقال: إنه رأى ما رأى عبدالله بن زيد. ولم يكن المسجد موضعاً لأداء الصلوات فحسب، بل كان مدرسة يتلقى فيها المسلمون تعاليم الإسلام وتوجيهاته، ومنتهى تلقى وتآلف فيه العناصر القبلية التي كانت بينها نزاعات وحروب، وقاعدة لعقد اللوية جيوش وسرايا المجاهدين، وسفارة لاستقبال الرسل والسفراء...

ولذا فمن أهم الدروس المستفادة من هذا المقطع من سيرته صلى الله عليه وسلم هو أهمية المسجد في حياة المسلمين، فهو الركيزة الأولى في بناء المجتمع الإسلامي، ذلك أن المجتمع المسلم يكتسب صفة الرسوخ والتماسك بالتزام نظام الإسلام وعقيدته وآدابه، وإنما يتبع ذلك كله من روح المسجد ووحية.

تدريب (1)

ضع من القائمة (أ) مع ما يناسبه من القائمة (ب)		
القائمة (أ)	القائمة (ب)	
1/ مكان المسجد النبوي	2/ عبدالله بن زيد	أ
2/ أول من صنع ورأى الأذان في منامه	2/ أبو بكر الصديق	ب
3/ بني جدار المسجد بالجص والحجارة	3/ عمار بن ياسر	ج
4/ لم يدخل تغييراً في للمسجد النبوي	4/ الفلاميني يقيمون	د
5/ كان يحمل لبنتين (طوب)	5/ عثمان بن عفان	هـ

مهام مسجد النبي (صلى الله عليه وسلم) بالمدينة



2.1 المؤاخاة بين المسلمين

عزيزي الدارس، هل تعتقد أن المؤاخاة بين المسلمين كان لها أثر في وحدة المسلمين وتربطهم وقيام الدولة الإسلامية في المدينة؟ لعل تناولنا ذلك يساعدنا في الإجابة.

أخي الرسول صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، أخی بينهم على الحق والمواصلة، وعلى أن يتوارثوا بينهم بعد المعارك، بحيث يكون أثر الأخوة الإسلامية في ذلك أقوى من أثر قرابة الرحم، فجعل جعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل أخوين، وجعل أبا بكر الصديق وخارجة بن زيد أخوين، وعمر بن الخطاب وعثمان بن مالك أخوين، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين... وظلت حقوق هذا الإخاء مقدمة على حقوق القرابة إلى موقعة بدر الكبرى حيث نزل في أعقابها قول الله تعالى: «وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم» (الأنفال، الآية 75) فنسخت هذه الآية ما كان قبلها، وانقطع أثر المؤاخاة الإسلامية في الميراث، ورجع كل إنسان في ذلك إلى نسبه وذوي رحمه، وأصبح المؤمنون كلهم أخوة (البوطي، فقه السيرة، ص 147).

وكان من أهداف المؤاخاة أن بعض المهاجرين كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة والقوى، فأخى بين الأعلى والأدنى ليرتقي الأدنى بالأعلى، ويستعين الأعلى بالأدنى، ومن أهدافها أيضاً ليذهب عنهم وحشة الغربة، ويستأنسوا من مفارقة الأهل والعشيرة، ويشد بعضهم أزر بعض، فلما عز الإسلام واجتمع الشمل، وذهبت الوحشة وانخرطوا في الحياة العامة أبطل الله التوارث بالمؤاخاة وأبقى أخوة المؤمنين.

وقد أبدى الانصار حماسة كبرى لإعانة إخوانهم المهاجرين ليس أنل على ذلك من قصة

عبدالرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، حيث قال لعبدالرحمن: إني أكثر الأنصار مالاً، فأقسم لك مالي نصفين، ولي امرأتان فأنزل أعجبهما إليك فسميها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، فقال له عبدالرحمن: بارك الله لك في مالك وأهلك، وأين سوف تكمن؟ فنزلوه على سوق بني قينقاع، فأخذ يبيع ويشترى حتى استغنى بماله عن مال أخيه سعد، وتزوج امرأة من الأنصار أمهراً نواة من ذهب، وطلب منه النبي صلى الله عليه وسلم أن يولم ولو بشاة (البخاري 1 / 553) فكان إيثار الأنصار للمهاجرين شهد الله لهم فيه بقوله:

«والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة» (الحشر، الآية 9).

الدروس المستفادة

1- إن أي دولة لا يمكن أن تنهض وتقوم إلا على أساس من وحدة الأمة وتعاونها، وهذه الوحدة والتعاون لا تتم إلا بالحب والتآخي الحقيقي، وهذا التآخي لا بد أن يكون مسبوقاً بعقيدة يتم اللقاء عليها والإيمان بها، ولأجل هذا جعلها الرسول صلى الله عليه وسلم أساس الأخوة، جمع عليها أفئدة أصحابه فهي العقيدة الإسلامية التي جاءهم بها من عند الله تعالى، والتي تضع الناس كلهم في مصاف العبودية الخالصة لله تعالى دون الاعتبار لأي فارق إلا فارق التقوى والعمل الصالح.

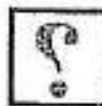
2- إن التآخي والتكافل هما الضمانة القطرية الأولى لقيام مجتمع المساواة والعدل، فمهما بذلت الدولة من جهود في سبيل نشر العدل بالقانون والسلطة فقط فإن ذلك لن يتم ما لم يكن هناك نوع من التآخي والتكافل بين أفراد وحدات المجتمع، ولهذا استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا التآخي أن يضع مبادئ العدالة الاجتماعية، وأن يقدم أروع نظام اجتماعي عرفته البشرية في تاريخها الطويل.

3- كان الثوارث الذي شرع بالمؤاخاة ضرورة اقتضتها المرحلة الأولى التي كانت تمر بها الدولة الإسلامية والمجتمع وطبق حتى أصبح مسئولية محققة. وكانت الحكمة من ذلك، أن تتجلى الأخوة الإسلامية حقيقة محسوسة يعيشها المجتمع المسلم وينتقل بها من هذه المرحلة وهي مرحلة التكوين، إلى المرحلة التالية وهي مرحلة التمكين، والتي جاءت بتشريعات تتسق مع ما حققته الدولة والمجتمع من ارتقاء وتطور.

4- إن موقف عبدالرحمن بن عوف من أخيه سعد بن الربيع لبو نموذج واضح على عفة المهاجرين واستعدادهم الفطري للعمل وخاصة التجارة التي ألفوها وكانت مكة أم القرى التجارية آنذاك.

أسئلة تقويم ذاتي

- 1- إلى أين كانت قبلة المسجد النبوي الشريف عندما أنشئ؟
- 2- كيف كان المسجد النبوي اللبنة الأولى لبناء المجتمع الإسلامي؟
- 3- ما هي أهم أهداف المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار؟
- 4- كيف تسفدل على رغبة الأنصار في إعانة إخوانهم للمهاجرين؟
- 5- اذكر نص الآية التي شهد فيها رب العالمين بإيثار الأنصار للمهاجرين.



3.1 كتابة الوثيقة بين المسلمين وغيرهم

كان سكان المدينة عندما هاجر إليها الرسول صلى الله عليه وسلم عبارة عن ثلاث

طوائف :

- أ- المسلمون : وكانوا من المهاجرين والأنصار من قبائل الأوس والخزرج .
- ب- المشركون : وهم الذين لم يؤمنوا من صميم سكان قبائل المدينة .
- ج - اليهود : وكانوا قد هاجروا من الشام إلى الحجاز منذ الاضطهاد الآشوري والروماني، ومن أهم قبائلهم في يثرب : بنو قينقاع (وهم حلفاء الخزرج)، وبنو النضير

(وكانوا حلفاء الخزرج أيضاً) وبنو قريظة. (وعم حلفاء الأوس). وكانت هذه القبائل تشير الحروب بين الأوس والخزرج وكان لها دور كبير في حرب بعاث، وكانوا أكثر الناس حقدًا على الإسلام. فهذا المجتمع غير المتجانس لا بد من تنظيم علاقاته مع بعضه، ومحاولة توحيد حياته تحت ظل دولة الإسلام الأولى، ولهذا كتب الرسول صلى الله عليه وسلم معاهدة بهذا الشأن جاء فيها ما يلي :

- 1- المسلمون من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة من دون الناس.
- 2- هؤلاء المسلمون جميعاً على اختلاف قبائلهم يتعاضدون بينهم ويقدون عانيهم (العاني هو الأسير) بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
- 3- إن المؤمنين لا يتركون مفرحاً (المفرح هو كثير العيال والمنقل بالدين) بينهم أن يعطوه في فداء أو عقل.
- 4- إن المؤمنين المتقين، على من بغى منهم أو ابتغى دسيسة (وهي العطية) ظلم أو أثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم.
- 5- لا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافر على مؤمن.
- 6- إن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم.
- 7- ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدناسهم، والمؤمنون بعضهم موالي بعض دون الناس.
- 8- لا يحل لمؤمن أقر بما في الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً ولا يؤويه، وأنه من نصره أو أواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة.
- 9- اليهود ينفقون مع اليهود ما داموا محاربين.
- 10- يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.
- 11- إن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وأن بينهم النصرة على من حارب أهل هذه الصحيفة.

12 - كل ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله .

13 - من خرج من المدينة آمن ومن قعد آمن، إلا من ظلم وأثم .

14 - إن الله على أصدق ما في الصحيفة وأبره وإن الله جار لمن بر واتقى .

تدريب (2)

عزيزي الدارس، اقرأ بنود الوثيقة السابقة جيداً ومن ثم استخرج بعض الأحكام التشريعية التي أكدت عليها هذه الوثيقة.



الدرس المستفادة

1- إن هذه الوثيقة تؤكد أن المجتمع الإسلامي قام منذ أول نشأته على أسس دستورية تامة، وأن الدولة الإسلامية قامت منذ أول بزوغ فجرها على أتم ما قد تحتاجه الدولة من المقومات الدستورية والإدارية، والتي لا بد منها لتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في المجتمع، ومن هنا تسقط دعاوى المستشرقين وتلامذتهم الذين يزعمون بأن الإسلام ليس إلا ديناً قوامه ما بين الإنسان وربه، وليست له من مقومات الدولة والتنظيم الدستوري شيء، وهي دعاوى قصد بها تقييد الإسلام كي لا ينطلق لإصلاح المجتمعات الإسلامية، ويتغلب على المجتمعات المنحرفة الأخرى، ووسيلتهم إلى ذلك محصورة في أن يكون الإسلام ديناً لا دولة، وعبادات مجردة، لا تشريعاً وقوانين، ولكن تسقط هذه الدعاوى بالرجوع إلى هذه السيرة العطرة، والوقوف عند هذه النصوص التي كتبها رسول الأمة منذ بزوغ فجر الإسلام، وهي تؤكد أن الإسلام دين ودولة، وأن هذه الوثيقة تشمل في طياتها بعض مضامين الدساتير الوضعية ناهيك عن التشريعات الإسلامية .

2- إن هذه الوثيقة تدل على مدى العدالة التي اتسمت بها معاملة النبي صلى الله عليه وسلم لليهود، وكان بالإمكان أن تزدني هذه العجالة شعارها في مجتمع المدينة لولا عبور اليهود الخطرية إلى المكر والقدر والخديعة، فما هي إلا شهور بعد توقيعهم على هذه الاتفاقية حتى غلبت عليهم شقوتهم فنقضوها كما سنفصل بعد قليل.

تدريب (3)



أخى النبي - صلى الله عليه وسلم - بين المهاجرين والأنصار وجعل أثر الأخوة الإسلامية في ذلك أقوى من أثر التراحم على أن يتوارثوا بينهم بعد المساء، عزيري الدارس أمام كل اسم من المهاجرين لكتب اسم أخيه من الأنصار:

- 1/ أبو بكر الصديق -
- 2/ عمر بن الخطاب -
- 3/ عبد الرحمن بن عوف -

4.1 الجهاد العسكري -

لم يتوقف أذى قريش للمسلمين حتى بعد هجرتهم إلى المدينة وإقامة دولتهم فيها، بل ازداد غيظ مشركي مكة بأن أثقلت منهم منحصن بالأمس ووجد القوة والحماية من الأنصار في المدينة، فكتبوا إلى عبدالله بن أبي بن سلول، وكان إذ ذاك مشركاً، بصفته رئيس الأنصار قبل الهجرة، فعملواهم أذعنهم قد اتفقوا عليه، وكانوا يجعلونه ملكاً عليهم، لولا الهجرة التي أبطلت ذلك التتويج، فكتب إليه مشركو قريش يقولون: «إنكم آويتم ضاحيقاً، وإننا نقسم بالله لتقاتلنهم أوليتهم أوطانهم، أو لتسيرن إليهم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم ونستبيح نساءكم» (ابن هشام، السيرة النبوية، ج 1، ص 174).

فقام ابن أبي بن حجر يرض عبدة الأوثان على قتال المسلمين، وكان يحقد على النبي صلى الله عليه وسلم لما يراه أنه استلبه ملكه، فاجتمعوا وقرروا قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لولا مواجهة الرسول لهم ففترقوا، لكن ظل ابن سلول يحمل الشر للمسلمين متواطئاً مع قريش واليهود الذين كانوا يتدعون له العون في الإيقاع بالمسلمين واستئصالهم، وإلحاق الأذى برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد تأكد للرسول صلى الله عليه وسلم من مكائد قريش مما جعله لا يبيت إلا ساهراً أو في حرس من الصحابة، وظل الأمر كذلك حتى نزل قول الله تعالى «والله يعصمك من الناس» (المائدة، الآية 67). فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «يا أيها الناس انصرفوا عني فقد عصمني الله».

ولم يكن الخطر محدقاً برسول الله صلى الله عليه وسلم وحده بل كان يشمل المسلمين كافة، فقد روى أبي بن كعب رضي الله عنه قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة، وأوتهم الأنصار ومتهم العرب عن قوس واحدة، وكانوا لا يبيتون إلا بالسلاح، ولا يصبحون إلا فيه .

في هذه الظروف الخطيرة، والتهديد المتواصل لكيان المسلمين وعقيدتهم من داخل المدينة وخارجها أنزل الله تعالى الإذن بالقتال للمسلمين، ولم يفرضه عليهم، قال تعالى :
«أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير» (الحج، الآية 38) ثم بين لهم في آيات أخرى أن هذا الإذن إنما هو لإزاحة الباطل وإقامة شعائر الله، قال تعالى : «الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر» (الحج، الآية 41).

وكان الإذن مقتصرأ على قتال قريش، ثم تطور فيما بعد مع تغير الظروف حتى وصل إلى مرحلة الوجوب، وجاوز قريشاً إلى غيرهم من مشركي الجزيرة الضالة، وهذا القتال الذي شرعه الإسلام وخاض معاركه الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته هو أشرف أنواع الجهاد، كما يقول الشيخ الغزالي، فقد كان القتال فريضة لحماية الحق، ورد المظالم، وقمع العدوان، وكسر الجبابرة (الغزالي، فقه السيرة، ص 208).



عزيزي الدارس، دار الجدل وما يزال حول ما هو الجهاد وكيف يكون الجهاد؟ وكيف تكون الشهادة في الجهاد؟ ابحث عن اثنين من كتب الفقهاء الأربعة واكتب مقالاً مختصراً توضح فيه ما ذهبوا إليه في هذا الأمر.

أما تخرص المستشرقين والحاقدون على الإسلام من أهل الأديان الأخرى، والادعاء بأن المسلمين جنحوا إلى القوة حيث لا مبرر لها، فذلك كله لغو طائش، وهو جزء من الحملة المدبرة لحرق الإسلام من الأرض واستبقاء أهله عبيداً للصليبية والصهيونية.

وما من أيام القتال فيهن أوجب على المسلمين من أيام يهدد فيها الإسلام وأمله بالفناء، ويتألب عليه شتى القوى، بل يصطلىح عليه الخصوم الألداء محاولين سحقه إلى الأبد، وقد وقع هذا في صدر الإسلام قبل الهجرة وبعدها، ووقع هذه الأيام، فسقطت أوطان الإسلام في أيدي لصوص الأرض والثروات وأصبح الحمى الإسلامي مستباحاً، فكيف تستغرب الدعوة إلى التسليح، وإعداد القوة، والإهابة بأهل النجدة أن يوطنوا أنفسهم على التضحية في سبيل الله، كيف تستنكر صناعة الموت في أمة يتوالت حولها الجزارون من كل فج (الغزالي، فقه الشريعة، ص 209) ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون، وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم، وما تنفقوا في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون؛ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم، وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله (الأنفال، الآيات 59 - 62).

أسئلة تقويم ذاتي



- 1- ما هي الطوائف التي كانت تسكن المدينة عندما هاجر إليها النبي صلى الله عليه وسلم ؟
- 2- لماذا كتب النبي - صلى الله عليه وسلم - معاهدة بين هذه الطوائف ؟
- 3- ما هو مضمون رسالة مشركي قريش لعبدالله بن أبي بن سلول عندما كان مشركاً ؟
- 4- ما هو السبب الرئيس لحقد عبدالله بن أبي بن سلول على النبي صلى الله عليه وسلم ؟
- 5- وضح كيف تطور الإنز بالجهاد في المدينة بعد أن تكالبت العرب على المسلمين ؟

ولما نزل الإنز بالقتال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبسط سيطرته على الطريق الرئيس الذي تسلكه قريش من مكة إلى الشام، وخطط أن يتم ذلك بوسيلتين :

الأولى : عقد معاهدات الحلف مع القبائل المجاورة لهذا الطريق -

الثانية : إرسال السرايا والبعوث القتالية إلى هذا الطريق -

وشرع في تنفيذ هذه الخطة فسالم عدداً من القبائل، وأخذ يرسل السرايا الواحدة تلو الأخرى، وكان الهدف من كل ذلك هو :

- 1- إشعار مشركي يثرب، ويهودها وأعراب البادية الضاربين حولها بقوة المسلمين .
 - 2- إنذار قريش عاقبة طيشها، حتى تفيق من غيها الذي لا يزال في أعماقها، وعليها أن تشعر بتفاقم الخطر على اقتصادها وأسباب معاشها فتجئ للسلم، وتمتنع عن تهديد المسلمين في عقر دارهم، وعن الصد عن سبيل الله وعن تعذيب المستضعفين من المؤمنين في مكة، حتى يصير المسلمون أحراراً في إبلاغ رسالتهم في ربوع الجزيرة .
- وقد سير الرسول صلى الله عليه وسلم عدداً من السرايا كان أهمها سرية نخلة، في

رجب من العام الثاني للهجرة، وبعد فيها عبدالله بن جحش الأسدي في إثني عشر رجلاً، وسلمه خطاباً وأمر ألا ينظر فيه إلا بعد يومين، فسار وبعد يومين فتح الخطاب فإذا فيه : «إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، فترصد بها عير قريش وتعلم لقاعن أخبارهم» .

فاستشار أصحابه . وقال لهم : «إني فامض، فمن أحب الشهادة فليذهب فنهضوا جميعاً . إلا سعد بن أبي وقاص وعقبة بن غزوان فقد ضاع بعيرهما فتخلفا في طلبه، ثم سار عبدالله حتى نزل بوادي نخلة، فمرت عير لقريش تحمل تجارة، وفيها عمرو بن الحضرمي، وعثمان ونوفل ابنا عبدالله بن المغيرة، والحكم بن كيسان مولى المقيرة، فتشاور المسلمون وهم في آخر يوم من رجب الشهر الحرام فقالوا : «فإن قاتلناهم انتهكنا الشهر الحرام، وإن تركناهم الليلة دخلوا الحرم، فقرروا قتالهم، فرمى أحدهم عمرو بن الحضرمي فقتله، وأسروا عثمان والحكم وأفلت نوفل، ثم قدموا بالعين والأسيرين إلى المدينة، وكان أول قتل وأسيرين في الإسلام، فأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعلوه، وقال لهم : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام» .

فوجد المشركون فرصة لانتقام المسلمين بأنهم أحلوا ما حرم الله، وكثر القيل والقال، فنزل الوحي حاسماً هذه القضية، قال تعالى :

«يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل (البقرة، الآية 217) . وبذلك زال هم المسلمين، وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بإطلاق سراح الأسيرين وأدى دية القتل إلى أوليائه .

وبعد سرية عبدالله بن جحش ارتفعت معنويات المسلمين، وازداد خوف المشركين، حيث أصبح المسلمون خطراً عليهم، بعد أن نزلت آيات القتال عقب هذه السرية :

«وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين، واقتلواهم حيث ثقتهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل، ولا تقاتلواهم عند

المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين»
 فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم، وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا
 فلا عدوان إلا على الظالمين (البقرة، آية 193) .
 وهكذا نزل أمر القتال في الوقت المناسب، حيث كانت الظروف والأحوال تقتضي عراكاً نامياً بين
 الحق والباطل، وسنكون الغلبة للمسلمين حسب إشارة الآيات، وكانت سرية عبدالله بن جحش ضربة
 موجعة لقريش تركتهم يتقليبون على الجمر، فكان من المتوقع ألا تصمت طويلاً على هذه الجراح .
 وفي هذه الأيام في شعبان من السنة الثانية للهجرة، أمر الله تعالى بتحويل القبلة من
 بيت المقدس إلى المسجد الحرام، وأثناء ذلك بأن انكشف أولئك الضعفاء والمنافقون من اليهود
 الذين اندسوا وسط المسلمين لإثارة البلبلة، وهكذا تطهرت صفوف المسلمين من كثير من أهل
 الغدر والخيانة، ولعل في تحويل القبلة إشارة ضمنية للمسلمين إلى ضرورة عودة المسلمين
 وسيطرتهم على المسجد الحرام، إذ لا يعقل أن تكون قبلة قوم بيدهم بيت المقدس .
 وفي السنة الثانية للهجرة أيضاً فرض الصوم، وذلك بعد أن رسخت عقيدة الإسلام في
 قلوب المسلمين واتفوا الصلاة وهاموا بها، فأنزل الله تعالى :
 «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون
 (البقرة، آية 183) .

تدريب (4)



اكتب مقالاً عن «سرية نخلة» وما حدث فيها من ملاييسات القتال بين المسلمين والمشركين في شهر رجب الشهر الحرام موضحاً وفي النبي - صلى الله عليه وسلم - مع ذكر الآيات التي نزلت بهذا الخصوص .

شكل (2)

أحداث هامة في السنة الثانية للهجرة

تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام	فرض الصوم	تسيير سرية نخلة	نزول آيات القتال بعد سرية نخلة
--	-----------	--------------------	--------------------------------------

2. جهاد النبي - صلى الله عليه وسلم - والمسلمين ضد الكفار 1.2 غزوة بدر الكبرى

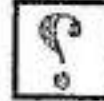
وفي رمضان سنة اثنين من الهجرة كانت غزوة بدر الكبرى، وهي المعركة الحاسمة التي تقرر مصير الأمة الإسلامية، ومصير الدعوة الإسلامية، وعليها يتوقف مصير الإنسانية المعنوي، فكل ما حدث من فتوح وافتصارات وكل ما قام من دول وحكومات مدين للفتح المبين في ميدان بدر، ولذلك سمى الله هذه المعركة بيوم الفرقان .
«... وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ...» (الأنفال، الآية 41)

أولاً: الأحوال قبل المعركة

وكان سبب هذه الغزوة أن الرسول صلى الله عليه وسلم سمع بأبي سفيان بن حرب مقبلاً من الشام في غير عظيمة لقريش، فيها ألف بغير تحمل أموالهم وتجارته، فغضب الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين إليه وقال لهم : «هذه غير قريش فيها أموالهم فأخرجوا إليها لعل

الله ينفلكموها، ولم يستنفر الرسول صلى الله عليه وسلم كل الناس، بل طلب أن يخرج معه من كان ظهره حاضراً، ولذا لم يعاتب أحداً تخلف عنها، (الندوي، السيرة النبوية، ص 245).
 فخرج معه حوالي ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً معظمهم من الأنصار، وكان معهم سبعون بعيراً يتعاقبون على ركوبها، وفرسان فقط، فكان كل ثلاثة يتعاقبون على بعير، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه علي بن أبي طالب، وأبو لبابة يتعاقبون على بعير، فعندما جاء دور الرسول صلى الله عليه وسلم في النسي قال له: نحن نمشي عنك، فقال لهما: أما أنتم بالقرى مني ولا أنا بأعني عن الأجر منكماء.
 وعندما بلغوا الروحاء رد الرسول صلى الله عليه وسلم أبا لبابة وأمره على المدينة، وجعل عبدالله بن أم مكتوم على الصلاة، وحل محل أبي لبابة على البعير مرتد بن أبي مرثد، ودفع لواء القيادة العامة إلى مصعب بن عمير، وقسم جيشه إلى كتبتين: كتبة المهاجرين، وأعطى رايتهما لعلي بن أبي طالب، وكتبة الأنصار وأعطى رايتهما لسعد بن معاذ، وجعل على قيادة الميمنة الزبير بن العوام، وعلى اليسرة المقداد بن عمرو، وكانا هما الفارسين الوحيدين في الجيش، وجعل على الساقة قيس بن أبي صعبصة، وظلت القيادة العامة في يده صلى الله عليه وسلم كقائد أعلى للجيش.

أسئلة تقويم ذاتي



- 1- من هو أول قتيل في الإسلام؟
- 2- من هما أول أسيرين في الإسلام؟
- 3- لماذا زاد خوف المشركين بعد أحداث سريّة عبدالله بن جحش؟
- 4- متى أمر المولى عز وجل بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام؟
- 5- ما هي الفريضة اليامة، التي فرضت في السنة الثانية لهجرة النبي صلى الله عليه وسلم.
- 6- متى كانت غزوة بدر الكبرى؟
- 7- لماذا سميت غزوة بدر بيوم الفرقان؟
- 8- ما هو السبب في غزوة بدر الكبرى؟

وعندما علم أبو سفيان بالخطر المحقق بقافلته، أرسل ضمضم بن عمرو الغفاري إلى مكة يستنجد بقريش، فأسرع ضمضم وأخبر قريشاً بأن محمداً قد عرض لأهوالهم، فخرجت قريش مسرعة لإنقاذ عيرها ورجالها والقضاء على قوة المسلمين، فلم يتخلف من أشراقتهم سوى أبي لهب، ولم يتخلف عن بطون قريش سوى بني عدي. وقد بلغ عددهم في بداية مسيرهم نحو ألف وثلاثمائة محارب، معهم مائة فرس وستمئة درع، وجمال كثيرة بقيادة أبي جهل (ابن كثير، البداية والنهاية، ج3، ص 284).

وكان أبو سفيان متيقظاً للخطر المتكرر من المسلمين، فعندما اقترب من بدر، ترك الطريق الرئيس الذي يمر على يسار بدر، واتجه مسرعاً إلى طريق الساحل غرباً، فنجأ من الخطر، ثم أرسل رسالة أخرى إلى قريش وهم بالجحفة يخبرهم فيها بنجاته، ويطلب منهم الرجوع إلى مكة، فهم جيش قريش بالرجوع، لكن أبا جهل رفض ذلك قاتلاً:

(والله لا نرجع حتى نرد بدرأ، فنقيم بها ثلاثاً، فننحر الجوز ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتعزف لنا القيان، وتسمع بنا العرب ويمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبداً، فامضوا)

فأطاعه القوم ما عدا الأخنس بن شريق، فرجع مع قومه من بني زهرة، وطالب بن أبي طالب، وسار القوم حتى نزلوا بالعدوة القصوى من وادي بدر.

ولما بلغ ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم، استشار أصحابه، فخشي فريق منهم المواجهة دون أن يستعدوا لها بكامل عدتهم وعتادهم، لأنهم لم يخرجوا للحرب، فحاولوا الرسول صلى الله عليه وسلم ليقتنعوه، فنزل فيهم قول الله تعالى:

«كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن كثيراً من المؤمنين لكارهون، يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنها يساقون إلى الموت وهم ينظرون» (الأنفال، الآيات، 5-6).

وتكلم المهاجرون منهم أبو بكر وعمر والمقداد بن عمرو وأيدوا المسير وملاقاة العدو، ومما قاله المقداد: «يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا

معكم مقاتلون، هو الله الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجادلنا معك من دونه حتى تبلغه، وسر النبي صلى الله عليه وسلم من قوله .
ثم قال الرسول صلى الله عليه وسلم : أشيروا علي أيها القوم، وكان بذلك يريد سماع رأي الأنصار. فهم غالبية جيشه، كما أن بيعة العقبة لم تكن ملزمة لهم بحماية الرسول صلى الله عليه وسلم خارج المدينة، وأدرك سعد بن معاذ مراد الرسول صلى الله عليه وسلم، فنهض قائلاً: (والله لكأنك تريدنا يا رسول الله)؟ قال : أجل، قال :
(آمننا بك فصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر على بركة الله) (ابن كثير، البداية والنهاية، ص 351)
فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد، ونشطه ذلك، ثم قال : سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم .

سئلة تقويم ذاتي

- 1- من هما شريكا النبي - صلى الله عليه وسلم - في ركوب البعير عندما خرجوا إلى غير قريش؟
- 2- كيف استنفر النبي - صلى الله عليه وسلم - المسلمين للخروج إلى غير قريش؟
- 3- من الذي رده النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة عندما بلغوا الروحاء؟
- 4- لماذا أصر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يأخذ دوره في النبي عندما طلب منه رفيقه في البعير أن يركب هو؟



وفي مساء ذلك اليوم أرسل عليا والزبير وسعداً بن أبي وقاص في نفر من أصحاب
لجمع المعلومات عن العدو، فوجدوا على ماء بدر غلامين يستقيان لجيش مكة، فأتوا بهما إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي، وأخذوا في استجوابهما، فافاداهما سقاة
جيش قريش، فلم يصدقوهما فلما منهما أنهما لأبي سفيان، فضربوهما حتى قالا إنهما لأبي
سفيان، فلما فرغ الرسول صلى الله عليه وسلم عاتب أصحابه على ضربهما، ثم سألهم
الرسول صلى الله عليه وسلم عن مكان الجيش المكي، فقالوا : هم وراء هذا الكثيب الذي يرى
بالعدوة القصوى، وعندما سألهم عن عدد الجيش لم يستطيعوا تحديد ذلك، ولكنهما حددا عدد
الجزور التي تنحر يومياً بأنها ما بين التسعة والعشرة، فاستنتج الرسول صلى الله عليه
وسلم بأنهم بين التسعمائة والألف، ونكرا له مَنْ بالجيش من أشراف مكة، فقال الرسول صلى
الله عليه وسلم لأصحابه : «هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها» . (ابن هشام، السيرة النبوية،
ج2، ص 307).

وانزل الله في هذه الليلة مطراً طهر به المؤمنين، وثبت به الأرض تحت أقدامهم وجعله
وبالاً شديداً على المشركين، وفي هذا قال تعالى :
«وينزل عليكم ماءً ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت
به الأقدام (الأنفال، الآية 6) ومن نعمه على المسلمين يوم بدر أيضاً أن غشيتهم الغمام أمنه منه
كما ورد في قوله تعالى : «إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء (الأنفال، الآية 7) ومن نعمه على المسلمين أيضاً بأن أوقع الخلاف في صفوف عدوهم، وذلك
عندما حاول عتبة بن ربيعة أن يثني قريشاً عن القتال، فاتهمه أبو جهل بالجهن والتخاذل، مما
جمل عتبة أن يخرج معه أخوه وابنه يطلبون المبارزة .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد سبق المشركين إلى ماء بدر ليحول بينهم وبين
الماء، وهنا قام الحباب بن المنذر كخبير عسكري وقال : يا رسول الله أرايت هذا المنزل، أمزلاً
أنزلكه الله ليس لنا أن نقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال : بل هو الرأي
والحرب والمكيدة، قال : يا رسول الله، إن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتي تأتي أدنى ماء

من القوم فننزله ، ونغور - أي نهدم - ما وراءه من القلب ، ثم نهني عليه حوضاً ، فنملأه ماء ثم نقاتل القوم . فتشرب ولا يشربون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أشرت بالرأي . فنهض الرسول صلى الله عليه وسلم بالجيش ليلاً ونزل بكثي ماء من العدو فصنعوا الحياض وملأوها وغوروا ما عادوا .

وقام سعد بن معاذ واقتراح على النبي صلى الله عليه وسلم أن يبني له عريشاً يجلس فيه استعداداً للطوارئ ، فوافقه على ذلك ، فبني المسلمون له عريشاً على تل مرتفع يشرف منه على ساحة القتال ، ووقف سعد ومعه فرقة من شباب الأنصار لحراسة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي ليلة السابع عشر من رمضان للسنة الثانية من الهجرة عبا رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشه ، ثم بات يصلي إلى جذع شجرة هنالك يسأل ربه النصر . أما قريش فقد باتت ليلتها تلك في الكئيب ، وعند الصباح نزلت منه إلى أسفل الوادي ، وأقبل نفر منهم إلى حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ، دعوهم ، فما شرب أحد منهم يومئذ إلا قتل سوى حكيم بن حزام الذي أسلم وحسن إسلامه .

فلما اطمأنت قريش بعثت عمير بن وهب الجمحي للتعرف على مدى قوة المسلمين ، فدار عمير بفروسه حول المعسكر ثم رجع إليهم فقال ، ثلاثمائة رجل يزيدون قليلاً أو ينقصون ... ولكني قد رأيت يا معشر قريش الباليات تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل السم الناقع ، قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلاً منهم ، فإذا أصابوا منكم أعدادكم فما خير العيش بعد ذلك ؟ فمروا رأيكم .

وحتى يشتد حماس القوم بعث أبو جهل إلى عامر بن الحضرمي ، أخي عمرو بن الحضرمي الذي قتل في سرية عبدالله بن جحش ، - عن سرية نخلة - وقال قد رأيت ثار أخيك بعينك فقم وناشد خفرك ومقتل أخيك ، فقام عامر وكشف عن أسنانه (الأسن هو الدبر) وصرخ : وأعمراه وأعمراه ، نحمل القوم واشتد أمرهم ، واستوثقوا على ما هم عليه من الشر .

تدريب (5)



عندما بلغ النبي - صلى الله عليه وسلم - منطقة الروحاء وهو في طريقه إلى قاتلة وعير قريش قسم جيشه وأرسل لبعض أصحابه عدداً من الخيول، أمام كل اسم اكتب الهمة التي أوكلها له النبي صلى الله عليه وسلم.

- 1- عبدالله بن أم مكتوم
- 2- مرثد بن أبي مرثد
- 3- مصعب بن عمير
- 4- علي بن أبي طالب
- 5- سعد بن معاذ
- 6- الزبير بن العوام
- 7- المقداد بن عمرو
- 8- قيس بن أبي صعصعة

ثانياً : المعركة الفاصلة

فلما طلع المشركون وترأى الجمعان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيالاتها وفخرها تحادك وتكذب رسوك، اللهم فتصرك، الذي وعدتني، اللهم أجنهم الغداة، وعدل صفوف المسلمين استعداداً للمعركة .

وكان أول وقود المعركة الأسود بن عبد الأسد المخزومي، وكان مجرماً سيئ الخلق، فخرج وقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم ولاهدمنه أو لاموتن دونه، فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فلما التقيا ضربه حمزة فقطع رجله، وهو دون الحوض، فسقط ثم حبا إلى الحوض ليبر قسمه، ولكن حمزة ثناه بضربة قاصمة فقتله، ثم خرج بعده ثلاثة من فرسانهم هم : عتبة بن ربيعة وأخوه شيبه وابنه الوليد بن عتبة يطلبون المبارزة، فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار، فقالوا لهم : مالنا بكم من حاجة، إنما تريد بني عينا فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : «قم يا عبيدة بن الحارث، وقم يا حمزة، وقم يا علي» فقالوا : من أنتم؟ فأخبروهم، فقالوا : أنتم أكباء كرام، فبارز عبيدة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبه، وبارز علي الوليد، فأما حمزة وعلي فلم يمهلأ قرفيهما أن قتلاههما، وأما عبيدة فقد ضرب كل منهما صاحبه فأثخنه، ثم كر علي

وحمزة علي عتبة فقتلاه، وحملوا عبيدة، وقد قطعت رجله، ثم توفي بعد المعركة بأربعة أيام.
فلما شاهد المسلمون هذا النصر كبروا وظلوا، أما المشركون فقد استشاطوا غضباً.

وكرروا على المسلمين كرة رجل واحد.
أما رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان يناشد ربه النصر الذي وعده به، ويقول:
اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، عني إنا التحم الجيشان واحتدم
النقتال وبلغت المعركة قممها قال:

«اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبداً، وبالغ في
الابتهاال حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فردّه عليه أبو بكر الصديق وقال: حسبك يا رسول الله.
فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله تعالى: «إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني مبعثكم
بآلف من الملائكة مردفين» (الأنفال، الآية 9) وأوحى الله إلى ملائكته «إني معكم سآلفي في قلوب
الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان» (الأنفال، الآية 12) وأغشى
رسول الله صلى الله عليه وسلم إغفاءً واحدة، ثم رفع رأسه فقال: «أبشروا يا أيها يكر أتاك نصر
الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده، وعلى ثنياه النقع». (مسند الإمام أحمد، 1 / 329)

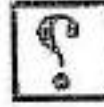
ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب العريش وهو يثب في الدرع ويقول:
«سيهزم الجمع ويولون الدبر» (القمر، الآية 45). ثم أخذ حفنة من الحصباء وقال: شامت
الوجوه، ورمى بها في وجوههم، فما من أحد من المشركين إلا أصاب عينيه ومنخره وفمه من
تلك القبضة، وفي ذلك أنزل الله: «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى» (الأنفال، الآية 17).

وهنا أصدر الرسول صلى الله عليه وسلم أوامره الأخيرة بالهجمة المضادة، وكان من
قبل حذرهم بأن لا يقدم أحد على شيء حتى يكون دونه، ويعد أن اطمأن على امتصاص هجمة
قريش، حرضهم على القتال وقال لهم: «شدوا والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل
فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة». وقال وهو يحضهم على القتال
«قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض، فقال عمير بن الحمام: بخ، بخ، فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: «ما يملكك على قولك بخ بخ...؟ قال لا والله يا رسول الله صلى الله عليه

وسلم إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال : «فإنك من أهلها»، فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن، ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، فرمى بها كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل (صحيح مسلم، 2/39)

وطلب الرسول صلى الله عليه وسلم من أصحابه قبل بدء المعركة ألا يقتلوا نكراً من بني هاشم لأنهم خرجوا مكرمين، وسمى منهم أبا البختري بن هشام، والعباس بن عبدالمطلب لوالقتهما الطيبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة، ثم قام المسلمون بهجوم كاسح مرير، فجعلوا يقلبون الصفوف ويقطعون الأعناق، ونصرتهم الملائكة، ففي رواية ابن سعد عن عكرمة قال : كان يومئذ يندر (يقطع) رأس الرجل لا يدري من ضربه، وقندر يد الرجل لا يدري من ضربها، وجاء رجل من الأنصار قصير القامة بالعباس بن عبدالمطلب أسيراً، فقال العباس : إن هذا والله ما أسرنى لقد أسرنى رجل أجلى من أحسن الناس وجهاً على فارس أبلق، وما أراه في القوم، فقال الأنصاري : أنا أسرته يا رسول الله، فقال : «أسكت فقد أيدك الله بملك كريم».

أسئلة تقييم ذاتي



- 1- ماذا فعل أبو سفيان عندما علم بالخطر المحقق بفانلته؟
- 2- كيف استعدت قريش لنجدة أبي سفيان؟
- 3- كيف تفادى أبو سفيان جيش المسلمين؟
- 4- لماذا رفض أبو جهل رجوع جيش قريش؟
- 5- من هم المهاجرون الذين أيدوا المسيرة وملاقات قريش في منطقة العذوة القصوى من ولدي بدر؟
- 6- من هم رسل النبي - صلى الله عليه وسلم - لجمع المعلومات عن العدو؟
- 7- ما هو رأي الحباب بن المنذر للنبي - صلى الله عليه وسلم - عندما أزل يمام بدر؟
- 8- متى وأين صلى النبي - صلى الله عليه وسلم - ودعا ربه أن ينصره على قريش؟
- 9- من هو «بعوث قريش للتعرف على عند المسلمين؟
- 10- كيف بدأت المعركة بين المسلمين والمشركين في بدر؟

وقد تجلّت في هذه المعركة شواهد إيمانية ومناظر رائعة تجرّن فيها قوة العقيدة وثبات المبدأ، ففي هذه المعركة التقى الآباء بالأبناء، والأخوة بالأخوة، خالفت بينهم الميادى، ففصلت بينهما السيوف، والتقى المقهور بقاهره فشغى منه غيظه .

فأسفرت المعركة عن هزيمة ساحقة لقريش، فأخذت جموعهم في الانهزام والفرار من أرض المعركة، وركب المسلمون ظهورهم يأسرون ويقتلون حتى تمت عليهم الهزيمة، وسقط عتاة المشركين صرعى في أرض المعركة، فقتل رأس الكفر أبو جهل بن هشام، فقد قتله صحابيان هما : معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعوذ بن عفراء، فوقف على جثته عبدالله بن مسعود، وكان به آخر رمق، فوضع رجله على عنقه وأخذ لحيته ليبتز رأسه، وقال : هل أخزأك الله يا عدو الله ؟ قال : وبماذا أخزائي ؟ أتعمد من رجل قتلتموه ؟ ثم قال لابن مسعود : وكان قد وضع رجله على عنقه : لقد ارتقيت مرتقى صعباً يا رويحي الغنم، ثم قطع ابن مسعود رأسه وأتى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : يا رسول الله هذا رأس عدو الله أبي جهل، فقال : «الله الذي لا إله إلا هو» فرددها ثلاثاً ثم قال : «الله أكبر الحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، انطلق أرنيه» فلما وقف على جثته قال : هذا فرعون هذه الأمة .

كما قتل أمية بن خلف، وكان قد أسره عبدالرحمن بن عوف، فلما رآه بلال بن رباح، قال رأس الكفر أمية بن خلف، لانتجوت إن نجا، فأحاطوا به حتى قتلوه، وعبدالرحمن بن عوف فوقه يحميه منهم، كما قتل عمر بن الخطاب خاله العاص بن هشام بن المغيرة حتى يعلم أنه لا ولاء في قلبه إلا لله وحده، وهكذا انجلت معركة بدر عن نصر كبير للمسلمين، إذ قتلوا سبعين من المشركين، وأسروا سبعين ولم يقتل من المسلمين سوى أربعة عشر رجلاً، ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار (ابن كثير، البداية والنهاية، ج 1، ص 330).

لقد كان جزاء عادلاً في هؤلاء «الم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار، جهنم يصلونها وبش القرارة» (إبراهيم، الآيات 28، 29).

ثم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بدفن شهداء المسلمين، كما أمر بحفر قليب قذفت

فيه جثث المشركين، وقد وقف عليهم فقال : «بئس العشير كنتم لقبكم، كذبتُموني وصدقني الناس وخذلتُموني وتصرتني الناس وأخرجتُموني وأواني الناس» .

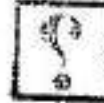
وبعد ثلاثة أيام من نهاية المعركة أمر بإحلاله فشد عليها رحلها، ثم مشى متوجهاً للصحابة حتى وقف على حافة القليب، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم، يا فلان بن فلان ... ويا فلان بن فلان : أيسركم أنكم أطعمتم الله ورسوله ؟ فلما قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ فقال عمر : «يا رسول الله، ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم : «والذي نفس محمد بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يجيبون» .

وعندما وصلت فلول المنهزمين من المشركين إلى مكة وأوصلوا خبر الهزيمة لم تصدق قريش الخبر، فلما تبين لهم صدقه، وقع عليهم وقع الساعقة، ودخلهم حزن شديد حتى منعوا النياحة على القتلى لئلا يشمت بهم المشركون .

أما المدينة، فقد بعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيرين : عبدالله بن رواحة ليبشر أهل العالية، وزيد بن حارثة ليبشر أهل السافلة، وكان اليهود والمنافقون قد أرجفوا في المدينة بإشاعة الدعاية الكاذبة بهزيمة المسلمين، حتى أشاعوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قتل، ولما رأى أحد المنافقين زيد بن حارثة راكباً القصواء، (ناقة الرسول صلى الله عليه وسلم) قال : لقد قتل محمد، وهذه ناقته، تعرفها، وهذا زيد جاء فلا لا يدري ما يقول !

ولكن بعد قليل أخاط المشركون بالرسولين، وسمعوا منهما تفاصيل النصر المؤزر للمسلمين في معركة بدر، فعمقت الهزيمة والستور عجزهم المسلمين وارتجت أرجاء المدينة بالتكبير والتهليل، وقد جاء هذا الخبر بعد دفن رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقليل .

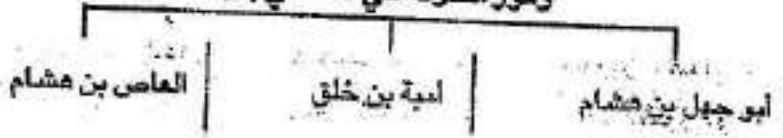
أسئلة تقويم ذاتي



- 1- كيف علم النبي - صلى الله عليه وسلم - أن النصر للمسلمين في بدر؟
- 2- ماذا طلب النبي - صلى الله عليه وسلم - من المسلمين عند قتل نجر من بني هاشم؟
- 3- اذكر أسماء رؤوس الكفر الذين قتلوا في معركة بدر؟
- 4- ماذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو واقف على قتلى المشركين في بدر؟
- 5- من هي بنت النبي - صلى الله عليه وسلم - التي دفنت قبل انتصار المسلمين في معركة بدر؟

شكل (3)

رموز الشرك التي قتلت في بدر



ثالثاً : أسرى بدر

اختلف المسلمون حول غنائم بدر، لأن حكمها لم يكن قد شرع بعد، فأنزل الله تعالى قوله: ويسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله وللرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم (الأنفال، الآية 1) فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين بالتساوي بعد أن أخرج منها الخمس، وقد أسهم الرسول صلى الله عليه وسلم لتسعة من الصحابة لم يشهدوا بدرًا لأعمال كلفوا بها في المدينة، وقد قسمت الغنائم في منطقة الصفراء في طريق المدينة.

أما الأسرى فقد أخذوا إلى المدينة، فاستشار الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه في شأنهم، فأشار أبو بكر بأخذ الفدية منهم، بحجة أن في ذلك قوة للمسلمين على الكفار، وعسى الله أن يهديهم للإسلام، ورأى عمر بن الخطاب قتلهم جميعاً، لأنهم أئمة الكفر، فقال الرسول

صلى الله عليه وسلم لرأي أبي بكر، فنزل القرآن موافقاً لرأي عمر. وذلك في قوله تعالى :
 «ما كان لنبي أن يسرى حتى يثخن في الأرض. تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة
 والله عزيز حكيم. لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم (الأنفال، الآيات 67، 68).
 وكان أخذ الفداء حلالاً في أول الإسلام، ثم جعل قيماً بعد الخيار للأمام بين القتل أو
 الفداء أو المن، قال تعالى : «فإننا لقيتكم الذين كفروا فعضوب الرقاب حتى إذا اثخنتموهم فشدوا
 الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها».

وقد تباين فداء الأسرى، فمن كان فداً سال أخذ فداؤه أربعة آلاف درهم، ومن العباس مائة أوقية،
 ومن عقيل بن أبي طالب ثمانين أوقية. ومن لم يكن لديهم مقدرة على الفداء، وكانوا يعرفون الكتابة
 فداؤهم أن يعلم كل واحد منهم عشرة من أبناء الانتصار الكتابة. وكان يقبل من بعض الأسرى ما
 عندهم إذا تعذر المطلوب، فقد أرسلت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلادة لها لتفدي
 زوجها أبا العاص بن الربيع، فردوها لها وأطلق لها أسيرها لمكانتها عند رسول الله صلى الله عليه
 وسلم، وأطلق الرسول صلى الله عليه وسلم ممن لم يقدر على الفداء بأي شكل من الأشكال، وكان
 بإمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطلقهم جميعاً دون فداء، والدليل على ذلك قوله صلى الله
 عليه وسلم : «لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء لانتني لأطلقهم له» (ابن كثير، الكامل في
 التاريخ، ج 3، ص 285). لدوره الفاعل في حماية الرسول صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة.

تدريب (6)

لقد برز مبدأ الشورى في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم -
 كثيراً وخاصة في غزوة بدر، ناقش ذلك.



كان انتصار المسلمين في بدر قد أحدث هزة عنيفة في كل أنحاء الجزيرة، وازداد غيظ
 الكفار على المسلمين واشتدت عداوتهم للإسلام، وكان أهم هؤلاء الأعداء، المشركون واليهود،
 والتجنس أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا» (المائدة، الآية 82) وهناك
 فريق ثالث وهم المنافقون وعلى رأسهم عبدالله بن أبي بن سلول، وفريق رابع يتمثل في البدو

الضاريين حول المدينة، وكان هؤلاء لا يهمهم كفر ولا إيمان، ولكنهم كانوا أصحاب سلب ونهب
 فخافوا أن تقوم في المدينة دولة قوية تمنعهم من ممارستهم تلك، فتجمعوا يقردهم بنو سليم
 فهاجمتهم النبي صلى الله عليه وسلم وشنت جموعهم، وتآمر اثنان من المشركين في مكة على
 قتل النبي صلى الله عليه وسلم وهما : صفوان بن أمية وعمير بن وهب الجمحي، واتفقا في
 النجر على الخطة، فجاء عمير إلى المدينة لتنفيذ الأمر، فلما قابل رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وكشف له الرسول خطتهما بتفاصيلها أسلم عمير وعاد إلى مكة داعياً إلى الله تعالى .
 أما اليهود وأتباعهم فقد كانت بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم معاهدة كان
 الرسول صلى الله عليه وسلم حريصاً على تنفيذ ما جاء فيها من بنود، فقد دلا الحقد قلوبهم
 فلبسوا إلى الغدر والخيانة، وأخذوا في طريق الدس والمؤامرة والتحرش وإثارة القلق
 والاضطرابات في صفوف المسلمين، فاضطر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى غزوهم
 الواحدة تلو الأخرى . (مهدي رزق الله، السيرة النبوية، ج 2، ص 219).

تدريب (7)



- ضع دائرة حول الحرف الذي يشير إلى الإجابة الصحيحة:
- 1/ من هو الذي اقترح بناء عريش للنبي - صلى الله عليه وسلم -
 يجلس فيه استخدائاً لللواري في معركة بدر؟
 (أ) سعد بن معاذ (ب) الحباب بن المنذر (ج) أبو بكر الصديق
 - 2/ من هو أول قتيل في معركة بدر؟
 (أ) عبدالله بن أبي بن سلول (ب) الأسود بن عبد الأسد (ج) أبو جهل
 - 3/ من هو الذي أسر العباس بن عبد المطلب؟
 (أ) ملك كريم (ب) رجل من الأنصار (ج) عمر بن الخطاب
 - 4/ من هو الصحابي الذي قتل خاله العاص بن هشام في بدر؟
 (أ) أبو بكر الصديق (ب) علي بن أبي طالب (ج) عمر بن الخطاب
 - 5/ من هو الصحابي الذي أشار بأخذ الفدية من أسرى بدر؟
 (أ) أبو بكر الصديق (ب) علي بن أبي طالب (ج) عمر بن الخطاب

الدروس المستفادة

1- لقد بينت الآيات الكريمة التي نزلت في شأن سرية عبدالله بن جحش والتي كانت مقدمة لغزوة بدر الكبرى، أن الذي فعله المشركون بالمسلمين من صد عن سبيل الله وكفر به، وصد عن المسجد الحرام وإخراج المسلمين من بلدهم وسلب أموالهم وقتلتهم عن دينهم، كل هذا أكبر عند الله مما فعله المسلمون، أي القتال في الشهر الحرام، فإذا كان المشركون يرتكبون هذه الجرائم الكبرى في حق المسلمين فلا مانع من قتالهم في الشهر الحرام . وهذا بيان واضح لسياسة الإسلام في تقدير القيم الدينية والخلقية وسموه بالمعاني الروحية والإنسانية .

2- إن الدافع الأصلي لخروج المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر لم يكن القتال والحرب، وإنما كان الدافع هو الاستيلاء على غير قريش التي كانت مع أبي سفيان، غير أن الله تعالى أراد لعباده غنيمة أكبر، ونصراً أعظم، وعملاً أشرف ينسجم مع مقاصد المسلم في وظيفته التي خلق لأجلها، وهي الدعوة إلى الله، والجهاد في سبيل ذلك، والتضحية بالروح والمال في سبيل إعلاء كلمة الله، وإذن فلينج أبو سفيان بتجارته وماله، وتنهزم قريش في ميدان الجهاد، ويفوز المسلمون بالحسين . وهذه تربية إلهية لنفوس المسلمين بأن طريق الدعوة وعرو وفاق، وهذه المشقة هي التي تأتي بالنصر في الدنيا والآخرة .

3- ثبت في معركة بدر أن بيعة الأنصار للرسول صلى الله عليه وسلم في العقبة لم تكن إلا مبايعة مع الله تعالى ولم يكونوا يتصورون وهم يلتزمون الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما يهاجر إليهم إلا دفاعاً عن دين الله تعالى وشريعته، فليست القضية مسألة نصوص معينة اتفقوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها، فهم لا يريدون الالتزام بما وراءها، وإنما المسألة أنهم وقعوا بذلك تحت صك عظيم تضمن قوله تعالى : «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله

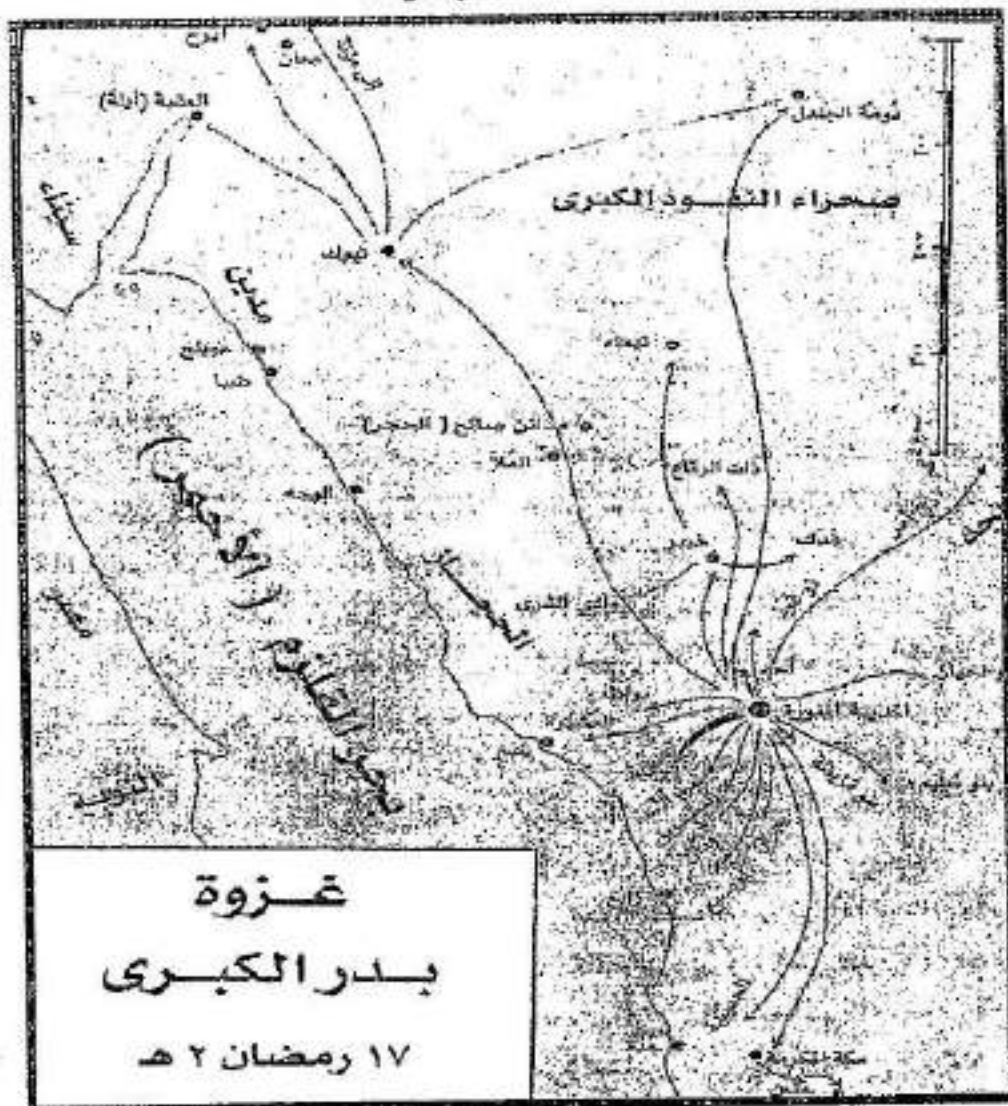
فيقتلون ويقتلون» (التوبة، الآية 111).

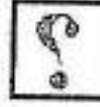
ولهذا كان كلام سعد بن معاذ يسير في نفس المنهج.

4- أهمية التضرع لله وشدة الاستعانة به، لقد رأينا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يطمئن أصحابه بأن النصر لهم، حتى أنه كان يشير إلى أماكن مصارع القوم، فما تزعزع أحد في مقتله عن موضع إشارة يده، ومع ذلك فقد رأيناه يقف طوال ليلة الجمعة في العريش يجار إلى الله تعالى داعياً ومتضرعاً، باسماً كفيه إلى السماء يناشد ربه النصر. وذلك لأن الدعاء هو وظيفة العبودية التي خلق من أجلها الإنسان، وذلك هو ثمن النصر في كل حال، فمهما توقرت الوسائل والأسباب فلا بد من التضرع وبسط الكف إلى السماء، لأن الله تعالى لا يريد منا إلا أن نكون له عبيداً بالطبع والاختيار.

5- كانت غزوة بدر أول تجربة للمسلمين في التضحية، والقتال في سبيل الله تعالى وهم على ما كانوا عليه من الضعف والقلة، وكذلك هي أول تجربة لهم في رؤية الغنائم والأموال أمامهم في أعقاب المعركة، وهم على ما كانوا عليه من الفقر والحاجة، فقد عالجت الحكمة الإلهية تجربة القتال مع الضعف بأن ثبت الله قلوبهم وطمأن نفوسهم بتلك الخوارق الدالة على النصر، ثم عالجت الحكمة الإلهية تجربة رؤية الغنائم والأموال مع الحاجة والفقر، بوسائل تربوية دقيقة جاءت في وقتها المناسب، فقد نزلت الآيات في كيفية توزيع الغنائم وحول مصير الأسرى، فاطمأن المسلمون جميعاً وحمدوا الله وشكروه على هذا النصر المبين، وازدادوا يقيناً بالإسلام ومستقبله. (البوطي، فقه السيرة، ص 128).

خريطة (5) غزوة بدر الكبرى
17 رمضان 2هـ





- 1- كم كانت فدية العباس بن عبدالمطلب؟
- 2- ماذا أرسلت زينب بنت النبي - صلى الله عليه وسلم - لتقدي زوجها؟
- 3- كيف أسلم عمير بن وهب الجمحي؟
- 4- لماذا غزا النبي - صلى الله عليه وسلم - اليهود بالرغم من المعاهدة بين المسلمين واليهود؟
- 5/ لماذا خاف المنافقون من قيام دولة إسلامية قوية في المدينة؟

2.2 غزوة بني قينقاع

كان من أسبابها أن يهود بني قينقاع (وكانوا يسكنون داخل المدينة)، قد أظهروا الغضب والحسد عندما انتصر المسلمون ببدر، ويظهر ذلك في موقفهم عندما جمعهم الرسول صلى الله عليه وسلم في سوقهم بعد بدر وقال لهم :

«يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً، فقالوا :

«يا محمد لا يغررك من نفسك أنك قتلت نغراً في قريش كانوا أغماراً لا يعرفون القتال، إنك أوقناكنا لعرفت أنا نحن الناس، وإنك لم تلق مثلاً فأُنزل الله :

«قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد، قد كان لكم آية في فتنتين اتقنا فئة تقاثل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في تلك لعبرة لأولى الأبصار (آل عمران، الآيات 12، 13) وهناك سبب ثان لهذه الغزوة، وهو أن امرأة مسلمة قدمت إلى سوق بني قينقاع لتبيع بعض أقرانها، وجلست إلى صائغ يهودي فعمد الصائغ وربط طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، وهي غافلة فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا عليها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، فتواثب عليه اليهود فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فغضب المسلمون،

ووقع الشر بينهم وبين بني قينقاع .

وهنا نفذ صبر النبي - صلى الله عليه وسلم - على هؤلاء، فأمر بالمسير إليهم وسلم
الراية إلى حمزة بن عبدالمطلب، وسار بجنود الله إلى بني قينقاع، ولما رأوه تحصنوا في
حصونهم، فحاصروهم أشد الحصار وكان ذلك في ليلة النصف من شوال سنة ٥٢هـ، ودام
الحصار خمس عشرة ليلة وقذف الله في قلوبهم الرعب، فنزلوا على حكم رسول الله صلى
الله عليه وسلم في رقابهم وأموالهم ونسائهم وذريتهم، فأمر بهم فكتفوا .

ثم كلمه فيهم حليقهم ابن سلول، وألح في ذلك قائلاً : «أربعمئة حاسر وثلاثمئة دارع
منعوني من الأحمر والأسود، وتحصدهم في غداة واحدة؟» فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : هم لك، وأمر بهم أن يجلوا عن المدينة، فخرجوا إلى أذرع بالشم. ونفذ ذلك الأمر
عبادة بن الصامت وقبض الأموال وقسمها بعد أن أخرج منها محمد بن مسلمة الخمس (ابن
مشام، السيرة النبوية، ج 3، ص 70) .

الدروس المستفادة

1- أن اليهود ليسوا بجديرين بحفظ العهود والمواثيق، فإذا خانوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم، فماذا يرجوا منهم المسلمون اليوم؟ وقد تضاعف حقدهم على الإسلام والمسلمين
بعد قيام الصهيونية التي تشكل الواجهة السياسية لإسرائيل واستيلائهم على بيت
المقدس وفلسطين .

2- إن معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم لعبائمه بن أبي بن سلول يدل على أن المنافق
يعامل في الدنيا من قبل المسلمين على أنه مسلم ويقول الله باطنه يوم القيامة، والحكمة
من ذلك أن تظل العدالة بين الناس في مأمن من الدلاعب، إذ ربما اتخذ بعض الحكام من
حجية الأدلة الوجدانية والاستنتاجية وأخذها ذريعة إلى الإضرار ببعض الناس بدون
وجه حق .

3- لا يجوز لأي مسلم أن يتخذ غير المسلم ولياً له، إلا في حالة شدة الضعف التي قد تحملهم كرهاً إلى ذلك، حيث قال تعالى: «لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة...» (آل عمران، الآية 28).
 * إن النهي عن موالاته غير المسلمين لا يعني الأمر بالحد عليهم، فالمسلم منهي عن أن يحد على أحد من الناس، وينبغي أن يعلم أن هناك فرقاً كبيراً بين أن يغضب الإنسان على أحد لله تعالى، وبين أن يحد عليه (البوطي، فقه السيرة، ص 172).

تدريب (8)

ذكر المؤرخون سببين لغزوة بني قينقاع، اذكرهما ومن ثم وضح كيف تمت الغزوة.



3.2 غزوة أحد

أولاً: الأحوال قبل المعركة

على أثر غزوة بدر اتفقت قريش على أن تقوم بحرب شاملة ضد المسلمين تشفى غيظها وتروي غلة حقدتها، وأخذت في الاستعداد لخوض معركة فاصلة، وكان عكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وأبو سفيان بن حرب وعبدالله بن أبي ربيعة أكثر زعماء قريش تحمساً ونشاطاً لخوض المعركة فقرروا، احتجاز العير التي نجا بها أبو سفيان واستغلال أموالها في الحرب، فباعوها بخمسين ألف دينار، وفي ذلك أنزل الله تعالى:
 «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتْلِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصْدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَفْزِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلِبُونَ (الأنفال، الآية 36).
 ثم أغرت قريش الشعراء لتأليب القبائل مثل الأحابيش وكنانة وأهل تهامة، وكان في

مقدمة الشعراء أبو عزة الذي أسر في بدر فأطلقه الرسول صلى الله عليه وسلم صراحة بعد أن تعهد ألا يقوم ضده، ولكن قريشاً أغرتة بالمال، وحينما استكملت قريش عدتها خرجت في جيش كبير قوامه ثلاثة آلاف رجل وخمس عشرة امرأة لتحسيس الرجال على القتال، وكان معهم مائتا فرس وسبعمئة درع يقودهم أبو سفيان بن حرب للقيادة العامة وخالد بن الوليد لقيادة الفرسان يعاونه عكرمة بن أبي جهل، وأعطى اللواء لبني عبد الدار وسار الجيش المكي حتى نزل على واد بالقرب من جبل أحد.

فلما بلغ الأمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة عمه العباس، جمع قادة المهاجرين والأنصار وشاورهم. وأعلن حالة الطوارئ في كل أنحاء المدينة، وبعد تداول الأمر رأى النبي صلى الله عليه وسلم ألا يخرج المسلمون من المدينة وأن يتحصنوا بها، ويقاثلوا دونها، ووافق على هذا الرأي عبدالله بن أبي سلول - رأس المنافقين - وكان قد حضر المجلس بصفتة أحد زعماء الخزرج، ولكن هناك جماعة من الصحابة ممن فاتهم القتال يوم بدر وكانوا متحمسين للقتال أشاروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم بالخروج، وألحوا عليه في ذلك، فنزل النبي صلى الله عليه وسلم عند رأيهم، ثم دخل بيته وأبصر درعه وتقلد سيفه، وكان هؤلاء المتحمسون قد شعروا وكأنهم أكرموا النبي صلى الله عليه وسلم على الخروج، فقدموا على ما صنعوا، وعندما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من بيته، قالوا له: يا رسول الله ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما شئت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما ينبغي لنبي إذا لبس لامته (درعه) أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه».

ثم قسم النبي صلى الله عليه وسلم جيشه إلى ثلاث كتائب: فأعطى اللواء المهاجرين لمصعب بن عمير، ولواء الخزرج للحباب بن المنذر، ولواء الأوس لأسيد بن حضير، وقد وصل عدد الجيش إلى ألف مقاتل، فيهم مائة دارع، ولم يكن فيهم فارس، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، وأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستعين باليهود، وقال: «لا أستعين بأهل الكفر على أهل الشرك». ثم خرج يقود جيشه، وعندما اقترب من العدو، ومما تمرد عبدالله بن أبي المنافق، وانسحب نحو ثلث الجيش، حوالي ثلاثمائة مقاتل، وقال: «علام نقتل أنفسنا؟»

ومتظاهراً بالاحتجاج بأن الرسول صلى الله عليه وسلم ترك رايه وأطاع غيره، ولكن السبب الحقيقي وراء هذا التخاذل في هذا الطرف العصيب، هو أن يحدث البلبلة والاضطراب في جيش المسلمين أمام أعدائهم، وبالتالي ينهار الجيش الإسلامي ويقضى عليهم، ومن ثم يظفر هو بما كان يخطط له وهو رئاسة المدينة وقولى زعامتها، فأنزل الله تعالى في شأن هؤلاء المنافقين قوله : «وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم هم للكفر يوسئ أقرب منهم للإيمان، يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون (آل عمران، الآية 161).

فسار النبي صلى الله عليه وسلم ببقية الجيش حتى نزل الشعب من جبل أحد، فحضر بجيشه مستقبلاً للمدينة، وجاءلاً ظهره إلى مضارب جبل أحد، وهنا عبا رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشه وهياهم للقتال، واختار الرماة بقيادة عبدالله بن جبير الانصاري، وقوامهم خمسون مقاتلاً، وأمرهم بالتمركز على الجبل وعدم مغادرته إلا بأمر منه، وذلك لحماية ظهر المسلمين، وقال لهم : «احموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشاركونا. أما بقية الجيش فقد جعل على الميمنة المختار بن عمرو، وجعل على اليسرة الزبير بن العوام يسانده المقداد بن الأسود، وجعل في مقدمة الصفوف نخبة ممتازة من شجعان المسلمين .

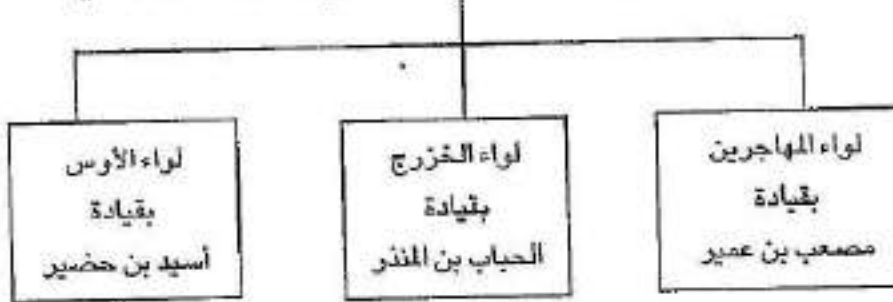
أسئلة تقويم ذاتي

- 1- اذكر الآية التي نزلت عندما باع أهل قريش تجارتهم لاستغلال أموالها في العدة لحاربة النبي صلى الله عليه وسلم؟
- 2- كيف علم النبي - صلى الله عليه وسلم - بنجس جيش قريش عند وادي بجبل أحد؟
- 3- هل كان رأي النبي - صلى الله عليه وسلم - هو الخروج لقتال قريش خارج المدينة؟
- 4- لماذا تمرد عبدالله بن أمي ساول وانسحب من جيش المسلمين؟
- 5- من هو قائد الرماة في معركة أحد؟ وكم عددهم؟



شكل (4)

كتائب المسلمين في معركة أحد كما قسمها النبي (صلى الله عليه وسلم)



ثانياً : المعركة

وبدأ القتال بمبارزة بين علي وطلحة بن عثمان حامل لواء المشركين، فقتل علي طلحة، ثم التحم الجيوشان واشتد القتال، واستبسل المسلمون حتى تمكنوا من دحر المشركين إلى معسكرهم، وأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم في زيادة رفع روحهم المعنوية بأن أخذ سيفاً وقال : «من يأخذ مني هذا؟» فبسطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول : أنا أنا، قال : من يأخذه بحقه؟ فأحجم القوم، فقال أبو دجانة : وما حقه يا رسول الله؟ قال : أن تضرب به العدو حتى ينحني، قال : أنا أخذه بحقه، فأخذه بحقه، فلما أخذ يتبخر بين الصفيين، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : «إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن». (صحيح البخاري، 2/583). وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد : أمت أمت، فقد استماتوا تحت هذا الشعار، وسجل لهم التاريخ بطولات عظيمة لم يشهد لها الناس مثيلاً : فقد أمعن أبو دجانة الطعن في صفوف المشركين وكان لا يلقى مشركاً إلا قتله، وهو يرتجز قائلاً :

أنا الذي عاهدني خليلي	ونحن بالسفح لدى النخيل
ألا أقوم الدهر في الكيول	أضرب بسيف الله والرسول

وقتل حمزة بن عبدالمطلب قتال الليث الضاربة، فقد شارك في قتل حاملي لواء المشركين، وكانوا أكثر من عشرة رجال من بني عبدالدار، واندفع إلى قلب جيش المشركين وقتل الكثير من أبطال المشركين حتى قتل غدرًا، فقد كمن له وحشي بن حرب، وكان غلامًا لجبير بن مطعم، وكان عمه طعيمة بن عدي قد قتل يوم بدر، فوعد وحشي إن هو قتل حمزة عم محمد قسيهتقه، فنفذ الرجل الأمر بدقة، وقتل أسد الله بحريته، ومثل به حيث أخذ كبده وذمب بها إلى هند بنت عتبة فأخذتها ولاكتها في قمها ثم لفظتها تشفيًا من حمزة الذي قتل أباه يوم بدر. (ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، ص 70)

وقاتل مصعب بن عمير حتى استشهد وهو مقطع الأوصال دون لواء المسلمين وقاتل أبو بكر وعمر والزبير وعلي وسعد بن معاذ وسعد بن عباد... وغيرهم من الأنصار والمهاجرين حتى انكسرت شوكة المشركين وأخذت صفوفهم تتبدد عن اليمين والشمال والامام والخلف وسقط لوائها ولم يجدوا من يحمله من آل عبدالدار، ولجأوا إلى الفرار، وهكذا كسب المسلمون هذه الجولة الأولى من الحرب.

ولكن فجأة تغير الموقف، وكان السبب المباشر في ذلك هو الخطأ الذي ارتكبه غالبية الرماة، بأن خالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وتركوا مواقعهم عندما رأوا فرار قريش من أرض المعركة، وأن الناس بدأوا في جمع الغنائم، فغرم ذلك، ونزلوا يجمعون الغنائم على الرغم من أن قائدهم ابن جبير نهامهم عن ذلك وذكرهم بأوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً: أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فبقيت معه فئة قليلة لا تتجاوز عشرة أفراد، وحينما اكتشف خالد بن الوليد هذه الثغرة استدرك خلف جيش المسلمين، وقتل ابن جبير وأصحابه، وهجم على المسلمين من الخلف وصاح صيحة استجاب لها قلوب المشركين المنهزمة فعادوا لمساحة القتال، ورفعت امرأة تدعى عمرة بنت علقمة الحارثية لواء المشركين، وصاحت نساء المشركين تشجعنهم على العودة إلى القتال فعادوا، ووقع المسلمون بين شقي الرمح، وهكذا انقلب ميزان الحرب لصالح المشركين، وتعرض المسلمون لامتحان عسير.



1 / اكمل ما يأتي من استعداد قريش لمعركة أحد

(أ) عدد الرجال

(ب) عدد النساء

(ج) عدد الخيل

(د) عدد الدروع

2 / اكمل ما يأتي من تقسيم النبي - صلى الله عليه وسلم - لجيشه في معركة أحد

(أ) لواء المهاجرين بقيادة

(ب) لواء الخزرج بقيادة

(ج) لواء الأوس بقيادة

(د) عدد الجيش

(هـ) عدد الدروع

وهناك سبب ثان أدى إلى إرباك المسلمين في الحرب، وهو تلك الإشاعة القوية التي أطلقها المشركون بأن محمداً قد قتل، فاضطرب جيش المسلمين، فقاتل بعضهم : غلام نقاتل وقد قتل الرسول صلى الله عليه وسلم، فانهزم وجلس آخرون دون قتال لا يعرفون ماذا يفعلون، وتصدى آخرون للمشركين وحرضوا المؤمنين على القتال حتى نالوا الشهادة ومن هؤلاء أنس بن النضر الذي قال : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع هؤلاء، يعني أصحابه، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء، يعني المشركين، ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال يا سعد : الجنة ورب النصر إني أجد ريحها من دون أحد، فقاتل حتى قتل، وعندما انجلت المعركة وجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة ورمية وطعنة، ولم يعرفه أحد إلا اخته الربيع بنت معوذة عرفته ببنايه، فنزلت فيه وفي أمثاله من المجاهدين الصادقين : «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا

الله عليه فممنهم من قضى نحبه وممنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً (الأحزاب، الآية 23).

وهذا تجلت شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم، فقد بقي في أرض المعركة وهو ينادي أصحابه الفارين: (إلى عباد الله، ولكنهم لا يلبون على شيء، فنزل فيهم قول الله تعالى: «إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حلِيم» (آل عمران، الآية 155).

وتسكن بعض المشركين من الوصول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يبق معه سوى سبعة رجال من الأنصار ورجلان من قريش، فدافع الأنصار عنه حتى استشهد السبعة. وممن سجل لهم التاريخ مواقف عظيمة في الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: طلحة بن عبيد الله حتى شلت يده التي وقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسعد بن أبي وقاص، وأبو دجانة الذي كان يحمي رسول الله بظهره حتى كثر النبل فيه وهو منحن عليه، وقتادة بن النعمان حتى خلعت عينه فوقعت في وجنتيه فرددتها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت أحسن من الأخرى. وقد شاركت أم عمارة نسيية بثث كعب المازنية في الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى جرحها ابن قمئة على عاتقها.

وعلى الرغم من كل تلك الدفاعات فقد قاوم رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاومة شرسة فأصيب إصابات كثيرة، فكسرت رباعيته وشج في وجهه وسال دمه، فجعل يمسحه ويقول: «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعهم إلى الإسلام؟».

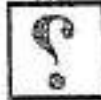
وفجأة أقبل عليه أبي بن خلف الجمحي، وكان قد أقسم على أن يقتل النبي صلى الله عليه وسلم، وأيقن أن الفرصة مواتية، فجاء يقول: يا كذاب أين تفر، وحمل على الرسول بسيفه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أنا قاتله إن شاء الله، فأخذ حربة وطعنه في جيب درعه طعنة وقع منها يخور خوار الثور فمات في يومه. (ابن كثير، البداية والنهاية، ج 4، ص 22).

وهكذا صمد المسلمون واستماتوا دفاعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفشل المشركون في محاولاتهم الاختراق إليه، وأعييتهم المجالدة، وأخذ المسلمون يتجمعون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتجه عزم الرسول إلى بذل كل جهد ممكن في سبيل

مقاومة قريش حتى لا تظفر بشيء غنيمة باردة، بل حتى تنقل بها مغارمها فلا تطلع في مزيد من إيذاء المسلمين، وهذه الطائفة التي وقفت مع رسول الله قد أنزل الله عليهم نعاساً فناموا قليلاً ثم أفاقوا وقد قذف الله في قلوبهم الطمأنينة التي أعادت لهم بعض نشاطهم ليواصلوا الحرب مع نبيهم، وفي ذلك نزل قول الله تعالى:

«ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة نعاساً يغشى طائفة منكم...» (الأنفال، الآية 7)

أسئلة تقويم ذاتي



- 1- بمانا أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - المرأة في معركة أحد؟
- 2- كيف بدأ القتال في معركة أحد؟
- 3- لمن كان النصر في بداية المعركة؟
- 4- لماذا تحول نصر المسلمين إلى هزيمة في معركة أحد؟
- 5- اذكر الآية التي نزلت في المسلمين الفارين من معركة أحد؟
- 6- صف إصابات النبي - صلى الله عليه وسلم - في معركة أحد.
- 7- من هو الذي وصف النبي - صلى الله عليه وسلم - بالكتاب وحاول قتله في هذه المعركة؟

أما طائفة المنافقين، سواء التي انسحبت مع ابن سلول أو فلولهم التي سارت مع المؤمنين، فقد قال الله عنهم في الآية نفسها: «وطائفة أمتعهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية، يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا (آل عمران، الآية 154)».

ولم تكن قريش أقل من المسلمين معاناة لأهوال ذلك اليوم العصيب، فقد تلقت ضربات موجعة في الجولة الأولى ولم تستطع حسم المعركة، فاكثفت بما خلفت بالإياب، وحينما أعلنت قريش الرحيل، ظن المسلمون أنها تريد المدينة، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً بن أبي طالب وقال له: اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون؟ فإن هم جنبوا الخيل واستطوا

الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة، فز الذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم ثم لاناجزنهم فيها».

قال علي: فخرجت في آثار القوم فرأيتهم جنبوا الخيل واستطوا الإبل واتجهوا إلى مكة. وقيل إن أبا سفيان قد صعد الجبل وصاح في المسلمين، يوم يقوم بدر والحرب سجال، فأجابه عمر: لاسواء قتلانا في الجنة وقتلاككم في النار.

فقال أبو سفيان: هلم إلي يا عمر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انته وانظر ما شأنه» فقال أبو سفيان، أشدك الله يا عمر: أقتلنا محمداً؟ قال عمر: اللهم لا، وإنه ليسمع كلامك الآن قال: أنت أصدق عندي من ابن قميئة وأبر.

ولما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى: إن موعدكم بدر العام القابل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه: «قل: نعم، هو بينا وبينك موعد (ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، ص 94)».

شكل (5)

بعض شهداء المسلمين في معركة أحد

حمزة بن عبد المطلب	مصعب بن عمير	ابن جبير	أنس بن النضر
--------------------	--------------	----------	--------------

وانجلت المعركة عن سبعين شهيداً من المسلمين وأثنين وعشرين قتيلاً من المشركين. وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمس حمزة فوجده ببطن الوادي قد يقر بطنه، ومثل به، فجدع أنفه وأذناه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى ما به: «لولا أن تحزن صغية ويكون سنة من بعدي لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بسبعين رجلاً منهم، فحزن الصحابة على حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: والله لئن أظفرننا الله بهم يوماً من الدهر لنمثلن بهم مثله لم يمثلها أحد من العرب، فنزل قول الله تعالى:



وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين (النحل، الآية 126).
 نفعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر ونهى عن المثلة. ثم أمر رسول الله صلى
 الله عليه وسلم بالقتلى فجمعوا، ثم قال لصحابته استقوا حتى أثنى على ربي عز وجل،
 فصاروا خلفه صفوفًا، فصلى عليهم ثم دعا ربه دعاءً مطولاً، ثم أمر بهم فدفنوا، ثم انصرف
 راجعاً إلى المدينة، وكان ذلك في مساء يوم السبت السابع من شهر شوال سنة ٢ هـ.

تدريب (10)

تجلت في معركة أحد للمسلمين حقيقة تتدلق بالنبى - صلى الله
 عليه وسلم - ، عزيزي الدرس ما هي هذه الحقيقة وكيف أكد عليها
 القرآن الكريم.



الدروس المستفادة

تتطوي غزوة أحد على دروس بالغة الأهمية للمسلمين في كل عصر، وكان الحكمة من
 وقوعها على الشكل الذي وضعناه أن يتكون منها درس تطبيقي عملي، يعلم المسلمين كيفية
 البلوغ إلى النصر في معاركهم مع العدو، وكيفية التحرز من مزالق الغش والهزيمة، فلننق
 على هذه الدروس العظيمة، ولنتأمل منها :

١- تجلى مبدأ الشورى مع الحزم في هذه المعركة، فيلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم
 عندما نزل على رأي أصحابه الداعين للخروج ولبس لامة الحرب وخرج إليهم لم يتراجع
 بعد ذلك عن قرار الخروج رغم ندمهم واعتقادهم بأنهم ربما أكرموه على الخروج، ثم
 تركوا الأمر إليه، ولكنه قال لهم : ما ينبغي لنبي لبس لامة أن يضعها حتى يقاتل
 وبالتالي فإن مبدأ التشاور خاصة في الأمور الحربية يحتاج أيضاً إلى حزم وعزم، لأن ما
 يترتب على التراجع بعد اتخاذ القرار والتجهيز ربما يؤدي إلى أضرار كبرى في بنية
 المجتمع المسلم.

2- برز مشهود المناققين في هذه المعركة، وذلك لحكم ومقاصد، من أهمها تمحيص المؤمنين من اخلاطهم من المنافقين في هذه المرحلة المبكرة من قيام الدولة الإسلامية حتى لا يتغلغلوا في جسم الدولة وينضرونها من الداخل، وبالتالي يكون مستقبلها مظلماً، ولهذا فقد كشفهم الله، حيث كان ابن سلول لا ينوي القتال، وإنما يريد تخذيل المسلمين، وأخذ الغنيمة بدون قتال.

3- رغم قلة عدد جيش المسلمين مقارنة بجيش المشركين، إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقبل للأطفال في سن الخامسة عشرة بالاشتراك في الحرب، وهو أمر يناقض ما ذهب إليه بعض محترفي الغزو الفكري الذين يذهبون في تحليلهم بأن العرب كانوا أمة تعيش في ظل الحروب والغزوات الدائمة، فكانوا ينشأون في أجوائها وظروفها ولذلك كانوا ينظرون إليها (شياً وشباباً وأطفالاً) نظرة طبيعية لا تسبب لهم قدراً بالغاً من المخاوف والشك، الغريب أن هؤلاء المستشرقين ينتقدون الطرف الإسلامي فقط، فلا نراهم يتحدثون عن المنافقين من أمثال ابن أبي وأصحابه، أو عن المشركين الذين جاءوا بقتل الجيوش الضخمة، ولكنهم هزموا في بدر شر هزيمة على الرغم من قلة جيش المسلمين، وهم العرب أنفسهم الذين نشأوا في ظلال الحروب ورضعوا البانها واستهانوا بصعابها.

4- بينت هذه المعركة أن المؤمن مهما عظمت صلته بالله فلا ينبغي أن يغتر، أو يحسب الدنيا دانت له، أو يظن قوانينها الثابتة طوع يديه، كلا فالحذر البالغ والعمل الدائم هما عدة المسلم لبلوغ أهدافه المرسومة، ويوم أن يعتقد المسلم أن الأيام كلها كتبت له، وأن أمجاد الدارين تقال دون بذل النكاليف الباهظة، فقد سار في طريق الفشل الذريع (الغزالي، فقه السيرة، ص 266).

«إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله، وتلك الأيام تداولها بين الناس» (آل عمران، الآية 140).

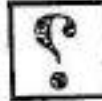
5- كان وقع الموت على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شديداً وهم يحمونه بأجسادهم وأرواحهم من نبال المشركين وضرباتهم حتى سقط الكثيرون قتلى فداء

لرسول الله صلى الله عليه وسلم، كل ذلك جاء نتيجة لشيء واحد وهو محبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالؤمن الحق لا يكفيه إيمان العقيدة فحسب حتى يمتلئ قلبه بمحبة الله ورسوله أيضاً ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» .

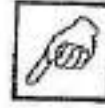
هذه المحبة هي التي جعلت تلك المشاهد البطولية تتكرر في أحد، روى ابن هشام أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: «من رجل ينظر ما فعل سعد بن الربيع في الأحياء هو أم في الأموات، فقام رجل من الأنصار فنظر، فإذا هو جريح في القتلى وبه رمق، فقال له: إن رسول الله أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات؟ قال: أنا في الأموات، فأبلغ رسول الله عني السلام وقل له: إن سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته، وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم صلى الله عليه وسلم وفيكم عين تطرف، قال الأنصاري فلم أبرح حتى مات .

ويوم تمتلئ أفئدة المسلمين في عصرنا هذا بنحو هذه المحبة بحيث تبعدهم قليلاً عن شهواتهم وأنا نيتهم وتتغلب عليها فيأثمهم يصبحون خلقاً آخر جديداً، وسيغلبون على أعدائهم وسينتزعون انتصارهم من بين شذقي الموت مهما كانت العقبات والسدود (البوطي، فقه السيرة، ص 182) .

أسئلة تقويم ذاتي



- 1- كم كان عدد قتلى المشركين في معركة أحد؟
- 2- كم كان عدد شهداء المسلمين في معركة أحد؟
- 3- بماذا توعد النبي - صلى الله عليه وسلم - قريشاً عندما وقف عند جنة حمزة؟
- 4- ما هي الآية التي نزلت على النبي - صلى الله عليه وسلم - وتنهى عن التمثيل بللوتى؟



عزيزي الدارس، اكتب مقالة تناقش وتقارن فيه مجريات الأحداث في معركتي بدر وأحد، ومن ثم وضح رأيك وأعرض ذلك على مشرفك الأكاديمي.

4.2 الغزوات بين أحدوا الأحراب

كان لمعركة أحد آثار سلبية على موقف المسلمين في المدينة، فقد زالت هيبتهم عن النفوس وضعفوا أمام أعدائهم، وزادت المتاعب الداخلية والخارجية على المؤمنين ولما طالت الاخطار بالمدينة من كل جانب، وكاشف اليهود والمنافقون والأعراب بالعداء السافر، وهمت كل طائفة منهم أن تتال من المسلمين، بل ظمعت في أن تقضي عليهم وتستأصل شأفتهم.

ولكن حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم، وصبر المسلمين على المصائب، وإيمانهم بأن ذلك جزءاً من رسالتهم، فقد استطاعوا أن يتصدوا إلى كل تلك التيارات، وأن يهزموها الواحدة تلو الأخرى، وأن يستعيدوا هيبتهم، ويكسبوا العلو والمجد من جديد.

❖ وكان أول من قام ضد المسلمين بعد أحد هم بنو أسد بن خزيمه، فقد وصلت الأخبار إلى المدينة أن طلحة وسلمة ابني خويلد قد سارا في قومهما ومن أطاعهما إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسارع الرسول صلى الله عليه وسلم وبعث سرية قوامها مائة وخمسون مقاتلاً، وأمر عليهم أبا سلمة، وباغت أبو سلمة بني أسد في ديارهم فقتلتوا في البوادي، وغنم المسلمون منهم إبلاً وغنماً فاستاقوها وعادوا إلى المدينة سالمين غانمين، وكان ذلك في المحرم من سنة ٤ هـ، ونفر على أبي سلمة جرحه الذي أصابه في أحد، فمات في حياته (صحيح البخاري، 2 / 568).

❖ وفي نفس الشهر والحام جاءت الأخبار إلى المدينة بأن خالد بن سفيان الهذلي يحشد الجموع لحرب المسلمين، فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم عبدالله بن أنيس فقتله،

وجاء برأسه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأعطاه عصاً وقال له : «هذه آية بيني وبينك يوم القيامة». فلما حضرته الوفاة أمر بأن تجعل معه في أكفانه.

وفي السنة نفسها أيضاً قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من عضل والقارة، وذكروا أن فيهم إسلاماً وطلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يثبت معهم من يعلمهم ويقرئهم القرآن، فبعث معهم الرسول صلى الله عليه وسلم نفراً من أصحابه، وفيهم : مرثد بن أبي مرثد، وخالد بن البكير، وعاصم بن ثابت، وخبيب بن عدي، وزيد بن الدثنة، وعبدالله بن طارق، وأمر عليهم عاصم بن ثابت، فلما كانوا بالوجهي - ماء لهذيل، بين رابغ وجده - استصرخوا عليهم حياً من هذيل يقال لهم : بنو لحيان فتبعوهم بحوالي مائة رام، واقتصروا آثارهم حتى لحقوهم. فأحاطوا بهم، وكانوا قد لجأوا إلى مكان مرتفع، وقالوا : لكم العهد والميثاق، إن نزلتم إلينا ألا نقتل فيكم رجلاً، فأما عاصم فأبى النزول وقاتلهم ومعه سبعة فقتلوا جميعاً، وبقي خبيب وزيد بن الدثنة فأعطوهما العهد والميثاق فنزلا، فقبضوا عليهما وساقوهما إلى مكة فباعوهما، فاشترى خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب قد قتل الحارث بن عامر يوم بدر، فسجنوه مدة ثم أجمعوا على قتله، فخرجوا به من الحرم ليقتلوه فقال : دعوني أصل ركعتين ثم ذهب إليهم فقال : لولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لزدت، ثم قال : اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بئداً ولا تبق فيهم أحداً، ثم قال :

ولست أبالي حين أقتل مسلماً	على أي شق كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ	يبسرك على أوصال شلو ممزج

ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله .

وقال حسان بن ثابت شعراً رائعاً في رثاء خبيب ورفقائه الكرام، وذلك مثل قوله :

ما بال عينيك لا ترقى مدامعها	سحا على الصدر مثل اللؤلؤ القلق
على خبيب فتى الفتيان قد علموا	لا فشسل، حين تلقاه ولا نسرق

إلى أن يقول :

يا عين جودي بدمع متسكب وابكي	خبياً فتى الفتيان لم يؤب
صقراً توسط في الانصار منصبه	سمح السجية محضاً غير مؤتسب
قد هاج عيني على علات عبرتها	إذا قيل نص إلى جذع من الخشب

لما زيد بن الدثنة فاشتراه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف الذي قتل يوم بدر، فغنىما أخرجه من الحرم إلى التتعيم ليقتلوه، لاجتماع رمل قريش فيهم أبو سفيان فقال له أبو سفيان: «أنشدك الله يا زيد، أحب أن محمداً هتدنا الآن في مكانك نضرب عنقه وإنك في أمك؟ قال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإنني جالس في أهلي، فقال أبو سفيان: «ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً، ثم قتله نسطاس مولى صفوان».

وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده ليعرفوه، وكان عاصم قد قتل عظماءهم يوم بدر، فبعث الله على جثته ظلة من الزنابير فحمتهم من رسلهم، فلم يقدروا منه على شيء، وكان عمر لما بلغه خبره يقول: «يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما يحفظه في حياته». (ابن هشام، السيرة النبوية، ج2، ص169).

وفي السنة نفسها والشهر نفسه وقعت حادثة بئر معونة، وملخصها: أن أبا براء عامر بن مالك المدعو بملاعب الأستة، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فدعاه إلى الإسلام فلم يسلم ولم يبعد، فقال: يا رسول الله، لو بعثت أصحابك إلى أهل نجد يدعوهم إلى دينك لرجوت أن يجيبوهم، فقال: «إني أخاف عليهم أهل نجد».

فقال أبو براء: أنا جار لهم، فبعث معه سبعين رجلاً وأمر عليهم المنذر بن عمرو، وكانوا من خيار المسلمين وساداتهم وقرائهم، فساروا يحتطون بالنهار ليشتروا طعامهم ويتكاسون ويصلون في الليل حتى نزلوا بئر معونة، بحرة بني سليم، ثم بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمرو بن الطفيل، فلم ينظر فيه، وأمر رجلاً قطعن حراماً من الخلف فأنفذه، فقال حرام: الله أكبر، فزت ورب الكعبة.

ثم استنفر عمرو بن لفره بني عامر إلى قتال الباقيين، فلم يجيبوه لأجل جوار أبي براء، فاستنفر بني سليم فأجابته، ومن بطونها التي أجابته: عصابة ورعل وذكوان، فجاءوا واحاطوا بأصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم، فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم إلا كعب بن زيد فإنه جرح ورفع ضمن القتل، فعاش حتى قتل يوم الخندق.

وكان عمرو بن أمية الضمري والمغيرة بن عقبة بن عامر في سرح المسلمين فتأخرا عنهم وعندما رأيا الطير تحوم في موقع الحادثة، نزل المغيرة وقاتل حتى قتل، وأسر عمرو بن أمية، فلما أخبر أنه من مضر جز عامر ناصيته، واعتقه عن رقة كانت لأمه، ورجع عمرو إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليخبره بالمصاب الفادح، وحينما كان عمرو في طريقه إلى المدينة نزل في ظل شجرة، وجاء رجلان من بني كلاب فنزلا معه، فلما ناما فتت بهما عمرو وهو يرى أنه قد أصاب ثار أصحابه، وإذا بهما عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلم به، فلما قدم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما فعل، فقال: «لقد قتلت قتيلين لا بينهما». وشرع في جمع الدية لهما، فاستعان باليهود، فحاولوا قتله، معاً كان سبباً في غزوة بني النضير.

وقد تألم النبي صلى الله عليه وسلم لهاتين المفاجعتين، الرجيع وبذر معونة، فقد قتلت كوكبة نيرة من أصحابه غدرًا وخيانة، حتى بدا عليه الحزن والقلق، فدعا على هذه القبائل التي قتلت أصحابه، فظل يدعو ثلاثين صباحاً في صلاة الفجر على رعل وذكوان والحيان وعصية، ويقول: عصية عصمت الله ورسوله).

شكل رقم (6)

الثورات التي أسكتها المسلمون بين غزوتي أحد والأحزاب

ثورة بني أسد بن خزيمة	ثورة خالد بن سفيان الخزري	ثورة أهل نجد (حادثة بئر معونة)
-----------------------	---------------------------	--------------------------------



اكمل ما يأتي:

1 / بعد معركة أحد سار بنو إلى حرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، إلا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - بعث إليهم بسرية قوامها مقاتلاً تحت إمرة ومهاجم بني في ديارهم.

2 / عند رجوع عمرو بن أمية من معركة بئر معونة قُتل في شجرة وجاء رجالان من ففُزلا معه فلما ظمأ بها ، إلا أنه اكتشف أنهما يحملان وعندما وصل إلى النبي أخبره بذلك ، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - وشرع في جمع

5.2 غزوة بني النضير

كان اليهود قبل معركة أحد يحاربون الإسلام سرّاً، فيحيكون المؤامرات لإيذاء المسلمين، مع ما كان بينهم وبين المسلمين من عهود ومواثيق، وكانت وقعة بني قينقاع وقتل كعب بن الأشرف رادعاً لهم فسكتوا، ولكنهم بعد وقعة أحد تجرأوا وجاهرُوا بالعداوة والغدر وأخذوا يتصلون بالمشرّكين من أهل مكة سرّاً للعمل ضد المسلمين، فصبر النبي صلى الله عليه وسلم، فلما كانت الرجيع وبئر معونة تأمروا على قتل النبي صلى الله عليه وسلم .

وتفصيل ذلك، أنه صلى الله عليه وسلم خرج إليهم في نفر من أصحابه وكلمهم أن يعينوه في دية الكلابيين اللذين قتلتهما عمرو بن أمية الضمري، وذلك حسب بنود المعاهدة بينهم، فقالوا : تفعل يا أبا القاسم، اجلس هاهنا حتى نقضي حاجتك، فجلس إلى جنب جدار من بيوتهم ينتظر وفاءهم، وجلس معه أبو بكر وعمر وعلي ومائقة من أصحابه، وخلا اليهود بعضهم إلى بعض، وسول لهم الشيطان الشقاء الذي كتب عليهم، فتأمروا بقتله صلى الله عليه وسلم وقالوا : أيكم يأخذ هذه الرخي ويصعد فيلقئها على رأسه يشنخه بها؟ فقال أشقاهم

عمرو بن جحاش : أنا، فقال لهم سلام بن مشكم : لا تفعلوا، فوالله ليخبرن بما هممتن به، وإنه لنقض العهد الذي بيننا وبينه ولكنهم عزموا على تنفيذ خطتهم .
ونزل جبريل من عند رب العالمين على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما هموا به، فنفض مسرعاً وتوجه إلى المدينة، ولحقه أصحابه فقالوا : نهضت ولم تشعر بك، فأخبرهم بما هممت به يهود، وما لبث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بعث محمد بن مسلمة إلى بني النضير يقول لهم : «أخرجوا من المدينة ولا تساكنوني بها، وقد آجلتكم عشراً، فمن وجد بعد ذلك بها ضربت عنقه، فلما تجهزوا للخروج بعث إليهم رئيس المنافقين عبدالله بن أبي أن أثبتوا وتمنعوا، ولا تخرجوا من دياركم، فإن معي ألفين يدخلون معكم حصنكم فيموتون بونكم، لأن أخرجكم لتخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم، وننصرنكم قريظة وحلفائكم من غطفان، وهنا عادت لليهود ثقتهن، وطمع رئيسهم حيي بن أخطب في حديث عبدالله بن أبي، فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إنا لا نخرج من ديارنا، فاصنع ما بدا لك».

فلما بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم جواب حيي بن أخطب، كبر وكبر أصحابه ثم نهض لمناجزة القوم، فاستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وأعطى اللواء لعلي بن أبي طالب، فلما وصلهم قرض عليهم الحصار، والتجأ بنو النضير إلى حصونهم، فأقاموا عليها يرمون بالنبل والحجارة، وكانت نخيلهم وبساتينهم عوناً لهم في ذلك، فأمر بقطعها وتحريقها، وفي ذلك أنزل الله تعالى :

«ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين» (الحشر، الآية 5) ولم يطل الحصار، فقد دام ست ليال فقط، حتى قذف الله في قلوبهم الرعب، فاندحروا وألقوا السلاح وأرسلوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يقبلهم الخروج من المدينة، فأنذروهم أن يخرجوا عنها بنفوسهم وذراريهم، وأن لهم ما حملت الإبل إلا السلاح، فنزلوا على ذلك وخرّبوا بيوتهم بأيديهم، ليحملوا الأبواب والشبابيك، بل حمل بعضهم الأوتاد وجذوع السقف، ثم حملوا النساء والصبيان في ستمائة بعير، فرحل أكثرهم

ومعهم أكابرهم مثل حبي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق إلى خير، وذهبت طائفة منهم إلى الشام .

وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاح بني النضير واستولى على أرضهم وديارهم وأموالهم، فقسم الأموال على المجاهدين الأولين خاصة، ولم يعط من الأنصار سوى أبي رباح وسهل بن حنيف لفقرهما. وكانت هذه الغزوة في ربيع الأول سنة 4 من الهجرة (ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، ص 210) .

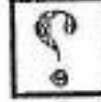
6.2 غزوة بني المصطلق

على الرغم من صغر حجم هذه الغزوة عسكرياً، إلا أن أحداثاً عظيمة حدثت خلالها أدت إلى افتضاح أمر المنافقين وتطهير المجتمع المسلم منهم، كما نزلت أحكام تشريعية أعطت صورة زاهية عن المجتمع الإسلامي تفوح نبالاً وطهارة، تنشدما المجتمعات في كل زمان ومكان .

وقعت هذه الغزوة في شعبان من السنة الخامسة للهجرة وسببها أن زعيم بني المصطلق الحارث بن أبي ضرار، سار في قومه ومن قدر عليه من العرب يريدون حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويعد أن تأكد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الخبر، خرج إليه، مسرعاً وخرج معه جماعة من المنافقين لم يخرجوا في غزوة قبلها، فسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل بماء لهم يسمى المريسيع بالقرب من قديد، فتهيأوا للقتال، وصاف النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه وأعطى راية المهاجرين لأبي بكر الصديق وراية الأنصار لسعد بن عباد، فحمل المسلمون على الأعداء حملة قوية، فانهزموا شر هزيمة، وسبى النبي صلى الله عليه وسلم النساء والذراعي والأعمى والنساء، ولم يقتل من المسلمين سوى رجل واحد، قتله رجل من الأنصار خطأ .

وكان من ضمن السبي جويرة بنت الحارث سيد القوم، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاعتق للمسلمون مائة رجل من قومها لأنهم أصبحوا أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد أسلموا، وقالوا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (ابن القيم، زاد المعاد، ج 2، ص 112) .

أسئلة تقويم ذاتي



- 1- لماذا كان اليهود ليل معركة أحد يحاربون المسلمين سرا؟
- 2- كيف تأمر اليهود على النبي - صلى الله عليه وسلم - عندما ذهب إليهم ليعلنوه في أمر دية قتلي بني كلاب؟
- 3- من الذي أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - بتآمر اليهود لقتله؟
- 4- لماذا بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - محمد بن مسلمة إلى بني النضير؟
- 5- كيف تمكن ابن سلول من تغيير رأي بني النضير؟
- 6- كم دام حصار المسلمين لبني النضير؟
- 7- إلى أين ذهب بنو النضير بعد أن أخرجهم النبي - صلى الله عليه وسلم - من المدينة؟
- 8- متى وقعت غزوة بني المصطلق؟ وما هو سببها؟
- 9- كم كان عدد شهداء المسلمين في غزوة بني المصطلق؟
- 10- من هي التي تزوج بها النبي - صلى الله عليه وسلم - وكانت من سبايا غزوة بني المصطلق؟

وقد خرج في هذه الغزوة جماعة من المنافقين على رأسهم عبدالله بن أبي بن سلول، وقد وقفوا من قبل مواقف خزري كثيرة افتضح أمرهم فيها، حتى أنزل الله في ذلك : «أولا يرون أنهم يغتذرون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يقرّبون ولا هم يذكرون» (التوبة، الآية 126) وعندما خرجوا مع الناس هذه الغزوة أنزل الله تعالى في شأنهم : «لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خيالاً ولأرضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة» (التوبة، الآية 47). وبالفعل فقد ظهر شرهم في موقفين سجلتهما التاريخ في هذه الغزوة .

أولهما : محاولتهم إثارة الفتنة والعصبية بين الأنصار والمهاجرين، وذلك عندما وقع خلاف على الماء بين أحد الأنصار ويدعى سنان بن وبر الجهني، وأحد المهاجرين ويدعى جهجاه الغفاري، وهو غلام لعمر بن الخطاب، فاقتتلا على الماء فصرخ الجهني : يا معشر

الأنصار وصرخ جهجاء : يا معشر المهاجرين فحينما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك : قال «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟ دعوها فإنها منتنة». فسمع بذلك عبدالله بن أبي قتال : ففعلوها؟ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة لنخرجن منها الأذل، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقام عمر فقال : يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، ولكن أذن بالرحيل، فارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ساعة لم يكن يرتحل فيها. فارتحل الناس وذلك حتى يشغلهم بالمسير عن هذا الحدث، فسار بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم حتى أذتهم الشمس، ثم نزل بالناس فناموا بمجرد النزول وبالتالي تلاشى ذلك الحدث، ونزلت سرورة المنافقين في شأن هؤلاء .

أما الحدث الثاني فهو حادثة الإفك، وملخصه : أن عائشة رضي الله عنها قد خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة، فقد وقعت القرعة عليها، وفي طريق العودة، نزل المسلمون للراحة، فخرجت عائشة لقضاء حاجتها فوق عقدها في أثناء ذلك، وعندما عادت إلى المنزل وفقدته رجعت إلى المكان تبحث عنه، فجاء نفر الذين كانوا يرحلون هودجها فظفروها فيه فحملوا الهودج، وكانت صغيرة ضعيفة البنية، فلم يشعروا بفراغه، فلما أصابت عائشة عقدها ورجعت إلى المنزل، وجدت القوم قد رحلوا، فجلست في ذلك المكان ظناً منها أنهم سيفقدونها ويعودون إليها، فمر بها الصحابي الجليل صفوان بن المعطل السامي، وكان آخر القوم تحركاً فلما رآها قال : إنا لله وإنا إليه راجعون، فلعينة رسول الله، فأناخ راحلته لها فركبت، ثم سار بها يقودها حتى قدم بها، وقد نزل الجيش عند الظهيرة، فلما رأى الناس ذلك تكلم كل بشاكلته وما يليق به، فاستغل المنافقون هذه الحالة ونسجوا حولها قصة الإفك، وتولى كبر ذلك عبدالله بن أبي بن سلول، وأغرى بالخوض فيه : مسطح بن أثانة وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش .

وعندما علم النبي صلى الله عليه وسلم بالخبر، اغتم لذلك، وشاور أصحابه فأشار عليه علي بن أبي طالب بخلافها، وأن النساء كثيرات، وأشار عليه آخرون بأن يمسكها ولا يلتفت إلى

كلام الأعداء .

أما عائشة فلم تعلم من ذلك شيئاً، وبعد عودتها مرضت لشهر كامل، واستأذنت الرسول صلى الله عليه وسلم لتمرّض في بيت أبيها، وهناك علمت بخبر الإفك من أم مسطح فأخذت تبكي ولم تكتحل بنوم وهي تنتظر إعلام الله نبيه ببراءتها برؤيا صادقة، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فتشهد وقال : «أما بعد يا عائشة، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيرك الله، وإن كنت ألمت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه، ثم تاب إلى الله تاب الله عليه، وبعد شهر من معاناتها نزل الوحي ببراءتها، فجاءها الرسول صلى الله عليه وسلم مسرعاً وهو يضطك، فقال : يا عائشة أما الله فقد برك ، فأنزل الله بشأن الإفك قوله «إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم» (النور، الآيات 11 - 20) وهكذا برأ الله ساحة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فأنكشف الغم عن الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين جميعاً بالمدينة، واقتضج رأس المنافقين عبدالله بن سلول وأصحابه، ولم يستطع أن يرفع رأسه بعد ذلك، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأهل الإفك، مسطح وحسان وجمعة فجلدوا ثمانين لكل واحد .

تدريب (12)

حاول المنافقون استغلال حادث الإفك للطعن والإيذاء برسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن حكمة الله اقتضت أن تسير الأمور كما قدر لها، حتى نزلت براءة السيدة عائشة . عزيزي الدارس الكتب ملخصاً لهذه الواقعة ووضح مشروعية حد القذف الذي تدل عليه الحادثة.



1- معالجة المشاكل بالروح التربوية، وهذا ما اتضح من معالجة الرسول صلى الله عليه وسلم لمشكلة عبدالله بن أبي بن سلول بالشكل الذي وضحه، فقد كان ما سمعه عنه مسوغاً كافياً لأن يأمر بقتله، ولكنه استقبل الأمر بصدر رحب، وبهدوء فامتص غضب المسلمين، وفوت على المناقشين فرصة الفتنة، وعندما عاد إلى المدينة توقع الناس من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقتل ابن أبي ولكنه قال لأصحابه: «بل نترفق به، ونحسن صحبته ما بقي معناه، وكان من نتيجة هذه الحكمة أن انصهر عن عبدالله بن أبي قومه وكانوا هم الذين يعتقونه ويفضحون أمره» (الباركقوري، الرحيق المختوم، ص 293) وكانت كل هذه التصرفات من الرسول صلى الله عليه وسلم وحكمته بين أصحابه نابعة من نبوته ورسالته، ولا يقول هذا إلا أصحاب مناهب الغزو الفكري الذين يحاولون صرف المسلمين من التأمل في نبوته صلى الله عليه وسلم والتي هي أساس كل تفكير وتغيير يصدر منه.

2- كانت حادثة الإفك واحدة من حلقات الإيذاء برسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنها كانت أبليغ في الأذى من سابقاتها في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن ما وقع له من مكائدات فصلناها كان يتوقعها وكان قد وطن نفسه على تحملها، أما هذه فقد فوجئ بها.. لأنها ليس مما اعتاده، فقد كانت شائعة، ولو صحت لكانت طعنة نجلاء في شخص ما يعتز به إنسان، لخص ما يتصف به الشرف والكرامة، فكان ذلك مصدراً للشك والاضطراب، وكان توقف الوحي لشهر كامل عن هذه المسألة مصدراً آخر للقلق والشكوك، فاستقبلها كما يستقبل أي بشر من الناس، ليس له اطلاع على الغيب، فشك كما يشكون، وأخذ يقلب الرأي على وجوهه، ويستنجد في ذلك بمشورة أولى الرأي من أصحابه، وأن مقتضى الحكمة الإلهية أن يتأخر الوحي ليؤكد بذلك حقيقتين، الأولى: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخرج بنبوته ورسالته عن كونه بشراً من الناس فلا ينبغي

أن ينسب إليه من الأمور ما لا يجوز نسبته إلا لله وحده .
 أما الحقيقة الثانية : فهي أن الوحي الإلهي ليس شعوراً نفسياً خاضعاً لإرادة النبي
 صلى الله عليه وسلم أو أمنيته . (البوطي، فقه السيرة، ص 189).
 وهكذا فقد انطوت قصة الإفك على حكمة إلهية باهرة استهدفت تثبيت العقيدة
 الإسلامية، ورد ما قد يعرض من شبه عليها، وتلك هي الخيرية التي عبر الله عنها بقوله :
 «ولا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم» (النور، الآية 24) .

3- قد حدثت الإفك على مشروعية حد القذف، فقد رأينا أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر
 بأولئك الذين صرحوا بالإفك فضربوا حد القذف، وهو ثمانون جلدة، بينما نجا ذلك الذي
 تولى كبره وهو عبدالله بن أبي وذلك لما ينتفخه من عذاب في الآخرة، قال تعالى : «إن
 الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم، لكل امرئ منهم ما
 اكتسب من الإثم، والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم» (النور، الآيات 24، 25).

اسئلة تقويم ذاتي



- 1- كيف عمل اليهود على إثارة الفتنة بين المهاجرين والأنصار في
 غزوة بني المصطلق؟
- 2- ماهي السورة التي نزلت في هذا الشأن؟
- 3- من هو الذي أشار على النبي - صلى الله عليه وسلم - بطلاق
 السيدة عائشة في حادثة الإفك؟
- 4- لماذا ذهبت السيدة عائشة للإقامة في بيت أبيها بعد غزوة بني
 المصطلق؟
- 5- لقب بشاعر الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكان من
 المروجين لقصة الإفك، من هو؟

7.2 غزوة الخندق

عزيزي الدارس، قبل أن تواصل القراءة عد بذاكرتك إلى الغزوات السابقة وحاول أن تقدم ملخصاً لها.

عقب تلك الغزوات والسرايا التي خاضها المسلمون، بدأ الهدوء النسبي يسود أنحاء الجزيرة العربية، الأمر الذي أغاظ اليهود، خاصة بني النضير الذين ذاقوا ألواناً من النل والهوان على أيدي المسلمين، نتيجة غدرهم وخيانتهم، فلما رأوا كفة الحروب أخذت تميل لصالح المسلمين، شرعوا في التآمر من جديد، وفي هذه المرة خططوا لاستئصال الإسلام كلياً من المدينة، فخرج عشرون رجلاً من زعماء اليهود وسادات بني النضير إلى قريش بمكة يحرضونهم على غزو الرسول صلى الله عليه وسلم، ووعدهم بالنصرة، فاستجابت قريش، ثم ذهب هذا الوفد إلى غطفان فدعاهم إلى ما دعا إليه قريشاً فاستجابوا، ثم التقوا ببني فزارة وبني مرة، وتم لهم مع هؤلاء جميعاً تواجد في الزمان والمكان لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم. واتجهت هذه الجموع وتحركت نحو المدينة فتجمع بعد أيام جيش عرمرم حول المدينة يبلغ عدده عشرة آلاف مقاتل.

ولم يكن أهل المدينة بغافلين عما يحاك ضدهم، فقد كانت القيادة متيقظة وأضعة أناملها على العروق النابضة تتحسس الظروف، فقد علمت بأمر هذه الجيوش قبل أن تتحرك من مواقعها، وسارع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عقد مجلس استشاري أعلى، تناول فيه الموضوع بالنقاش، فاتفقوا على خطة دفاعية وضعها الصحابي الجليل سلمان الفارسي، حيث قال: يا رسول الله، إنا كنا بأرض فارس إذا حوصرنا خندقنا علينا، وكانت خطة حكيمة لم تكن تعرفها العرب من قبل ذلك.

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واستنهض الهمم فتجمع لديه ثلاثة آلاف مقاتل، فسار بهم ونزل في المنطقة الشمالية من المدينة، وهي الوحيدة المكشوفة أمام الغزاة، أما الجهات الأخرى فكانت محصنة طبيعياً، ليس بإمكان الإبل والمشاة اقتحامها، فكان كل عشرة رجال يحفرون أربعين ذراعاً في طول الخندق، بعرض تسعة أذرع، وعمق سبعة، وقد استغرق الحفر ما بين أسبوع إلى عشرين يوماً.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يشارك المسلمين في الحفر وحمل التراب، ويحطهم على العمل، فكان يحمل التراب حتى أغبر بطنه ووارى التراب جسده، وكان الصحابة يستعينون به في تفتيت الصخور التي تعترضهم ويعجزون عنها، ويردد معهم الأمازيغ والأرجاز لتتسببهم للعمل، ومن ذلك :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا	ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكيناً علينا	وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا	وإن أرادوا فتنة أبينا

ويرتجز المسلمون وهم يعملون :

نحن الذين بايعوا محمداً
على الإسلام ما بقينا أبداً
فيجيبهم بقوله :

اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة

كان المسلمون يعملون بهذا النشاط وهم يقاسون من شدة الجوع ما يفقت الأكباد، وكان طعامهم قليل من التمر والشعير المخلوط بدهن متغير الرائحة لقدمه، وكانوا مضطرين لأكله، فقام بعضهم وشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم الجوع، فكشف لهم صلى الله عليه وسلم عن بطنه قائلاً بها حجر مربوط من شدة الجوع، فلما رأى جابر بن عبد الله أثر الجوع في وجهه صلى الله عليه وسلم ذهب إلى بيته وذبح شاة، وطحنت زوجته شعيراً وصنعت طعاماً فذهب وطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم سرّاً بأن يأتي في نفر من أصحابه، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا كل أهل الخندق وكانوا ألفاً فجاءوا جماعات فأكلوا جميعاً حتى شبعوا والطعام يزداد وتركوا برمة اللحم ملأى به كما هي، فبقي العجين يخبز كما هو، وهذه واحدة من آيات نبوته صلى الله عليه وسلم (ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، ص 218).

تدريب (13)



ضع من القائمة (أ) مع ما يناسبه من القائمة (ب)	
القائمة (أ)	القائمة (ب)
١/ سلمان الفارسي	١/ نبي شاه لا طعام النبي صلى الله عليه وسلم.
٢/ النبي صلى الله عليه وسلم	٢/ حجر مربوط من شدة الجوع
٣/ جابر بن عبد الله	٣/ حفر الخندق

وظهرت آية أخرى وذلك حينما اعترضت صخرة للصحابية وهم يحفرون، فجاء الرسول صلى الله عليه وأخذ المعول فضربها ثلاث ضربات فتفتت، قال إثر الضربة الأولى: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إنني لأبصر قصورها الحمراء الساعة، ثم ضربها الثانية، فقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، والله إنني لأبصر قصر المدائن الأبيض، ثم ضرب الثالثة وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إنني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذه الساعة». (صحيح البخاري، 2/ 593)

وفي هذا الحديث بشارة للمسلمين بأنهم سيفتحون هذه البلاد مستقبلاً، أما المنافقون فقد سخرُوا من هذه البشارة، فنزل فيهم قول الله تعالى: «وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً» (الأحزاب، الآية 12).

وهكذا واصل المسلمون الحفر حتى اكتمل الخندق قبل وصول جيش المشركين، وعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخندق وجعل جبل سلع وراء ظهره، وتوزع المسلمون في كل الثغرات التي يمكن أن يأتي منها العدو، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، وأمر بالنساء والذراري فجعلوا في حصون المدينة.

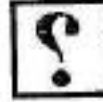
فلما اصطدم المشركون بالخنق، لجأوا إلى قرص الحصار على المسلمين، وأخذوا يدورون حول الخندق والغضب يملأهم يتحسسون نقطة ضعيفة ينفذوا منها، لكن دون جدوى فقد كان المسلمون يرشقون بالنبل كل من اقترب من الخندق، وقاموا بإجراء دوريات منتظمة ليلاً ونهاراً لمراقبة تحركات جيش المشركين، فافشلوا كل محاولات الإقتحام التي قام بها جيش المشركين.

وفي ظل هذه الظروف الحرجة والمسلمون يواجهون هذه الشدائد على جبهة المعركة ظهر غدر جديد لليهود، فقد أراد يهود بني النضير أن يجروا إخوانهم يهود بني قريظة إلى نقض العهد والغدر بالمسلمين والوقوف مع المشركين، فقد انطلق زعيم بني النضير حيي بن أخطب إلى ديار بني قريظة ليلاً، فأتى زعيمهم كعب بن أسد القرظي، فضرب عليه الباب، فأغلقه كعب دونه، فما زال يكلمه حتى فتح له بابه، فقال حيي: إني قد جئتك يا كعب بعز الدعر... وبعد حوار طويل استطاع حيي أن يقنع كعباً بدخوله الحرب مع قريش ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبذلك نقض كعب عهده مع المسلمين ودخل في زمرة الكافرين، وقامت بنو قريظة بأعمال حربية ضد المسلمين، وقد قتلت صغية بنت عبدالمطلب يهودياً كان يتجسس تحت حصن فارع والذي كان يحرسه حسان بن ثابت.

وكان يوماً عصيباً مر على المسلمين تلك اليوم الذي علم فيه المسلمون نقض بني قريظة عهدهم معهم، ذلك أنه أصبح بإمكان المشركين استغلال موافقتهم لتسديد ضربة قوية للمسلمين. وعندما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخبر أرسل سعد بن معاذ وسعد بن عباد وعبدالله بن رواحة ليتكفوا له من حقيقة الأمر، فلما عادوا أكدوا له صحة نقض بني قريظة للعهد.

أسئلة تقويم ذاتي

- 1- واحدة من معجزات النبي - صلى الله عليه وسلم - ظهرت عند حفر الخندق، ما هي؟
- 2- وضح المعجزة التي جعلت كل من يحفرون في الخندق في حالة شيع من الجوع؟
- 3- كيف نقض كعب بن أسد عهده مع المسلمين؟
- 4- من هي الصحابية التي قتلت يهودياً كان يتجسس تحت حصن فارع؟



وأمام هذا الخطر المتعاظم على المسلمين فقد أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم يخطط لمواجهة الطرف الرابع، فنجأ إلى سياسة تؤدي إلى تخذيل المشركين وشق صفوفهم وتحقيقاً لهذا الهدف أراد أن يصالح عيينة بن حصن والحاوث بن عوف رئيسي غطفان على ثلث ثمار المدينة، حتى ينصرفا بقومهما، فاستشار السعديين في ذلك (سعد بن معاذ وسعد بن عباد) فقالا : يا رسول الله إن كان الله أمرك بهذا فسمعاً وطاعة، وإن كان شيء تصنعه لنا فلا حاجة لنا فيه، لقد كننا نحن ومؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، وهم لا يطعنون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرئ أو بيعاً، فحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك نعطيهم أموالنا؟ والله لا نعطيهم إلا السيف، فصوب رأيهما وقال : «إنما هو شيء أصنعه لكم كما رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة». (ابن هشام، السيرة النبوية، ج2، ص307).

ولكن الله تعالى تولى أمر تخذيل المشركين وكفى المؤمنين القتال، وهزم الأحزاب، وذلك

بوسيلتين :

الأولى : تسخيرهم لنعيم بن مسعود الغطفاني ليخذل الأحزاب، فقد روي أن نعيماً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال : يا رسول الله إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني ما شئت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنما أنت رجل واحد، فخذل عنا ما استطعت، فإن الحرب خدعة» فذهب من قوره إلى بني قريظة وكان عشريناً لهم في الجاهلية، فأقنعهم بعدم التورط مع قريش في قتال محمد صلى الله عليه وسلم حتى يأخذوا منهم رهائن، لكيلا يولوا الأديار، ويتركوهم وحدهم يواجهون مصيرهم مع المسلمين بالمدينة، ثم أتى قريشاً وأخبرهم أن بني قريظة قد ندموا على ما فعلوا، وأنهم قد اتفقوا سراً مع محمد صلى الله عليه وسلم على أن يختطفوا عدداً من أشرف قريش وغطفان فيسلموهم له ليقتلهم ليلاً على ندمهم، وقال لهم فإن أرسلت إليكم يهود ياتمسون منكم رهناً من رجالكم فإياكم أن تسلموهم رجالاً منكم، ثم أتى غطفان وقال لهم مثل الذي قاله لقريش، وبذلك زرع بذور الشك والفتنة بينهم، وأخذ كل فريق يتهم الفريق الآخر بالخيانة وخارت عزائمهم جميعاً من القتال (البخاري، الفتح، 15/299)) وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد دعا على

الأحزاب فقال : «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم».

﴿أما الوسيلة الثانية، فقد سمع الله دعاء نبيه وأرسل إليهم ريحاً عاصفة في ليلة مظلمة باردة، فقلبت قلوبهم، واقتلعت خيامهم وأطفأت نيرانهم، وأرسل إليهم جنوداً من الملائكة يزلزلونهم ويلقون في قلوبهم الرعب، لصاح فيهم أبو سفيان قائلاً : «يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم، بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف، وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون.... فارتحلوا فإني مرتحل».

فأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان في تلك الليلة الباردة، ليأتي بخبر القوم، فوجدهم على تلك الحالة من الغوضى والتهويء للرحيل، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره برحيل القوم، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رد الله عدوه، وختم هذا الامتحان الرهيب بهذه النهاية السعيدة، وجنب المسلمين شر القتال، وقد عبر القرآن عن هذه النهاية بقوله :

«ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً» (الأحزاب، الآية) فقال الرسول صلى الله عليه وسلم معلقاً على هذه النتيجة : «الآن تغزوهم ولا يغزونا» .

تدريب (14)

على ماذا يدل تشديد النبي - صلى الله عليه وسلم - للرماة في معركة أحد بعدم التحرك حتى ولو انتصر المسلمون، وما هي الدروس المستفادة من هذا الحدث.



الدروس المستفادة

1- إن فكرة الخندق وتقبلها من الرسول صلى الله عليه وسلم دليل على أن الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها، فالقاعدة الإسلامية في هذا الصدد، هي أن لا يعطل المسلم عقله الحر وتفكيره الدقيق في سلوكه وعامة شئونه وأحواله، وبالتالي لا يمكن للمسلم أن يسلم قيادته لغيره، وفي الوقت نفسه لا يتجاهل أي مبدأ أو عمل أو نظام يسلم به العقل النير والفكر الحر وينسجم مع مبادئ الشريعة الإسلامية.

2- تبدو في حفر الخندق حقيقة المساواة التي يرسمها المجتمع الإسلامي، وأن العدالة والمساواة هما الأساس الواقعي الذي تنبثق منه القيم والمبادئ الإسلامية عامة ظاهراً وباطناً، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يجلس في قصر أو كرسي ليراقب الأمر من بعد، كما أنه لم يقبل إليهم في احتفال صاخب ورنان ليمسك معول أحدهم بأطراف أصابعه فيضرب به الأرض إيذاناً ببدا العمل، ثم يلقي المعول ويدير إليهم ظهره يتفرض عن حلقه ما علق بها من تراب، ثم تتسابق أجهزة الإعلام لتعكس هذا المجهود الجبار الذي بذله، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم نراه قد انخرط في العمل مع أصحابه كواحد منهم حتى علاه الغبار وكسى جسمه التراب، ويرتجز معهم وينشطهم ويعطش ويجوع مثلهم، ثم يقوهم جميعاً للأكل سوياً والعودة لمواصلة العمل، تلك هي حقيقة المساواة التي أقامتها الشريعة الإسلامية بين بني البشر حكماً ومحكوماً، وتلك هي القيادة الإسلامية التي ننشدها في عالمنا اليوم.

3- في هذا المشهد أيضاً يتجلى مظهر النبوة في شخصية النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك في مكابדתه لشدة الجوع حتى يضع الحجر في بطنه ليخفف عنه ألم الجوع، فلمدة ثلاثة أيام لم يتناول وجبة تذكر، فالسؤال، لماذا كل هذه المعاناة والمشقة والجهد؟ أهو القطلع إلى الزعامة؟ أم هو الرغبة في المال والملك!! كل هذه المطامع تناقض مناقضة صارخة هذا الذي

يكابده ويعانيه، إن الذي حمّله على تحمل كل ذلك إنما هو مسؤولية الرسالة والأمانة التي كلف بتبليغها والسير بها في طريق هذه طبيعتها، وهؤلاء الصحابة الذين تحملوا معه هذه المعاناة لم يقبل إلا أن يشاركوه في طعام جابر، فهم أصحابه وأحبته، ولهذا استجاب الله لهذه المشاعر النبوية الصادقة، فكانت المعجزة النبوية الخالدة بأن تشبع شاة جابر جيشاً بأكمله، ويبقى منها طعام يوزع للمساكين.

4- كان عرض النبي صلى الله عليه وسلم ثلث ثمار المدينة على غطفان لكي ينصرفوا عن تأييد قريش ومن معهم، كانت الحكمة وراء ذلك هي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يريد أن يطمئن إلى مدى ما يتمتع به أصحابه الصادقون من القوة المعنوية والاعتماد على نصر الله وتوقيفه، على الرغم من الخطر الداهم الذي يحيط بهم من كل جانب، فوجدهم كما يريد لهم أن يكونوا من الثقة بالله والاستمسك بنهجه، بالإضافة إلى الدلالة التشريعية، وهي تطبيق مبدأ الشورى في كل ما لا نص فيه، وواضح أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يوقع اتفاقاً مع غطفان، وإنما كان الأمر مراوضة لم يتجاوزها، وبالتالي فإن الاستدلال بهذا الحدث على جواز دفع المسلمين الجزية إلى غير المسلمين إنما اقتضت الحاجة، فإنه أمر غير صحيح حسب رأي فقهاء السيرة (البرطي، فقه السيرة، ص 221).

8.2 فزوة بني قريظة

عقب عودة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة جاءه جبريل عليه السلام في ظهر ذلك اليوم، وقال له: انهض بمن معك إلى بني قريظة، فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم مؤذنه فأذن في الناس: «من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة». واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، وأعطى الراية علي بن أبي طالب، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في كوكبة من الانتصار والمهاجرين، حتى نزل على بئر من آبار بني قريظة، ويأمر المسلمون إلى امتثال أمره ونهضوا من فورهم وتحركوا نحو قريظة، وأدركهم العصر

في الطريق . فقال بعضهم . لا نصليها إلا في بني قريظة كما أمرنا وصلوها بعد العشاء . وقال آخرون . لم يرد الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك . وإنما أراد سرعة الخروج . فصلوها في الطريق . فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم . ولم يعنف واحداً من الفريقين . وهكذا تلاحقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم أرسالا . وعددهم ثلاثة آلاف مقاتل . فنزلوا حصون بني قريظة وغرضوا عليهم الحصار . ولما اشتد بهم الحصار عرض عليهم رئيسهم كعب بن أسد ثلاثة أمور :

أولاً : أن يدخلوا في الإسلام مع محمد صلى الله عليه وسلم فيأمنوا على مائتهم وأموالهم وذرائعهم . ثانياً : أن يقتلوا ذرائعهم ونساءهم بأيديهم ويحملوا سيوفهم ويتراجعوا النبي صلى الله عليه وسلم . إما ظفروا به أو قتلوا عن آخرهم . والثالث : أن يهجموا على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويكبسوه في يوم السبت . لأنهم أي المسلمين آمنوا أن اليهود لا يقاتلون يوم السبت . فأبوا أن يجيبوه على واحد من هذه العروض الثلاثة . فلم يثق لهم بعد هذه إلا النزول على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرسل إليهم أبا لبابة . وكان حليفهم ليستشيروه في أمر النزول على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما رآوه قام إليه الرجال وجهش النساء والصبيان بيبكون في وجهه . ففرق لهم . وقالوا : يا أبا لبابة أتري أن نفل على حكم محمد ؟ قال : نعم . وأشار بيده إلى رقبته . أي أنه الذبح . فعلم من غوره أنه خان الله ورسوله . فلم يرجع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم . وذهب إلى المسجد النبوي وربط نفسه في سارية . وحلف ألا يحله إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده . ولن يدخل دار بني قريظة أبداً . وبرغم إشارة أبي لبابة إلا أن اليهود قرروا النزول على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويأدروا بالخروج من حصونهم فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم باعتقال الرجال . وعزل النساء والذرائع في ناحية . وقامت الأوس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : قد فعلت في بني قينقاع ما قد فعلت . وهم حلفاء إخواننا الخزرج . وهؤلاء موالينا فأحسن فيهم . فقال : ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ فقالوا : بلى قال : «فذاك إلى سعد بن معاذ» قالوا : قد رضينا فأرسل إلى

سعد وكان بالمدينة لم يخرج معهم للجرح الذي أصابه في معركة الأحزاب وقد ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيمة بجوار مسجده حتى يزوره، فأركب حماراً وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما رآه اليهود قالوا : يا سعد أجمل في مواليك فأحسن فيهم، فإن رسول الله قد حكمك لتحسن فيهم، وهو ساكت لم يرد إليهم، فلما أكثروا عليه قال : لقد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم، فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الرسول للصحابة قوموا إلى سيدكم . فقاموا إليه وأنزلوه، فلما عرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم على هؤلاء قال : فيأني أحكم فيهم أن يقتل الرجال وتسبى الذرية وتقسم الأموال . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات» (ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، ص 245).

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنفيذ الحكم فنفذ بإشراف محمد بن مسلمة الأنصاري، فضربت أعناق الرجال وكانوا بين الستين إلى السبعين، وصودرت الأموال وبيعت النساء وأسلم منهم جماعة في تلك الليلة فحقنوا دماءهم وأموالهم وذرياتهم . (صحيح البخاري، 2/ 591).

فلما تم أمر بني قريظة وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، انتفض جرح سعد بن معاذ وأخذ ينزف فمات، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بدفنه، أما أبو لؤي، فأقام مرتبطاً بالجذع ست ليالٍ حتى نزلت توبته على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطلقه.

أسئلة تقويم ذاتي

- 1- ما هي الأمور التي عرضها كعب بن أسد رئيس بني قريظة على قومه عندما حاصروهم النبي صلى الله عليه وسلم؟
- 2- بماذا حكم سعد بن معاذ على اليهود عندما سأله النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يحكم فيهم؟
- 3- هل وافق النبي - صلى الله عليه وسلم - على حكم سعد بن معاذ وما قوله في ذلك؟
- 4- كيف مات سعد بن معاذ؟



الدروس المستفادة

1- من الأحكام الهامة التي نأخذها من هذه الغزوة جواز قتال من نقض العهد إذا رأى المسلمون في قتالهم مصلحة للإسلام.

2- جواز التحكيم في أمور المسلمين ومهامهم العظام، وأيضاً فيه جواز مصلحة أهل قرية أو حصن على حكم حاكم مسلم عدل صالح للحكم، أمين على هذا الأمر وعليه الحكم بما فيه مصلحة للمسلمين، وإذا حكم بشئ لزم حكمه ولا يجوز للإمام ولا لهم الرجوع عنه.

3- مشروعية الاجتهاد في الفروع، وضرورة وقوع الخلاف فيها، ويبدو ذلك واضحاً من اختلاف الصحابة في تفسير أمر الرسول صلى الله عليه وسلم: ألا يصلين أحد الحصر إلا في بني قريظة، مع عدم تعنيف الرسول صلى الله عليه وسلم أحداً منهم أو معاقبته، وهذا دليل على تقرير مبدأ الخلاف في مسائل الفروع، واعتبار كل من المتخالفين معذوراً ومثابراً، من اجتهد وأصاب فله أجران، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر.

4- تكلم اليهود من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وقد اتضح ذلك من كلام كعب بن أسد مع إخوانه اليهود، فقد ثبت لهم ذلك في التوراة والأحاديث عنه وعن علاماته وبعثه ولكنهم كانوا دوماً عبيداً لعصبيتهم وتكبرهم. وهكذا فإن الإسلام هو دين الفطرة، كل من عرفه على حقيقته يؤمن به، ولا ياباه أحد إلا لحقد في نفسه على المسلمين أو غرض أو هوى.

عزيزي الدارس، بعد أن كنت في رحاب مجهودات النبي - صلى الله عليه وسلم - وصحابته الكرام وما بذلوه من جهد من أجل بناء دولة الإسلام وسط دويلات الكفر التي كانت تحيط بالمسلمين من كل ناحية، كان لابد من أن نختتم هذه الوحدة بخلاصة وفيه لما جاء فيها من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم.

ركزت الوحدة في موضوع بناء الدولة الإسلامية على أسس بناء المجتمع والدولة الإسلامية، بجانب جهاده - صلى الله عليه وسلم - والمسلمين ضد الكفار. وقد عرفنا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - بدأ ببناء المسجد وذلك لأهمية المسجد في حياة المسلمين لأنه الركيزة الأولى في بناء المجتمع الإسلامي، كما استطاع النبي - صلى الله عليه وسلم - من خلال التأخي والتكافل بين المسلمين أن يضع مبادئ العدالة الاجتماعية وأن يؤسس لنظام اجتماعي شامل.

كما خالصنا عزيزي الدارس، من كتابة الوثيقة بين المسلمين وغيرهم أن الدولة الإسلامية منذ نشأتها الأولى قامت على أتم ما تحتاجه الدولة من المفومات الدستورية والإدارية والتي لا بد منها لتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في المجتمع. ومن ثم كان الجهاد العسكري والذي تدرج من الإذن بقتال قريش إلى أن وصل مع تغيير الظروف إلى مرحلة الوجوب والذي تجاوز قريشاً إلى غيرهم من المشركين والكفار.

عزيزي الدارس خاض النبي - صلى الله عليه وسلم - وصحابته العديد من الغزوات والمعارك في سبيل نشر الدعوة الإسلامية ورد الظلم والعدوان عن المسلمين، كما كان لهذه المعارك والغزوات دور كبير في إرساء كيان الدولة الإسلامية وتوسعها، ومن هذه الغزوات كما درسنا غزوة بدر الكبرى والتي ظهر فيها مبدأ الشورى والذي أصبح من الأسس التشريعية في دولة الإسلام. هذا بجانب إرساء بعض التشريعات الأخرى مثل توزيع الغنائم ومصير الأسرى.

من الغزوات الهامة الأخرى نجد عزيزي الدارس غزوة أحد والتي تعلم منها المسلمون

العديد من الدروس مثل كيفية بلوغ النصر في المعارك ضد العدو وكيفية وضع الحذر من
الغشل والهزيمة.

عزيزي الدارس هناك العديد من الغزوات والمعارك الأخرى التي خاضها المسلمون
بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد شهدت هذه الغزوات والمعارك نزول العديد من
التشريعات والأحكام مثل حد القذف في حادثة الإفك وغيرها من التشريعات ، كما تجلت العديد
من معجزات النبي - صلى الله عليه وسلم - في هذه الغزوات .

تمهيد سابق من الوحدة التالية

عزيزي الدارس، نواصل معاً دراسة مسيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - والوحدة القادمة هي الوحدة السادسة والأخيرة ، وفيها نتعرف على صلح الحديبية، وفتح مكة وحجة الوداع، ومن ثم انتقال النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى الرقيم الأعلى.

والوحدة توضح لك مجهودات النبي - صلى الله عليه وسلم - لإقامة دولة الإسلام وأداء شعائر العبادة لله الواحد الأحد، تارة بالمعاهدات والصلح وتارة بالغزوات والتي فتحت للمسلمين والإسلام فتحاً كبيراً وخاصة ما عرف بصلح الحديبية.

ومن ثم تحدثك الوحدة عن فتح مكة والذي كان قاسماً بين الإسلام والشرك، وعن بعض الغزوات الأخرى التي سعت إلى محاربة الشرك والمشركين، وتختتم الوحدة بحجة الوداع وانتقال النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى الرقيم الأعلى .

إجابات التمارين

تدريب (1)

القائمة (أ)	القائمة (ب)
1 / مكان المسجد النبوي.	1 / لخلامين يثيمين.
2 / أول من سمع ورأى الأذان في منامه.	2 / عبدالله بن زيد.
3 / بنى جدار المسجد النبوي بالجص والحجارة.	3 / عثمان بن عفان.
4 / لم يدخل تغيير في المسجد النبوي.	4 / أبو بكر الصديق.
5 / كان يحمل لبنتين (ملوب).	5 / عمار بن ياسر.

تدريب (2)

- 1 / الإسلام وحدة هو الذي يؤلف وحدة المسلمين وهو الذي يجعل منهم أمة واحدة وهذه الوحدة واجب على المسلمين تحقيقها إذا أرادوا لأنفسهم القوة والعزة والمنعة.
- 2 / أهم سمات المجتمع الإسلامي هي ظهور معنى التكامل والتضامن فيما بين المسلمين فهم جميعاً مسؤولون عن بعضهم في شئون دنياهم وآخرتهم.
- 3 / أنه لا يجوز للمسلمين أن يبحثوا عن حلول لخلافاتهم ومشاكلهم في غير شريعة الله وحكمه.
- 4 / المساواة والعدل بين المسلمين ركن أساسي من الأركان الشرعية الهامة للمجتمع الإسلامي يجب تطبيقه بدقة، مع الإشارة إلى أن المرأة تتساوى في ذلك مع الرجل.

تدريب (3)

- 1 / أبو بكر الصديق أخوه خارجة بن زيد
- 2 / عمر بن الخطاب، أخوه عتبان بن مالك
- 3 / عبدالرحمن بن عوف، أخوه سعد بن الربيع

تدريب (4)

كان إرسال السرايا إحدى الطرق التي اتبعها النبي - صلى الله عليه وسلم - ليعسط سيطرته على الطريق الرئيس الذي تسلكه قريش من مكة إلى الشام.

وقد سير النبي - صلى الله عليه وسلم - عدداً من السرايا أهمها سرية نخلة في رجب من العام الثاني للهجرة وبعث فيها عبدالله بن جحش الأسدي في إثني عشر رجلاً وسلمه خطاباً على أن يفتحه بعد يومين، وكان فحوى الخطاب أن يفزل بختلة بين مكة والطائف تمر بها غير قريش ليتعرف على أخبارها، وعندما مرت غير قريش تحمل تجارة تشاور المسلمون وهم في آخر يوم من شهر رجب الشهر الحرام حيث قالوا إن قاتلتناهم انتهكنا الشهر الحرام وإن تركناهم الليلة دخلوا الحرم، فقاتلهم وقتلوا واحداً وأسروا اثنين.

عندما رجع المسلمون إلى المدينة أنكر النبي - صلى الله عليه وسلم - صفيعهم هذا وقال لهم إنه لم يأمرهم بقتال في الشهر الحرام، فوجد المشركون في هذه الحادثة فرصة لاتهام المسلمين بأنهم أحلوا ما حرم الله، فنزل الوحي حاسماً هذه القضية، قال تعالى (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وأخراج أهله منه أكبر عند الله، والفتنة أكبر من القتل).

تدريب (5)

1 / على الصلاة.

2 / حل محل أبي لبابة على البعير.

3 / لواء القيادة العامة.

4 / راية المهاجرين.

5 / راية الأنصار.

6 / قيادة الميمنة.

7 / الساقة.

تدريب (6)

لقد برز مبدأ الشورى في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - وخاصة في غزوة بدر. ولهذا أصبحت الشورى من الأسس التشريعية التي لا يجوز إعمالها فيما ليس فيه نص ملزم من كتاب أو سنة كما صدر من الرسول - صلى الله عليه وسلم - في مشاورة أصحابه قبل الحرب وكذلك في شأن الأسرى.

تدريب (7)

(أ) / 1

(ب) / 2

(أ) / 3

(ج) / 4

(أ) / 5

تدريب (8)

من أسباب غزوة بني قينقاع أن يهود بني قينقاع أظفروا الغضب والحسد من انتصار المسلمين في معركة بدر. وقد رفضوا دعوة النبي - صلى الله عليه وسلم - للدخول في الإسلام قبل أن يصيبهم ما أصاب قريش.

وسبب ثان أن امرأة مسلمة جاءت إلى سوق بني قينقاع لتبيع اقراطاً لها فعمد صاحب المحل إلى الحيلة وكشف سوءتها فصاحت فوشب رجل من المسلمين وقتل اليهودي فحمل اليهود على المسلم وقتلوه فاستنجد أهل المسلم المسلمين على اليهود وهكذا وقع الشر بينهم وبين اليهود. بعد هذه الأحداث أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بالمسير إلى ديار بني قينقاع تحت راية حمزة بن عبدالمطلب ولكنهم تحصنوا في حصونهم وضرب عليهم المسلمون الحصار حتى استسلموا ومن ثم طردوا من المدينة.

تدريب (9)

(أ) / 1 ثلاثة آلاف رجل.

(ب) خمس عشرة امرأة.

(ج) مائتا فارس.

(د) سبعمائة درع.

2 / (هـ) مصعب بن عمير.

(ب) الحباب بن المنذر.

(ج) أسيد بن حضير.

(د) ألف مقاتل.

(هـ) مائة درع.

تدريب (10)

تجلت في هذه المعركة للمسلمين حقيقة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - بشر يولد ثم يموت وذلك بعد اضرابهم عند سماعهم لاشاعة موت النبي - صلى الله عليه وسلم - وقد أكد القرآن الكريم على ذلك قال تعالى : «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل إنقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين» (آل عمران ، الآية 144).

تدريب (11)

1 / أسد - مائة وخمسون مقاتلاً.

2 / بني كلاب - فتك - عهداً من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «لقد قتلت قتيلين لا

لأديبتهما».

تدريب (12)

خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى غزوة بني المصطلق ومعه السيدة عائشة رضي الله عنها، وفي طريق العودة نزل المسلمون للراحة وفي هذه الأثناء خرجت السيدة عائشة من مودجها لقضاء الحاجة، وفي طريق عودتها للهودج تذكرت أنها قد نسيت عقداً لها فرجعت لأخذها، وعندما هم المسلمون لمواصلة السير حمل الحمالون هودج السيدة عائشة وهم

يعتقدون أنها بالداخل، وعندما غابت السيدة عائشة لم تجد القوم، فاستظلت في ظل شجرة
لعلهم يفقدونها فيعودون إليها.

في أثناء ذلك مر بها الصحابي الجليل صفوان بن المعطل السلمي فأركبها في راحلته
حتى لحقها بالقوم فلما رأى الناس ذلك تكلم كل بشاكرته، فاستغل المنافقون ذلك ونسجوا
حولها قضية الإفك، وعندما علم النبي - صلى الله عليه وسلم - بذلك شاور أصحابه فممنهم
من أشار بطلاقها ومن أشار بالإبقاء عليها، ولم تكن عائشة تعلم بذلك حتى أخبرتها أم
مسطح. وقد جاءها النبي - صلى الله عليه وسلم - وطلب منها التوبة إذا هي فعلت ذلك، وظل
الحال هكذا حتى برأ الله تعالى السيدة عائشة بقوله: «إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم»
(الآيات 11-20 من سورة النور).

ولقد أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بأولئك الذين صرحوا بالإفك قضربوا حد
القذف، وهو ثمانون جلدة.

تدريب (13)

القائمة (أ)	القائمة (ب)
1 / سلمان الفارسي	1 / حفر الخندق
2 / النبي صلى الله عليه وسلم	2 / حجر مربوط من شدة الجوع
3 / جابر عبدالله.	3 / ذبح شاة لإطعام النبي صلى الله عليه وسلم.

تدريب (14)

كانت أوامر النبي - صلى الله عليه وسلم - واضحة للرماة وتشده في ذلك يدل على عبقرية
عسكرية وإحساس صادق لقائد عسكري صادق بأن الخطورة ستأتيهم من هنا، وقد ترتب
على ذلك دروس عظيمة للمسلمين فيما بعد من وجوب الطاعة للإمام القائد خاصة في الحروب
التي لا تحتل الأخطاء.

المصادر والمراجع

- 1- القرآن الكريم.
- 2- ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن الجزري) ، الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، 1386هـ - 1996م.
- 3- ابن القيم (شمس الدين أبو عبدالله) ، زاد المعاد ، المطبعة المصرية 1347هـ.
- 4- ابن سعد (محمد بن سعد) - الطبقات الكبرى ، دار صادر (بيروت) ، 1388هـ - 1968م .
- 5- ابن كثير (أبو الفداء الحافظ ابن كثير) ، البداية والنهاية في التاريخ ، مكتبة المعارف ، بيروت 1417هـ - 1997م.
- 6- ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن هشام) ، السيرة النبوية ، مطبعة بابي الحلبي ، القاهرة 1375هـ - 1955م.
- 7- أبو الحسن النخعي ، السيرة النبوية ، دار الشروق ، 1995م.
- 8- الأزرق ، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، طبع بيروت ومكة المكرمة 1399هـ - 1979م.
- 9- الإمام أحمد بن حنبل ، مسند الإمام أحمد ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، 1398هـ - 1978م.
- 10- البخاري (الإمام أبو عبدالله) ، صحيح البخاري ، المكتبة الرحيمية بالهند ، 1397هـ - 1977م.
- 11- البوطي (محمد رمضان البوطي) ، فقه السيرة ، بيروت 1419 - 1999م.
- 12- الترمذي (محمد بن عيسى) ، شمائل الترمذي ، دلهي ، الهند ، 1385هـ - 1965م.
- 13- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) ، تاريخ الأمم والملوك ، دار المعارف ، القاهرة (د.ت).
- 14- الغزالي (الشيخ محمد الغزالي) ، فقه السيرة ، دار القلم ، دمشق ، 1418هـ - 1998م.
- 15- المسعودي (أبو الحسن علي بن حسين) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار المعرفة ، بيروت (د.ت).

- 16- الواقدي (محمد بن عمر بن واقد)، مغازي الواقدي، طبع بيروت، 1384هـ - 1964م.
- 17- اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب)، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، 1379هـ - 1964م.
- 18- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1399 - 1979 م.
- 19- حسن أحمد محمود، انتشار الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، مكتبة النهضة، 1966م.
- 20- صفى الرحمن مباركةفوري، الرحيق المختوم، دار الوفاء، 1424هـ - 2003م.
- 21- عبدالشافى عبداللطيف ومحمد جبر أبو سعدة، دراسات في السيرة النبوية، طبع، القاهرة 1979م.
- 22- محمد الشريف، الرسول في القرآن الكريم، طبع، القاهرة، 1980م.
- 23- محمد جمال الدين سرور، قيام الدولة العربية الإسلامية في حياة محمد صلى الله عليه وسلم، دار الفكر، القاهرة 1952.
- 24- محمد الخضري بك، تاريخ الأمم الإسلامية، المكتبة التوفيقية، القاهرة، 1382هـ - 1962م.
- 25- مهدي رزق الله أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، دار إمام الدعوة للنشر والتوزيع - السعودية 1424هـ - 2003م.
- 26- ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1379هـ - 1977م.



مستويات الوحدة

الصفحة	الموضوع
272	المقدمة
272	تمهيد
273	أهداف الوحدة
274	1. صلح الحديبية
274	1.1 الأوضاع بين المسلمين والمشرىين قبل الصلح
280	2.1 إبرام الصلح وبنود المعاهدة
283	3.1 نتائج الصلح والمعاهدة
287	2. أحداث ما بعد صلح الحديبية
287	1.2 غزوة خيبر
295	2.2 مكاتبة الملوك والأمراء
301	3.2 عمرة القضاء
303	4.2 غزوة مؤتة
308	3. فتح مكة وما بعده من أحداث
308	1.3 فتح مكة
321	2.3 غزوة حنين
329	3.3 غزوة تبوك
335	4.3 عام الوفود

الصفحة	الموضوع
338	4. حجة الوداع ورفقة النبي (صلى الله عليه وسلم)
338	1.4 حجة الوداع
343	2.4 وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم)
348	الخلاصة
351	إجابات التدريبات
356	المصادر والمراجع

الوحدة السادسة

أهداف الوحدة

عزيزي الدارس، نرحب بك مرة أخرى في مقرر السيرة النبوية. وما نحن نصل معاً إلى الوحدة السادسة والأخيرة من هذا المقرر وموضوعها «صلح الحديبية»، وفتح مكة وحجة الوداع، وتأتي هذه الوحدة في أربعة أقسام رئيسة نفصلها كما يلي :

القسم الأول: ويتناول الأوضاع بين المسلمين والمشركين قبل الصلح، ومن ثم إبرام الصلح وبنود معاهدة صلح الحديبية، وأهم النتائج التي تترتب على هذا الصلح.

القسم الثاني: يفصل في الأحداث التي أعقبت صلح الحديبية مثل غزوة خيبر، مكاتبة النبي -صلى الله عليه وسلم- للملوك والأمراء للدخول في الإسلام وعمرة القضاء وغزوة مؤتة.

القسم الثالث : عن فتح مكة وما بعده من أحداث حيث نتتبع معاً عزيزي الدارس مسيرة فتح مكة وكيف دخل النبي -صلى الله عليه وسلم- إليها، ومن ثم نستعرض أحداث غزوتي حنين وبيوتك، بجانب التعريف بالوفود التي جاءت لمبايعة النبي -صلى الله عليه وسلم- والدخول في الإسلام.

القسم الرابع: فيه نتناول حجة الوداع وكيفية تعليم النبي -صلى الله عليه وسلم- لأصحابه لأداء شعائركم الدينية، ومن ثم يفصل القسم في مرض النبي -صلى الله عليه وسلم- وانتقاله إلى الرفيق الأعلى، وما صار عليه المسلمون بعد وفاته.

عزيزي الدارس، حتى نتتبع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في هذه المرحلة من حياته بصورة جيدة زدنا هذه الوحدة بمجموعة من أسئلة التقويم الذاتي والتدريبات والأشكال التوضيحية والأنشطة، فنرجو منك أن تقف عندها وتستفيد منها. كما أنه يمكنك الاستعانة بمشرفك الأكاديمي في ما أشكل عليك.

ومرحباً بك مرة أخرى، ونتمنى لك التوفيق والسداد.

أهداف الوحدة



عزيزي الدارس، بعد انتهائك من دراسة هذه الوحدة، نتمنى أن تكون قادراً على أن:

- تعرف بصلح الحديبية وتحدث عن ظروفه ونتائجه.
- تبين أهم أسباب ونتائج غزوة خيبر.
- تتحدث عن كتب النبي - صلى الله عليه وسلم - للزعماء والملوك وأهم نتائجها.
- تشير إلى غزوة مؤتة من حيث أسبابها ونتائجها.
- تتناول أحداث فتح مكة بالشرح والتحليل ودور ذلك في الدعوة الإسلامية.
- تعرف بغزوة حنين وأهم الدروس المستفادة منها.
- توضح المنهج العام للنظام الإسلامي من خلال حجة الوداع.
- تتحدث عن أحوال وظروف انتقال النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى الرفيق الأعلى وما تبع ذلك من أحداث.

1. صلح الحاببية

1.1 الأوضاع بين المسلمين والمشركين قبل الصلح

دخلت الدعوة الإسلامية مرحلة جديدة . بعد أن خاض المسلمون تلك الحروب المتلاحقة . وقد قُتل أعداء الإسلام من صده ومنع انتشاره . بل أصبح ينتشر ويشتد بشكل قوي وسريع في أنحاء الجزيرة العربية . وقد شعر الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته بأنه آن الأوان لإقرار حق المسلمين في أداء عبادتهم في المسجد الحرام الذي صدمهم عنه المشركون قبل ست سنوات خلت . فرأى الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام وهو بالمدينة أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام . وأخذ مفتاح الكعبة . وظافوا واعتمروا . وحلق بعضهم وقصر بعضهم . فأخبر أصحابه . ففرحوا . وحسبوا أنهم داخلوا مكة عامهم هذا .

فأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بأنه معتمر فتجهزوا للسفر . واستنفر الأعراب من حول المدينة ليخرجوا معه . فأبطأ بعضهم . وشك بعضهم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم سيواجه حرباً من قريش . فأنزل الله تعالى في شأنهم : «سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا . يقولون بالاستغفار ما ليس في قلوبهم . قل فمن يملك لكم الله شيئاً إن أراد بكم ضرراً أو أراد بكم نفعاً . بل كان الله بما تعملون خبيراً . بل ظننتم أن لن يتقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً . وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء . وكنتم قوماً بوراً (الفتح . الآية 12) وهؤلاء الأعراب من بني بكر ومزينة وجهينة . وخرج المؤمنون الراضون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعددهم قريب من ألف وأربعمائة . ولم يخرج بسلاح إلا سلاح المسافرين . السيوف في القرب . واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم . وخرج منها في يوم الإثنين ثمة ذي القعدة سنة 6هـ . وساق هديه أمامه تعبيرا عن حسن النية . وكان عدده سبعين بدنة . فلما كان بذي الحليفة قلد الهدي وأشعره وأحرم بالعمرة . وبعث أمامه عيثاً له وهو بشر بن سفيان الخزاعي ليأتيه بخبر قريش . فلما وصلوا عسفاً جاءهم بشر الخزاعي بخبر قريش فقال : «يارسول الله . هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوز المطافيل قد لبسوا جلود النمر . وقد نزلوا بذي طوى يعاهدون الله لا تدخلها

عليهم أبداً، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قدموا كراع الغميم (صحيح البخاري، 2 / 602)
(مهدي رزق الله، السيرة النبوية ج 5، ص 32).

فاستشار الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه في أن يغيروا على ديار القبائل التي
ناصرت قريشاً ليحفظها تعود للدفاع عن ديارها، فقال أبو بكر رضي الله عنه، يا رسول الله
خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد، فتوجه له، فمن صدنا عنه قاتلناه.
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: امضوا على اسم الله.

وقد حاول خالد بن الوليد صد المسلمين فقام بفرسانه إزاءهم يتراءى الجيشان، ورأى
خالد المسلمين في صلاة الظهر يركعون ويسجدون فقال: لقد كانوا على غرة، لو كنا حملنا
عليهم لأصبنا منهم، ثم قرر أن يميل على المسلمين وهم في صلاة العصر ميلة واحدة، ولكن
الله أنزل حكم صلاة الخوف ففانت الفرصة على خالد.

اسئلة تقريظ ذاتي



- 1- ماهي الآية التي نزلت بخصوص الذين تباطلوا في الخروج مع
النبي - صلى الله عليه وسلم - لأداء العمرة بعد أن دعاهم لذلك؟
- 2- متى خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - لأداء هذه العمرة
وماذا حمل معه؟
- 3- من هو مبعوث النبي - صلى الله عليه وسلم - لتقصي الأحوال
قريش؟
- 4- ماهي الأخبار التي جاء بها مبعوث النبي صلى الله عليه وسلم؟
- 5- ما هو الحكم الذي أنزله رب العالمين عندما كان خالد بن الوليد
يتربص النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ليهجم عليهم في
صلاة العصر؟

ولتفادي الاصطدام بالمشركين سلك الرسول صلى الله عليه وسلم طريقاً وعراً عبر الشعاب حتى ثنية المزار مهبط الحديدية من أسفل مكة، وترك الطريق الرئيس الذي يمر بالتنعيم إلى الحرم يساره، فلما رأى خالد تغيير المسلمين طريقهم عاد مسرعاً إلى مكة لينذر قريشاً، فخرجت للقاء المسلمين وسار الرسول صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان يثنية المزار بركت ناقته القصواء، فقال الصحابة: «خلأت القصواء» (أي حزن)، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل، ثم قال: «والذي نفسي بيده لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها، ثم رجزها فوثبت به، فعدل حتى نزل بأقصى الحديدية على ثمد (حوض) قليل الماء، فمالبثوا أن شربوه وشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش، فأخرج سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يفرسوه فيه ففعلوا فجاش الماء لهم بالري حتى ارتووا جميعاً، ثم أخذوا ينتظرون إلى الغد القريب لتفتح لهم أبواب الحرم فيعتصرون، ثم يعودوا وأقرين وأبحين.

أما قريش فقد دعت لهذا الزحف المفاجئ، وفكرت جادة في إبعاده عن مكة مبها كلفهم ذلك من مخارم، وذلك أنها نظرت إلى الأمر من زاوية ضيقة، قرأت أن مهايتها ستنزح من أفئدة العرب قاطبة إذا دخل المسلمون بلدهم على هذا النحو بعد ما وقع من حروب طاحنة، غير أن قريشاً تعرف حرج موقفها وضعف حاجتها إذا نشب قتال جديد، وقد ينتهي بكارثة تودي بكيانها كله، ولهذا سيروا الوسطاء يفاوضون محمداً صلى الله عليه وسلم عليهم يصلون معه إلى حل يخرجهم من هذه الورطة.

وكان أول من جاءه بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة، وكانت خزاعة موضع سر لرسول الله من أهل تهامة، فكلموه وسألوه: ما الذي جاء به؟ فأخبرهم أنه لم يأت لحرب، وإنما جاء زائراً للبيت ومعظمنا حرسته، فرجعوا إلى قريش يقولون، يا معشر قريش إنكم تعجلون على محمد، إن محمداً لم يأت لقتال وإنما جاء زائراً لهذا البيت، فاتهمهم وجبوه، وقالوا وإن كان جاء لا يريد قتالاً فوالله لا يسلخها علينا عنوة أبداً، ولا تحدث بذلك عنا العرب، ثم بعث قريش مكرز بن حفص، فعاد بما عاد به بديل الخزاعي.

ثم بعثت سيد الأحابيش «الحليس بن علقمة» فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إن هذا من قوم يعظمون البدن» فابعثوا الهدي في وجهه، فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي قال : سبحان الله ! ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، ثم رجع إلى قريش قبل أن يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم : رأيت البدن قلدت وأشعرت، وما أرى أن يصدوا، فقالوا له : اجلس إنما أنت أعرابي لا علم لك، فاستشاط الحليس وصاح : يا معشر قريش، والله ما على هذا حالناكم، ... أيعمد عن بيت الله من جاء معظماً له؟ والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد، فقالوا : مه كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

ثم بعثوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم «عروة بن مسعود» وحذرهم من أن يسمعه ما يسوؤه بعد عودته من مفاوضة المسلمين، فقالوا له : ما أنت عندنا بمتهم، فخرجت أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجلس بين يديه ثم قال : يا محمد أجمعت أو شاب الناس ثم جئت إلى بيضتك لتفضها - وإلى قومك لتجتأحهم - إنها قريش خرجت معها العوذ المطافيل .. يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً وأيم الله لكأنني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً، فلما سمع أبو بكر ذلك منه، قال له هازئاً : امصص بظر اللات، أنحن ننكشف عنه؟ فقال عروة : من هذا يا محمد؟ قال : هذا ابن أبي قحافة، فسكت عنه، وعاود عروة حديثه مع رسول الله، وجعل يتناول لحيته وهو يكلمه، إلا أن المغيرة بن شعبه هب واقفاً حاملاً سيفه وهو يقرع يده كلما فعل ذلك ويقول له : اكفف يدك عن وجه رسول الله قبل أن لا تصل إليك .. وقد رد النبي صلى الله عليه وسلم على عروة بما يقطع الشك بأنه لا يبغي حرباً، وإنما يريد أن يزور البيت كما يزوره غيره فلا يلقي صادراً ولا راداً.

اسئلة تقويم ذاتي



- 1- لماذا سلك النبي - صلى الله عليه وسلم - طريقاً وعراً وهو في طريقه إلى مكة؟
- 2- لماذا رد النبي - صلى الله عليه وسلم - عندما قال الصحابة بأن فاقة النبي - صلى الله عليه وسلم - «القصواء» (حرثت) أي ترققت وجلست؟
- 3- إلى ماذا لجأت قريش عندما أدركت أن المسلمين سيدخلون مكة؟
- 4- كيف ردت قريش على مبعوثيها لتقصي أخبار وأسباب مجيء النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة.

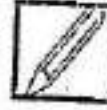
ورجع عروة إلى قريش ينوّه بإجلال الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقول: إني والله ما رأيت ملكاً في قومه قط مثل محمد في أصحابه، لقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً فروا رأيكم.

وفي هذه الأثناء حاول بعض الشباب المتحمسين من المشركين إشعال الحرب، وعددهم خمسين شاباً قرروا التسلل إلى معسكر المسلمين ليصيبوا بعضهم، ولكنهم أسروا جميعاً وجيء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنهم وخلق سبيلهم، رغبة في الصلح وحققاً للدماء، فأنزل الله تعالى في ذلك قوله: «وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم» (الفتح، الآية 24) وهكذا عادت رسل قريش وهم على قناعة بأن المسلمين إنما جاءوا معتمرين فقط ولم يأتوا للحرب، وأصبح موقف قريش حرجاً أمام إصرارها وعنادها، وغلبانها غير الواعي، فلو اضطدم المسلمون بهم لهزموهم شر هزيمة، ولما قامت لهم قائمة، ولا صبيت حرمت مكة في صميمها، فقد أكد المولى جل وعلا في كتابه ذلك بقوله: «ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأديار، ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً، سنة الله التي قد خلت وإن تجد لسنة الله تبديلاً» (الفتح، الآية 22).

لكن الرسول صلى الله عليه وسلم كره أن تجري الأمور على هذا النحو، ورأى أن يعيد محاولاته لإقناع أهل مكة بتركه يزور البيت ويعود لشأنه، فدعا عمر بن الخطاب ليرسله إليهم، فاعتذر قائلاً: يا رسول الله: ليس لي أحد بمكة من بني عدي بن كعب يغضب لي أن أوليت، فأرسل عثمان بن عفان فإن عشيرته بها، وأنه مبلغ ما أردت، فدعاه وأرسله إلى قريش وقال: أخبرهم إنا لم نأت لقتال، وإنما جئنا عماراً، وادعهم إلى الإسلام، وأمره أن يأتي رجالاً بمكة مؤمنين ونساءً مؤمنات، فيبشروهم بالفتح، ويخبرهم أن الله عز وجل مظهر دينه بمكة حتى لا يستخفي فيها أحد بالإيمان.

ثم انطلق عثمان ودخل مكة في جوار قريبه إيان بن سعيد بن العاص، واستطاع أن يبلغ رسالته كاملة إلى زعماء قريش، فلما فرغ قالوا له: إن شئت أن تطوف بالبيت طلف، فأبى أن يطوف حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاحتبسته عندهما بعد أن رآته يتحرك بين المؤمنين في مكة، ريثما يتشاوروا فيما بينهم ليردوا عثمان بجواب لرسالته التي جاء من أجلها، وطال الاحتباس، فشاع بين المسلمين أن عثمان قتل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغته الإشاعة: لا تبرح حتى تنجز القوم، ثم دعا أصحابه إلى مبايعته، وكان تحت شجرة متشابكة الغصون، فهرع إليه أصحابه يبایعونه على الموت، ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد نفسه وقال: «هذه عن عثمان»، وسميت هذه البيعة «بيعة الرضوان» التي أنزل الله فيها: «لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة، فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً (الفتح، الآية 18)».

تدريب (1)



ضع دائرة حول الحرف الذي يشير إلى الكلمة الصحيحة:

1 / تسلسل خمسةون شاباً من قريش إلى معسكر المسلمين لاشعال الحرب إلا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه قبضوا عليهم وكان مصيرهم:

(أ) القتل (ب) الأسر (ج) إطلاق سراحهم

2 / إعتذر عمر بن الخطاب من أن يبعثه النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى مكة نسبة لأنه:

(أ) ليس هناك من يتصره في مكة (ب) جريح (ج) مريض

3 / أبلغ عثمان بن عفان رسالة النبي - صلى الله عليه وسلم - لقريش وسمعت له بأن:

(أ) يرجع سائلاً (ب) يطوف بالكعبة (ج) يبقى بمكة

2.1 إبرام الصلح وبنود المعاهدة

عرفت قريش ضعف موقفها، فأسرعت إلى بعث سهيل بن عمرو لعقد الصلح، وأطلقت صراح عثمان فعاد، في وقت كان الرسول صلى الله عليه وسلم أرغب ما يكون في موادة القوم، فلما رأى سهيلاً قادماً إليه، قال: «قد سهل لكم امركم، أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل، فتكلم سهيل طويلاً، وعرض الشروط التي يتم عليها الصلح، ووافق عليها الرسول صلى الله عليه وسلم وجاءت كالتالي:

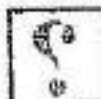
1 - يرجع الرسول صلى الله عليه وسلم من عامه فلا يدخل مكة. وإذا كان العام القابل دخلها المسلمون فأقاموا بها ثلاثاً، معهم سلاح الراكب، السيوف في القرب، ولا يتعرض لهم بأي نوع من أنواع التعرض.

2 - وضع الحرب بين الطرفين عشر سنين، يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض.

- 3- من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهده دخل فيه، وتعتبر القبيلة التي تنضم إلى أي الفريقين جزءاً من ذلك الفريق، فأي عدوان يتعرض له أي من هذه القبائل يعتبر عدواناً على ذلك الفريق.
- 4- من أتى محمداً من قريش من غير إذن وليه - أي هارباً منهم - رده عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد - أي هارباً منه - لم يرد عليه.

أسئلة تقويم ذاتي

- 1- من هو مبعوث قريش النبي - صلى الله عليه وسلم - وكان يمسك بلحية النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يخاطبه؟
- 2- لماذا قررت قريش أن تحبس عثمان بن عفان عندها في مكة؟
- 3- ما اسم البيعة التي بايع فيها المسلمون النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد انتشار إشاعة أن قريشاً قتل عثمان بن عفان؟
- 4- ماذا فعلت قريش عندما علمت بضعف موقفها؟



ثم دعا الرسول صلى الله عليه وسلم علياً ليكتب الكتاب، فأملى عليه: «بسم الله الرحمن الرحيم»، فقال سهيل: أما الرحمن فوالله لا أندري ما هو؟ ولكن اكتب: باسمك اللهم، فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك، ثم أملى: «هذا ما صالح عليه محمد رسول الله»، فقال سهيل: لو تعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله، فقال: «إني رسول الله وإن كذبتُموني». فأمر علياً أن يكتب: محمد بن عبد الله، ويمحو لفظ رسول الله، فأبى علي أن يمحو هذا اللفظ، فمضاه الرسول صلى الله عليه وسلم بيده، ثم تمت كتابة الصحيفة، ولما تم الصلح دخلت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودخلت بنو بكر في عهد قريش. (صحيح البخاري، 2/380).

ولم يحف مداد هذا الكتاب حتى جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في أغلاله هارباً من قريش حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا أول ما أتناضيك عليه.

على أن تروده لي، فترجاه الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتركه له فرفض، فأخذه من تلابيبه
وضربه في وجهه وأبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين : أأرد إلى المشركين
بغتوني في ديني؟ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله
جاعل لك ولئن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إنا قد غفدنا بيننا وبين القوم صلحاً،
وأعطيناكم على ذلك وأعطينا عهد الله فلا تغدر بهم.

ولقد أخذ الصحابة ينظرون إلى هذا الأمر باستغراب، وقد أصابهم هم عظيم، وبخلتهم
شكوك وظنون صارت مشاعرهم جريحة لأجلها، فقد جاءوا وهم على يقين من دخول مكة،
فإن الرسول صلى الله عليه وسلم قص عليهم رؤيا أنه دخلها، لكنه لم يحدد لهم أنه دخلها هذا
العام، فلما رأوا ما رأوا من شروط الهدنة وأمر الصلح والعودة وتغذت سهيل مع الرسول
صلى الله عليه وسلم واقفياته على شخصه، دخل عليهم من ذلك كله أمر عظيم حتى كادوا أن
يهلكوا، ولم يحتمل عمر بن الخطاب ذلك، فوثب فأتى أبا بكر فقال يا أبا بكر اليس برسول الله؟
قال : بلى، قال أولسنا بالمسلمين، قال : بلى، قال أوليسوا بالمشركين؟ قال : بلى، قال فعلام
نعطي الدنيا في ديننا اقال أبو بكر : يا عمر إلزم غرزه - أي أمره - ثم أتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ألسنت برسول الله : قال : بلى قال : أولسنا بالمسلمين؟ قال : بلى قال : أوليسوا
بالمشركين؟ قال : بلى، قال فعلام نعطي الدنيا في ديننا؟ قال : أنا عبد الله ورسوله، ولن أخالف
أمره ولن يضيعني.

ولما فرغ الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتاب قال للصحابة : «قوموا فانحروا»، فلم
يقم أحد حتى قال ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد قام فدخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي
من الناس، فقالت : يا رسول الله، أتحب ذلك؟ أخرج، ثم لا تكلم أحداً كلمة حتى تنحر يدك،
وتدعو خالقك فيخلقك، فقال : فخرج ليكلم أحداً لنحر بدنه، ودعا خالقه فخلقه، فلما رأى
الصحابة ذلك قاموا فانحروا، وجعل بعضهم يخلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً.
ثم جاء نساء مؤمنات إلى المسلمين، فلما طلب أولياؤهن أن يردن عليهم بالعهد الذي
في الحديبية، رفض الرسول صلى الله عليه وسلم ما طلبه، لأن العهد لم يشمل النساء، فقد ذكر

الرجال فقط، وأنزل الله في ذلك :

«يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتنوهن الله أعلم بإيمانهن، فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعهن إلى الكفار لأن حل لهن ولا هم يحلون لهن» (المتحنة، آية 10).

تدريب (2)



ضع من القائمة (أ) مع ما يناسبها من القائمة (ب)	
القائمة (أ)	القائمة (ب)
1 / سهيل بن عمرو	1 / نزل معه عثمان بن عفان
2 / المسلمون	2 / لا يردون من جاء إليهم من الطرف الآخر
3 / علي بن أبي طالب	3 / يردون من جاء إليهم من الحارث الآخر
4 / للمشركون	4 / عقد صلح الحديبية مع النبي صلى الله عليه وسلم
5 / أبان بن سعيد	5 / رفض مسح لفظ رسول الله
ابن العاص	

3.1 نتائج الصلح والمهادنة

من النظرة الأولى لهذه الشروط تدل على أنها مجحفة بحقوق المسلمين، مرضية لكبراء قريش وحميتها الجاهلية، وقد تساهل بعضهم مستنكرين، لماذا يردون إلى قريش من جاء منهم مسلماً، ولا ترد قريش من جاء من المسلمين مرتداً؟ وقد فسر الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الشرط : بأن من ذهب إليهم كافرين من المسلمين فلا رده الله، وقد وقى المسلمين خيبتهم، أما المستضعفون من المسلمين فستعي قريش بأمرهم، كما عجزت عن سابقهم، وستكون العقبي لهم، ألم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه مستضعفين ثم نصرهم الله وخذل قريشا أمامهم .

أما أمر عودتهم هذا دون أن يدخلوا المسجد الحرام، وقد حدثوا من قبل أنهم داخلوه، فقد

بين لهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأنهم عاشرون إلى دخوله كما وعدوا، فهو لم يذكر لهم أنهم سيعطون به هذا العام .

❖ وقد آتت نيات الخير والشر ثمارها في معاهدة الحديبية بالسرعة التي كان يتوقعها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كان من أهم نتائج هذه المعاهدة الاعتراف الرسمي لقريش بالمسلمين، فقد كانت من قبل تسعى لاستئصالهم، وتنتظر أن تشهد يوماً ما نهايتهم، وكانت تحاول بالقصى قوتها الحيلولة بين الدعوة الإسلامية وبين الناس بصفتها ممثلة الزعامة الدينية والصدارة الدنيوية في جزيرة العرب، فمجرد الجنوح إلى الصلح إعراف بقوة المسلمين .

❖ كذلك مما يفهم من روح المعاهدة أن قريشاً قد تنازلت عن الزعامة الدينية والصدارة الدنيوية، وأصبح لا يهمها إلا نفسها، أما سائر الناس فلا يهمها أمرهم، وإن دخلوا جميعاً في الإسلام، وهذا فشل واضح في مخططاتها ونجاح للمسلمين .

❖ ترك الحرب وهذا يعني فتح الطريق أمام الإسلام ليتشتر سلباً، وهذا هو السبب الذي حمل المسلمون من أجله السلاح، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكن كفرة . (التوبة، الآية 13) .

❖ انقراط عقد الكفار في جزيرة العرب، فقد كانت قريش حاملة لواء الكفر والتمرد والتحدي، وعندما شاع نبأ تعاهدها مع المسلمين خربت فتن المنافقين الذين يعملون لها، وتبعثت القبائل الوثنية في أنحاء الجزيرة، وهكذا أخذ الكفر في الانحصار، بينما أخذ الإسلام في الانتشار .

❖ ولهذا اعتبر الكثير من المؤرخين صلح الحديبية فتحاً، بل إن الزمهرري يقول فيه : «ما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة، ووضعت الحرب، وأمن الناس بعضهم بعضاً، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، لم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنتين يعد الحديبية - مثلما كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر (ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، ص 308) .

والدليل على صدق الزمهرري أن الرسول صلى الله عليه وسلم خرج في عمرة الحديبية ومعه ألف وأربعمائة، وفي فتح مكة بعد عامين عشرة آلاف .

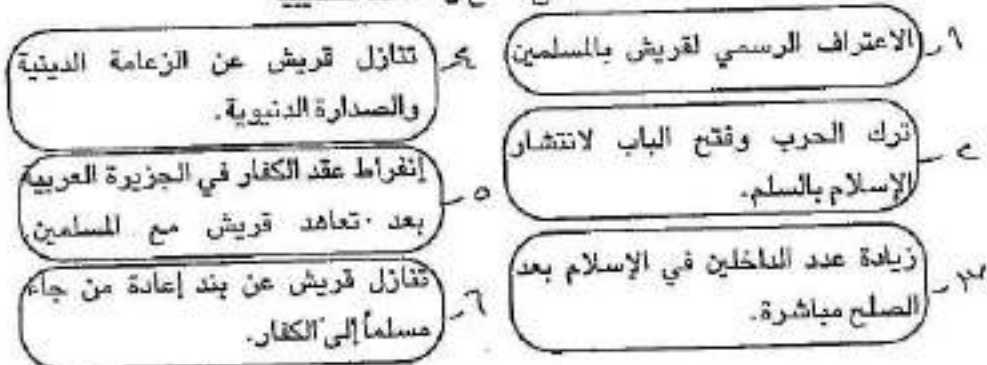
❖ ومن نتائجها المباشرة أيضاً أن قريشاً ضاقت بهذه الاتفاقية ذرعاً وبدأت تسعى لنقضها،

خاصة ذلك البند الذي أغضب المسلمين، وآخاخاص بإعادة من جاء مسلماً إلى الكفار، وعدم عودة من عاد إلى قريش من المسلمين، فقد خرج أبو بصير عبيد بن أسيد من مكة وهاجر إلى المدينة، فأرسلت قريش رجلاًين لإعادته، فدفعه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرجلين، فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فمزلوا يأكلون من تمر لهم، فأخذ أبو بصير سيف أحدهما وضربه به فقتله، وفر الثاني حتى دخل المدينة وجاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: قتل صاحبي، وإني لقتول، ثم جاء أبو بصير وقال: يا نبي الله، قد والله أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليهم. ثم أنجاني الله منهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ويل أمه، مسعر حرب لو كان له أحد، فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج من المدينة إلى ساحل البحر، وأخذ يهدد قوافل قريش المارة بطريق الساحل، وسمع المسلمون بمكة عن مقامه، وأخذوا يتلاحقون به حتى أصبح عددهم حوالي سبعين ثائراً على رأسهم أبو جندل بن سهيل، فضيقوا الخناق على قريش، فلما تمر بهم قافلة إلا هاجموها وقتلوا من فيها وصلحوا موالها، ولهذا أرسلت قريش إلى الرسول تناشده الرحم أن يؤوي إليه هؤلاء، فلا حاجة لها بهم، وبذلك تنازلت قريش عن الشرط الذي أملتة تعنتاً، وقبله المسلمون كارهين (ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، ص 240) (الغزالي، فقه السيرة، ص 236).

فأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أبي بصير وأصحابه فقدموا إليه في المدينة وهكذا انتصرت العقيدة الصادقة والمكافحة، على لؤم الأعداء ومخططات الكفر اليهودي.

شكل (1)

نتائج صلح ومعاهدة الحديبية





- 1- وضّح كيف فسر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يرد إلى قريش من جاء منهم مسلماً ولا ترد قريش من جاء من المسلمين مرتداً؟
- 2- ما هي أهم نتائج صلح الحديبية (للمعاهدة) بين المسلمين والمشركين؟
- 3- لماذا لم يرد النبي - صلى الله عليه وسلم - النساء المؤمنات إلى قريش بالرغم مما جاء في المعاهدة؟

الدروس المستفادة

- 1- كان صلح الحديبية مظهراً لتدبير إلهي محض، تجلّى فيه عمل النبوة وأثرها كما لم يتجلى في أي عمل أو تدبير آخر، فقد كان نجاحه سرّاً مرتبطاً بمكنون الغيب المطوي في علم الله وحده، ولهذا انتزع بهشة المسلمين، ولكنه يعد بمقدماته ومضمونه ونتائجه من الأسس الهامة في تقويم العقيدة الإسلامية وتثبيتها.
- 2- كان صلح الحديبية مقدمة بين يدي فتح مكة، ليكون مفتاحاً يوطئ الله به الأمور التي تعلقت إرادته بإنجازها، وإذا لم ينتبه المسلمون لذلك في حينه، فذلك لأن المستقبل غائب عنهم، ولكن عما قليل من الزمن بدأ المسلمون يستشفون أهمية هذه الهدنة وعظيم ما انطوت عليه من خير، فأمن الناس بعضهم بعضاً واختلط المسلمون بالكفار وفتحوهم بالدعوة إلى الإسلام وأسمعوهم القرآن وناظروهم على الإسلام جهرة آمنين وظهر من كان متخفياً بالإسلام.
- 3- أراد الله بهذا الاتفاق أن يبرز الفرق واضحاً بين وحي النبوة وتدبير الفكر البشري، بين توفيق النبي المرسل وتصرف العبقرى المفكر، بين الإسهام الإلهي الذي يأتي من فوق دنيا

الأسباب ومظاهرها، والأنساق وراء إشارة هذه الأسباب وحكمها، أراد الله أن ينصر نبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أمام بصيرة كل متأمل عاقل، ولعل هذا من بعض تفسير قوله تعالى: «وينصر الله نصراً عزيزاً» أي نصراً عزيزاً في بابيه.

4- أراد الله تعالى من خلال هذا الصلح أن يجعل مكة فتح مرحمة وسلم لا فتح ملحمة وقاتل، فتحاً يتسارع الناس فيه إلى دين الله أقواجاً، ويقبل فيها أولئك الذين آمنوه وأخرجوه يلقون إليه المسلم ويخضعون له الجانب، مؤمنين آيين موحدين، فجعل من دون ذلك هذا التمهيد بأخط التكاليف ولكن سريع النتائج، باهر الثمار.

تدريب (3)



أجب بقدم أو لا على ما يأتي:

- 1- نصت معاهدة (الحديبية) على وقف القتال بين المشركين والمسلمين لمدة سبع سنوات؟
- 2- جاء في المعاهدة (الحديبية) أن يرجع النبي - صلى الله عليه وسلم - لدخول مكة بعد ثلاثة أعوام؟
- 3- تضمنت معاهدة المسلمين بعد معاهدة الحديبية؟
- 4- رد النبي - صلى الله عليه وسلم - ليا بصير عبيد بن أسيد إلى قريش.
- 5- تنازلت قريش عن شرط رد من يذهب إلى المسلمين إليهم بعد تمرد مسلمي مكة وهاجموا قوافلهم وقتلوا من فيها وصادروا أموالها.

2. أحداث ما بعد صلح الحديبية

1.2 غزوة خيبر

لم تظهر من يهود خيبر عداوة واضحة للمسلمين حتى هاجر إليهم زعماء بني النضير بعد إجلالهم عن المدينة، وكان من أبرز زعماء بني النضير الذين نزلوا خيبر: سلام بن أبي الحقيق، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وحبي بن أخطب، وكانوا أكثر حقدًا على المسلمين،

كلما وجدوا فرصة للانتقام من المسلمين انتهزوها، فأصبحت خيبر وكرماً للندساتس والمؤامرات ضد المسلمين، فكانوا على اتصال دائم بقريش والمنافقين في المدينة وغطفان من أجل التنسيق والعدوان على المسلمين، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم أجّل حربهم إلى حين الانتهاء من الخطر الأكبر، وهو خطر قریش، فكانت همة الحديبية فرصة أمام المسلمين لتصفية هذا الجيب الذي يشكل خطورة على أمن المسلمين، وقد وعد الله المسلمين بمغانم كثيرة يأخذونها من خيبر إذا هزموا يهودها، وإلى ذلك أشارت سورة الفتح التي نزلت في طريق العودة من الحديبية :

«لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً، ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً، وعلم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيماً» (الفتح، الآية 25).

فلما أراد الرسول صلى الله عليه وسلم الخروج إلى خيبر أعلن ألا يخرج معه إلا راغب في الجهاد فلم يخرج إلا أصحاب الشجرة، وهم ألف وأربعمائة، فخرج بهم في المحرم من السنة السابعة للهجرة، وكانوا في روح قتالية عالية، يكبرون ويهللون بأصوات عالية، حتى حذتهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن يرفقوا بأنفسهم قائلاً : «إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم» فهم لا شك مقبلون على عدو متمرس للقتال متحصن ذي قوة وبأس، فسلكوا طريقاً بين خيبر وغطفان، فلما أحسست غطفان بذلك تهيأت وخرجت إلى خيبر لمعاونة اليهود، وفي أثناء مسيرهم سمعوا من خلفهم حركة ولغطاً فظنوا أن المسلمين أغاروا على أموالهم وأموالهم فرجعوا، وخلوا بين المسلمين وبين خيبر، فلما أشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم على القرية المحصنة دعا ربه عقب صلاة الفجر ثم قال للمسلمين : «أقدموا باسم الله»، ولم يعلم اليهود بقدوم المسلمين فخرجوا إلى مزارعهم وأعمالهم، فلما رأوا الجيش قالوا محمد والخميس (أي الجيش) ثم رجعوا مذعورين هاربين إلى مدينتهم، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم «الله أكبر، خربت خيبر، الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين» (ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، ص 249).

وكانت حصون خيبر الرئيسية سبعة وهي : حصن ناعم، وحصن الصعب بن معاذ، وحصن قلعة الزبير، وحصن أبي، وحصن النزار، وحصن الغموص، والنوطيح، والسلام، وقد وجد المسلمون عنتاً شديداً في فتح بعض الحصون، خاصة حصن ناعم الذي استغرق فتحه عشرة أيام، فلما استعصى أمره على المسلمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه» فلما أصبح الناس عدواً على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاه، فقال: «أين علي بن أبي طالب؟» وقد أصبح علي في ذلك اليوم أرمداً، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يشتكي عينيه، فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه، ودعا له، فبرئ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم» (ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 4، ص 209)

وحينما خرج علي بن أبي طالب بالمسلمين إلى الحصن، ودعاهم إلى الإسلام فرقصوا هذه الدعوة، وبرزوا إلى المسلمين بقيادة ملكهم مرحب، فدعا المسلمين إلى الميمنة وخرج يتختر بسيفه ويقول:

قد علمت خيبر أنني مرحب شاكي السلاح بطيل مجرب
إذ الحروب أقبلت تلهب

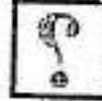
فبرز إليه علي بن أبي طالب وهو يرتجز بقوله:

أنا الذي سمعتني أمي حيدرة كليست غايات كريمة المنظرة
أوفيهم بالصاع كيل السندرة

فالتقيا فضرب علي رأس مرحب فقتله، ثم خرج ياسر نحو مرحب، وهو يقول: من يبارز؟ فبرز إليه الزبير بن العوام، فقالت صفية أمه وكانت مع الجيش: يا رسول الله يقتل إبني قال: بل إبتك يقتله فقتله الزبير، ثم دار قتال مريز حول حصن ناعم، وهو خط الدقاع الرئيس

لليهود فقتل فيه عدة سرافة من اليهود، وقد أبلى علي بن أبي طالب بلاءً حسناً في فتح هذا الحصن، فكان يقاتل أهل الحصن بشراسة حتى ضرب أحد اليهود ترسه فطرحه من يده، فتناول علي باباً كان عند الحصن، فترس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه الحصن. ثم ألقاه من يده حين فرغ (ابن هشام: السيرة النبوية، ج 3، ص 467).

أسئلة تقويم ذاتي



- 1- وضح كيف أصبحت خبير مكاناً ووكراً للدسلاسل والمزامرات ضد المسلمين.
- 2- اذكر الآية التي وعد فيها الله المسلمين بمغانم كثيرة يأخذونها من خبير.
- 3- وضح الطريقة التي دعا بها النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابه للخروج إلى خبير؟
- 4- ما هي معجزة النبي - صلى الله عليه وسلم - عندما فتح حصون خبير؟

ثم هرب اليهود إلى حصن الصعب بن معاذ، فتبعهم المسلمون يقاتلونهم حتى فتحوه بعد ثلاثة أيام من الحرب والحصار، فانتقل اليهود إلى حصن قلعة الزبير والمسلمون من خلفهم حتى أخرجوهم منه، وانتقل اليهود وتشبهوا بحصونهم يذودون عنها ذود اليأس، وشدد المسلمون عليهم الحصار، ودارت حول الحصون معارك عنيفة شارك فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم واستبسل الصحابة رضوان الله عليهم حتى فتحوها الواحدة تلو الأخرى، حتى أكملوا فتح حصون الشطر الأول من خبير وفيه خمسة حصون وهو المعروف بالنطاه، أما الشطر الثاني وهو المعروف بالكتيبة وفيه ثلاثة حصون فلم يحدث فيها كثير قتال بعد أن تجمعت فيها قلوب المنهزمين، حيث أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بنصب المنجنيق ومد الحصون، فلما أيقن اليهود بالهلكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح، فنزل زعيمهم ابن أبي الحقيق إلى رسول الله وصالح على حقن دماء من في حصونهم من المقاتلة.

وترك الذرية لهم، ويخرجون من خيبر وأرضها بذرايعهم، ويخلون بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ما كان لهم من مال وأرض، وعلى الصقراء والبيضاء - أي الذهب والفضة، والكراع والحلقة إلا ثوباً على ظهر إنسان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«وبرثت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كنتم توفوني شيئاً، فصالحوه على ذلك، وبعد هذه المصالحة تم تسليم الحصون إلى المسلمين، وتم فتح خيبر (ابن القيم ، زاد المعاد، ج 2 ، ص 136).

وبلغ قتلى اليهود في معارك خيبر ثلاثة وتسعين رجلاً، واستشهد من المسلمين عشرون رجلاً (الواقدي، المغازي، ج 2، ص 70). وسببت النساء والذرايع وكان بين السبي صفية بنت حيي بن أخطب، زعيم اليهود، حيث اشتراها الرسول صلى الله عليه وسلم فأعتقها وتزوجها. وغنم المسلمون من خيبر غنائم كثيرة، حتى قال ابن عمر: ما شبعنا حتى فتحنا خيبر، ولما رجع المسلمون إلى المدينة رد المهاجرون إلى الأنصار مئائتهم التي كانوا منحوم إياها من النخيل، حين صار لهم بخيبر مال ونخيل.

وبعد الفراغ من هذه الغزوة حاول اليهود قتل الرسول صلى الله عليه وسلم بالسم، فقد وضعت له زينب بنت الحارث زوجة سلام بن مشكم سماً في ذراع مشوية وأكثر من السم عندما علمت أن الرسول صلى الله عليه وسلم يحب الذراع المشوية، فلما أكل منه لم يستسغه ولقظه، ثم قال : هذا العظم يخبرني أنه مسموم، وأكل معه بشر بن البراء بن معرور، فمات في الحال، فلما دعيت المرأة اعترفت بذلك، وقالت للرسول صلى الله عليه وسلم: بلغت من قومي ما لم يخف عليك، فقلت : إن كان ملكاً استرحت منه، وإن كان نبياً فسيخبر، فتجاوز عنها الرسول صلى الله عليه وسلم.

وعندما نوى رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلاء يهود خيبر، جاءوا وعرضوا عليه أن يتركهم في أرضهم يفلحوها، فوافق وأعطاهم إياها على أن يدفعوا نصف زروعها وثمارها. أما بقاؤهم بخيبر فقد تم الاتفاق على أن يكون ذلك مرهوناً بمشيئة المسلمين، فمضى شاءوا أخرجهم منها، وظلوا فيها حتى أخرجهم عمر بن الخطاب في خلافته إلى تيماء

وأريحاء، لارتكابهم الجرائم في حق المسلمين، ولقبول الرسول صلى الله عليه وسلم : «مُخرجوا اليهود من جزيرة العرب» .

ولما سمع يهود فندك خبر استسلام أهل خيبر، بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلحونه على نصف الزروع والثمار، فكتب بعث الله في قلوبهم الرعب، فوافق الرسول صلى الله عليه وسلم، وتبعهم يهود تيماء ووادي القرى، وهكذا حلت الهزيمة ببني إسرائيل في جزيرة العرب، جراء خيانتهم وحقدهم التاريخي .

وقدم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في خيبر جعفر بن أبي طالب ومن معه من مهاجري الحبشة، ومعهم الأشعريون من أهل اليمن، ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقدم جعفر، وتلقاه والتزمه وقبل ما بين عينيه وقال : «والله ما أدري بأيهما أفرح؟» بفتح خيبر أم بقدم جعفر، وكان معه ستة عشر رجلاً وامرأة، فأَسَهم لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غنائم خيبر مع أهل الحديبية، ولم يقسم لأحد غيرهم معهم، فإن الله جعل خيبر مكافأة سخية لمن ساروا إلى مكة ويابعوا على الموت تحت شجرة الرضوان (ابن القيم، زاد المعاد، ج 2، ص 133) .

تدريب (4)



أكمل ما يأتي:

- 1- تقاتل علي بن أبي طالب مع في معركة خيبر وقتله .
- 2- تصالح نبيّة عن أهل خيبر مع النبي صلى الله عليه وسلم .
- 3- بلغ عدد قتلى اليهود في معارك خيبر بينما استشهد من المسلمين
- 4- بعد غزوة خيبر حاول اليهود النبي - صلى الله عليه وسلم - وذلك عندما وضعت السم للنبي - صلى الله عليه وسلم - في إلا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أدرك ذلك .
- 5- وافق النبي - صلى الله عليه وسلم - على ترك أراضي يهود خيبر ليزرعوها شريطة أن

شكل (2)

حصون خير التي فتحتها المسلمون



الدروس المستفادة

- 1- تعتبر غزوة خير هي أول غزوة هجومية قام بها المسلمون ضد أعداء الإسلام، فقد كانت الحروب السابقة كلها دفاعية، وهو دليل على أن الدعوة الإسلامية دخلت مرحلة جديدة في تاريخها، وهي مرحلة القوة الهجومية والدفاعية معاً.
- 2- كان الهدف الأساس من غزوة خير هو دعوة اليهود إلى الإسلام، ومجاريهم على كفرهم وعنادهم عن قبول الحق، وأجقايهم المعتلجة في صدورهم على الرغم من الدعوة السلمية التي قامت على الأدلة والبراهين، وكانوا على يقين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصدق منهجه كما هو موجود في كتبهم المقدسة.
- 3- إن الأرض لله يورثها من يشاء وهو لا ينتزعها من قوم ويعطيها آخرين محاياة كلاً، ولكن الأمة التي تفسد النعمة تسلب منها، ثم تساق النعمة إلى من يقدرها ويشكر الله عليها، والأمة التي تتكبر مع الحرية وتبطل تفقد امتلاكها لنفسها وحقها وأمرها لتقع في إسمار

الآخرين فيصرفون شئونها كما يشتهون، وقد طبق هذا القانون على بني إسرائيل بقسوة عندما أهدروا أحكام التوراة وتبعوا الهوى، وطبق بعد ذلك على المسلمين يوم سددوا في الغزاة وجحدوا ما لديهم من هداية. وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة، فإن أخذه أليم شديد.

4- إن الحياة كره وفر وإقبال وإدبار والنظرة العجلى إلى تاريخ البشر توحى بأن مكان الصدارة لم يثبت لأمة من الأمم، إلا ريثما تنتهيا أمة أخرى لا تنزاعه، والدول التي سادت أشبه بلجج البحر التي ترتفع جنبائهم لا تلبث أن تضمحل وريداً وريداً حتى تمحى من الوجود، ولا مانع من أن تعود مرة أخرى مع المد لتبلغ الأوج .. وقد ملك بنو إسرائيل وعزوا بقدر حكيم، ثم سلبوا الملك والعزة بقدر كذلك لترثهما دولة الإسلام الفتى الناهض، وتم هذا التحول لخير البشرية قاطبة .

نشاط



عزيزي الدارس، ظل اليهود على مر التاريخ الإسلامي ومنذ عصر النبوة الأولى في صراع مع المسلمين ويكيدون لهم المؤامرات والدسائس. من هذا المنطلق أكتب مقالاً توضح فيه رأيك حول الصراع الإسرائيلي الفلسطيني وكيف يمكن للمسلمين أن يحققوا النصر على يهود بني إسرائيل.

أسئلة تقويم ذاتي



- 1- ما هو مصير المرأة التي حاولت قتل النبي - صلى الله عليه وسلم - بالسم بعد معركة خيبر؟
- 2- من هم الذين بعثوا وسلمهم للمصالحة مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - على نصف الزروع والثمار بعد ما علموا بأمر خيبر؟
- 3- لحق بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وهو في خيبر وقد قبل النبي - صلى الله عليه وسلم - ما بين عينيه، من هو؟

2.2 مكاتبة الملوك والأمراء

بعد صلح الحديبية وارتفاع صوت الإسلام لدعم كل أنحاء الجزيرة العربية، أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يوسع دائرة الدعوة الإسلامية إلى البلاد كافة داخل الجزيرة وخارجها، فالإسلام رسالة عالمية لا تحدّها حدود جغرافية أو سياسية، «وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً» وقال أيضاً «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» (الأنبياء، الآية 107).

واستجابة لهذا التكليف الإلهي أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم الرسائل إلى زعماء العالم آنذاك يدعوهم إلى الإسلام، وكان ذلك في أواخر العام السادس من الهجرة.

فلما أراد أن يكتب إلى هؤلاء قيل له: «يا رسول الله، إن الملوك لا يقرأون كتاباً إلا محتوماً، فاتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ خاتماً من فضة، نقشه ثلاثة أسطر: «محمد رسول الله، وختم الرسائل، واختار من أصحابه رسلاً لهم معرفة وخبرة وأرسلهم إلى الملوك وهم ستة:

1- كان الكتاب الأول للتجاشي ملك الحبشة، وحمله إليه عمرو بن أمية الضمري، فلما استلمه وضعه على عينيه ونزل من سريره، فجلس على الأرض تواضعاً، ثم أسلم وشهد شهادة الحق، وقال: «لو كنت أستطيع أن آتيه لآتيته» (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 3، ص 364).

2- وحمل الكتاب الثاني دحية بن خليفة الكلبي إلى هرقل ملك الروم، فدفع دحية بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عظيم بصرى، فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل، فقرأه وكان فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين» (الفلاحين). ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأننا مسلمون» (ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، ص 305).

وبعد أن قرأ هرقل الرسالة جمع حاشيته وعظماء دولته وقال لهم: «يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد أن يثبت ملككم وتتبعون ما قال عيسى بن مريم، قالت الروم: وما ذاك

أيها الملك؟ قال : تتبعون هذا النبي العربي ، فرفضوا ورفعوا الصليب وأحدثوا ضجة . فلما يئس منهم مرقل وخاف على نفسه ومملكه سكتهم وقال لهم : إنما قلت ما قلت لاختبركم لأنظر كيف صلابتكم في دينكم ، فقد رأيت منكم الذي أحب فسجدوا له .

3- وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن حذافة السهمي إلى كسرى فارس ، فلما قرئت عليه ، أخذ الرسالة فمزاتها ، فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «مزعج الله ملكه» . وكتب كسرى إلى باذان عامله على اليمن أن يبعث برجلين قويين يقضيان على هذا النبي ويأتيانه به ، فبعث برجلين جلددين قدما إلى المدينة ودفعاً كتاب باذان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قرأه تبسم ، وقال لهما إرجعا عني يومكما هذا وأتيا في الغد ، فأتيا في الغد ، فقال لهما : أبلغا صاحبكما أن ربي قد قتل ربه كسرى في هذه الليلة ... وبالفعل فقد سلط الله عليه ابنه شيرويه فقتله ، فرجعا إلى باذان بذلك ، فأسلم هو والأبناء الذين باليمن . (ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج 2 ، ص 186)

4- وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الحارث بن عمير الأزدي إلى عظيم بصرى من قبل الروم شرحبيل بن عمرو الغساني ، فقبض عليه وأوثقه رباطاً وقتله ، ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره .

5- وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس ملك مصر والإسكندرية وحمله إليه حاطب بن أبي بلتعة ، جاء فيه : «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبدالله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، وأسلم يؤتاك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط ، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم إلا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون» .

فلما قرأه علق عليه بكلام طيب ، وجعله في حق من عاج ، وختم عليه ، ودفعه إلى جارية له ، ثم دعا كاتباً له يكتب بالعربية ، فكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً جاء فيه :
«بسم الله الرحمن الرحيم ، لمحمد بن عبدالله من المقوقس عظيم القبط ، سلام عليك أما بعد

: فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبيا بقي، وكنت أظنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريين لهما مكان في القبط عظيم وبكسوة وأهديت بغلة لتركيبها والسلام.

ولم يزد على هذا ولم يسلم، والجاريان : مارية وسيرين، فأتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم مارية سرية له، وهي التي ولدت له إبراهيم، أما سيرين فأعطاهما لحسان بن ثابت الأنصاري.

6- وكتب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوي حاكم البحرين كتابا يدعوه فيه إلى الإسلام، وبعث إليه العلاء بن الحضرمي بذلك الكتاب، فكتب المنذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم «أما بعد، يا رسول الله فإني قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي مجوس ويهود، فأحدث إلي في ذلك أمرك» فكتب إليه الرسول صلى الله عليه وسلم يذكره بطاعة الله ورسوله، وأن يستمع إلى نصيح رسله وهو قد شفعه في قومه وعفا عن أهل الذنوب أما اليهود والمجوس فعليهم الجزية.

7- وكتب إلى هوفة بن علي صاحب اليمامة «بسم الله الرحمن الرحيم إلى هوفة بن علي سلام على من اتبع الهدى، وأعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحاف، فأسلم تسلم، وأجعل لك ما تحت يدي» واختار لحمل هذا الخطاب سليط بن عمرو العامري، فأنزله وحياه، ثم رد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم قائلاً : «ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، والعرب تهاب مكاني، فأجعل لي بعض الأمر أتبعك، وأجاز سليطاً بجائزة وكساه أثواباً من نسج هجر.

8- ثم كتب إلى ملك عمان : جيفر وأخيه عبد إيتي الجلتدي، خطاباً مماثلاً، وبعثه مع عمرو بن العاص فأسلما وبعثا بالصدقة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبهذه الكتب كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أبلغ دعوته إلى أكثر ملوك الأرض، فمنهم من آمن ومنهم من كفر، ولكن شغل فكر هؤلاء الكافرين وعرف لديهم باسمه ودينه.

الدروس المستفادة

1- إن الدعوة التي بعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنما بعث بها إلى الناس كافة، لا إلى قوم بأعيانهم، وإن رسالته إنما هي إنسانية شاملة، ليس لها طابع عنصرية أو قومية أو جماعة معينة. ولذلك اتجه صلى الله عليه وسلم بدعوته يبلغها إلى كل حكام الأرض وملوكها.

2- يدلنا موقف هرقل مع أتباعه الذين كانوا يزعمون أنهم كانوا على دين عيسى عليه السلام على مدى التكبر على الحق والتعنت في الباطل عند كثير من أهل الكتاب، وهم الذين تحول الدين في تصورهم إلى تقاليد وعصبية، فلا ينظرون إليه من حيث أنه حق أو باطل بمقدار ما يتمسكون به من حيث أنه جزء من تقاليدهم ومظهر لعصبيتهم وشخصيتهم وليكن بعد ذلك إذا شاء حقاً أو باطلاً.

3- عمله صلى الله عليه وسلم في ابتعاث الرسل يدل على أنه ينبغي على المسلمين أن يهيئوا للدعوة الإسلامية في كل أرجاء الأرض وسائلها وأسبابها، ومن أهم أسباب ذلك، المعرفة بلغة الأمم والأقوام الذين يقومون بدعوتهم إلى الإسلام وتعريفهم بمبادئه وأحكامه، فقد رأينا أنه صلى الله عليه وسلم بعث ستة رجال من أصحابه في يوم واحد إلى الملوك، وكان كل واحد منهم يتقن لغة القوم الذين بعثه إليهم.

وهذه دعوة صريحة للشباب المسلم بعامة والدعاة منهم بخاصة بتعلم اللغات الأجنبية وإتقانها كإرشاد نبوي ومطلب عصري.

4- هذه الرسائل تدل على تدرج في منهج الدعوة بأنه على المسلمين أن يقوموا أولاً بمسئولية الدعوة فيما بينهم، وأن يصلحوا من أنفسهم حتى إذا قطعوا من ذلك شوطاً كبيراً وفرغوا من تطبيق نظام الإسلام على حياتهم وسلوكهم، أن لهم حينئذ أن يقوموا بهذا الواجب الثاني، وينبغي أن نعلم أن إصلاح المسلمين أنفسهم هو جزء عظيم من دعوة غيرهم للإسلام، فالناس كانوا ولا يزالون يتحدثون عن المثل الصالح في السلوك والخلق، ليقتفوا أثره ويتبعوه، ولو كان المسلمون

اليوم معتزّين بإسلامهم مطبقين مبادئه وأحكامه لرأيت ذلك الشجاع الهادي متوشلاً بضيقه في
مجاهل إفريقيا واقاصي أوربا (البوضي، فقه السيرة، ص 255).

تدوين (5)



في أواخر العام السادس للهجرة أرسل النبي - صلى الله عليه وسلم - الرسائل
إلى زعماء العالم آنذاك يدعوهم إلى الإسلام. عزيزي الدارس أكمل الجدول أدناه من
خلال المعلومات التي أطلعت عليها في هذه الوحدة.

النتيجة	المبعوث إليه	المبعوث
.....	موذبة بن علي (اليمامة)	1/
.....		2/ نحية بن خليفة
.....	المقرن (ملك مصر)	3/
أسلم عدد كبير من قومه		4/
.....	النجاشي ملك الحبشة	5/
.....	جعفر وأخاه عبد الله	6/
.....	الجندب (عمان)	7/ الحارث بن عمير
لم يسلم ومزق الرسالة		8/

نشاط



عزيزي الدارس، ارجع إلى كتاب القرآن الكريم واستخرج عدداً
من الآيات التي تدل على أن النبي - صلى الله عليه وسلم - بعث
لكافة البشر بشيراً ونذيراً.

3.2 عمرة القضاء

لما حل ذو القعدة من السنة السابعة للهجرة، وهو أشهر الذي صد فيه المشركون المسلمين من دخول مكة، أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يعتمروا قضاء عمرتهم، ولا يتخلف منهم أحد شهيد الحديبية، فخرجوا إلا من استشهد، وخرج معه آخرون معتمرين، فكان عددهم ألفين سري النساء والصبيان، واستخلف على المدينة عوف بن الأضبط الديلي. وساق معه ستين بدنة، وأحرم للعمرة من ذي الحليفة، ولبي المسلمون معه، وخرج مستعداً بالسلاح والمقاتلة، خشية أن يقع من قريش غدر، وعندما بلغ يأجج (وادي بالقرب من مكة) وضع السلاح، وترك لحراسته مائتي رجل بقيادة أوس بن خولي الأنصاري، ودخل مكة بسلاح الراكب، والسيوف في القرب، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم راكباً ناقته القصواء، والمسلمون حوله متوشحون السيوف محدقون به يلبنون.

وخرج المشركون إلى جبل قعيقعان حسب الاتفاق المبرم، فأشاعوا أن المسلمين يحانون عسرة وضعفاً فقد هنتهم حمى يثرب، ولهذا فعندما دخل الرسول صلى الله عليه وسلم المسجد اضطلع بردائه وأخرج عضده اليمنى ثم قال : «رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة، ثم استلم الركن وأخذ بهرول ويهرول أصحابه معه، وذلك إظهاراً لقوة المسلمين وتكذيباً لإشاعة المشركين، وقد عضت السنة به بعد ذلك.

وعندما دخل الرسول صلى الله عليه وسلم مكة، كان عبدالله بن رواحة ممسكاً بخطام ناقته وهو ينشد

خلصوا بني الكفار عن سبيله خلوا فكل الخير في رسوله
يارب إني مؤمن بقبيله إني رأيت الحق في قبوله

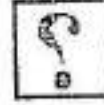
وبعد أن فرغ الرسول صلى الله عليه وسلم من الطواف والسعي نحر الهدي عند المروة، ونحر المسلمون ثم حلق وحلق المسلمون، وبعث إلى يأجج أناساً ليقبضوا على السلاح ويأتي الآخرون ليقضوا نسكهم ففعلوا، ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثة أيام، فلتاه نفر من المشركين ينكرونه بانقضاء الأجل المتفق عليه، ولما أراد الخروج من مكة تزوج

الرسول صلى الله عليه وسلم من ميمونة بنت الحارث العامرية، زوجه إياها عمه العباس بن عبد المطلب، وسميت هذه العمرة بعمرة القضاء لأنها كانت قضاءً عن عمرة الحديبية، وفيها نزل قوله تعالى: «لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون، فاعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً» (سورة الفتح، آية 27).

الدروس المستفادة

1- تعتبر هذه العمرة تصديقاً إلهياً لما وعد به عليه الصلاة والسلام أصحابه من دخولهم مكة وطوافهم بالبيت، وقد رأينا كيف سأل عمر رضي الله عنه الرسول صلى الله عليه وسلم أثناء صلح الحديبية عن وعده لهم بالعمرة، فجاء رد الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه لم يعدهم بالعمرة في نفس ذلك العام، وهكذا صدق الله وعد رسوله ورؤياه، فإزداد المؤمنون إيماناً واطمئناناً على صدق إيمانهم.

2- انطوت عمرة القضاء على معنى تمهيدي لفتح مكة والذي جاء بعدها، فقد كان لمنظر المسلمين وهم يطوفون بالبيت وهم محدقون برسول الله صلى الله عليه وسلم، وكلهم حماس ونشاط أثره النفسي الكبير في قريش التي انهزمت نفسياً من هول ذلك المنتظر، وفوجئت بقوة المسلمين وحسن صحتهم، فلجأ بعضهم يقول لبعضهم: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم؟ هؤلاء أجلد من كنا وكنا.... (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 3، ص 208)



- 1- كيف تستدل على أن هرقل كان يعلم بأن محمداً بن عبد الله هو رسول الله . وخاتم الأنبياء والمرسلين؟
- 2- من هو الملك الذي أمر بإرسال رجلين من اليمن للقبض على النبي صلى الله عليه وسلم؟
- 3- كيف أسلم ياثان العامل على اليمن من قبل الفرس؟
- 4- من هي الجارية القبطية التي أنجبت للنبي - صلى الله عليه وسلم - ابنه إبراهيم؟
- 5- لماذا سميت العمرة التي أدناها النبي - صلى الله عليه وسلم - ومعه المسلمون في السنة السابعة للهجرة بعمرة القضاء؟
- 6- ممن تزوج النبي - صلى الله عليه وسلم - في عمرة القضاء؟

4.2 شذوذة مؤتة

كانت في جمادي الأولى من السنة الثامنة للهجرة . ومؤتة قرية يادنى بلقاء الشام . وسبب الغزوة كما سبق وأن ذكرنا ، أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث الحارث بن عمير الأزدي بكتابه إلى هرقل عظيم الروم فقبض عليه شرحبيل بن عمرو الغساني عامل هرقل على البلقاء ، فأوثقه وقتله ، وعادة السفراء لا تقتل ، ولهذا غضب الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون على ذلك الحدث غضباً شديداً ، فجهز إليهم جيشاً قوامه ثلاثة آلاف مقاتل ، وأمر عليه زيد بن حارثة ، وقال لهم : «إن قتل زيد فجعفر ، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة ، ودفع الراية لزيد ، وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير ، وأن يدعوا من هناك إلى الإسلام ، فإن أجابوا وإلا استعانوا بالله عليهم وقتلوهم .

ولما تهيأ الجيش الإسلامي للخروج حضر الناس وودعوا أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسلموا عليهم بقولهم : صحبكم الله بالسلامة ودفع عنكم وريكم إلينا سالمين ، فقال عبدالله بن رواحة يرد على هذا الوداع :

لكنني أسأل الرحمن مغفرة
أوطعنة بيدي حران مجهزة
وضربة ذات فرع تغذف الزبدا
بحرية تغذ الأحشاء والكبد
يا أرشد الله من غار وقد رشنا
حتى يقال إذا مروا على جدتي

ثم مضوا حتى نزلوا معان من أرض الشام، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مأب من أرض
البلقاء في مائة ألف من الروم، وانضم إليهم من لحم وجذام وبلقين وبيراء وبللى مائة ألف
بقيادة مالك بن رافلة، فلما بلغ المسلمين ذلك، حاروا في أمرهم، ثلاثة آلاف مقاتل في مقابل
مائتي ألف مقاتل، وأقاموا ليلتين في معان يتشاورون في أمرهم، وقالوا : نكتب إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنخبره بعدد عدونا، فيما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره
فنمضي له .

ولكن عبدالله بن رواحة عارض هذا الرأي وشجع الناس قائلاً : «يا قوم، والله إن التي
نكرمون للتي خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا
بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فأنطلقوا فإنما هي إحدى الحسينين، إما ظهور وإما شهادة،
وأخيراً استقر الرأي على ما دعا إليه عبدالله بن رواحة .

ثم تحركوا حتى لقيتهم جموع فعسكروا هناك وتعبأوا للقتال، ثم التقى الجيشان، ثلاثة
آلاف يقاتلون بالإيمان ضد مائتي ألف كلهم عدة وعتاد، فقاتل زيد بن حارثة حتى استشهد،
وأخذ الراية جعفر فاقتحم القوم يقاتل، فلما أرفقه نزل عن فرس له شقراء فعقرها، ثم قاتل
حتى قطعت يمينه، فأخذ الراية بشماله، ولم يزل يقاتل حتى قتلته شماله، فاحتضنها
بعضديه، فلم يزل رافعاً إياها حتى استشهد، وهو ينشد :

يا حبيذا الجنة واقترابها طيبة وبارداً شرابها
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها
على إذ لاقيتها ضرابها

فأبدله الله بجناحيه جناحين في الجنة يطير بهما حيث يشاء، ولذلك سمي بجعفر الطيار
ثم أخذ الراية بعده عبدالله بن رواحة، ثم تقدم بها وهو على فرسه، ثم تردد بعض

التردد ثم قال مرتجراً :

أقسمت يا نفس لتتزلزلن لتتزلزلن أو لتكسرهن
إن أجلب الناس وشدوا الرنة مالي أراك تكسرين الجنة
وقال أيضاً :

يا نفس إن لم تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت إن تشعلي فعلها هديت

ثم نزل ساحة المعركة، فأتاه ابن عم له بقطعة من لحم فقال له : شد بها صلبك، فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت، فأخذها فوضعها في فمه، ثم قال مخاطباً نفسه : سوانت في الدنيا، ثم أقامها، وأخذ سيفه وقاتل حتى استشهد، وحينئذ تقدم رجل من بني عجلان يدعى ثابت بن أقرم، فأخذ الراية وقال : يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم، فاصطلحوا على خالد بن الوليد، فقاتل خالد قتالاً مريراً وصمد حتى انتهى ذلك اليوم، وفي اليوم الثاني تمكن خالد من سحب جيش المسلمين من المعركة، بعد أن قام بمناورة خدع فيها جيش الروم بمهارة فائقة، فظن الروم أن المسلمين قد أتاها مدد، فلم يهاجموهم أو يطاردوهم من الخلف، ثم عاد الروم إلى بلادهم، وبذلك نجح خالد في إخراج المسلمين من المعركة بأقل الخسائر، فقد بلغ شهداؤهم اثني عشرة رجلاً فقط، رغم ضراوة القتال، أما قتلى الروم فلم يعرف عددهم، ولكن وصف المعركة يدل على كثرتهم (ابن سعد، الطبقات الكبرى، ص 175) وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد نعى إلى أهل المدينة استشهاد الثلاثة وعيناه تذرقان، وعلى الرغم من أن المسلمين لم يحققوا أهدافهم من هذه المعركة، والمتمثلة في الثار لرسول رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا أنها حققت سمعة طيبة وكبيرة في صالح المسلمين، فقد اندهش أعداء الإسلام من مواجهة جيش المسلمين الصغير لأكثر قوة في الأرض آنذاك، وقد خرجوا من المعركة بدون خسائر تذكر قياساً بقوة عدوهم.

شكل (3)

الأمراء الذين تناوبوا على راية المسلمين في غزوة مؤتة

زيد بن حارثة	ثم	جعفر بن أبي طالب	ثم	عبد الله بن رواحة
١		٢		٣

وعندما بلغ خبر استشهاد جعفر وصحبه أهل المدينة أصابهم حزن شديد، وحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم على فراق جعفر، وعلت أصوات النساء في المدينة يبكين جعفرًا وصحبه، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا تبكوا على أخي بعد اليوم، والدعوا لي بني أخي فجيء بهم فداعبهم، وأمر بحلق رؤوسهم ودعا لهم. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد استقبل هذا الجيش العائد تخفيفاً لهم، وكان الناس يصيحون في وجوههم، يافزار، فررتم في سبيل الله... فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «ليسوا بالفزار ولكنكم الكرار إن شاء الله».

أسئلة تقويم ذاتي

- 1- اذكر السبب المباشر لغزوة مؤتة.
- 2- من هو أمير جيش غزوة مؤتة ومن هم نوابه؟
- 3- لماذا رأى المسلمون أن يكتبوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أمر مواصلة غزو هرقل وحريه؟
- 4- كم كان عدد شهداء غزوة مؤتة من المسلمين؟
- 5- على من اصطاح جيش المسلمين بعد استشهاد عبد الله بن رواحة لتسلم الراية؟



شكل (4)

أحداث ما بعد صلح الحديبية



1- تحقق في هذه الغزوة أن الشورى يجب أن تستصحب أينما حلوا، في السلم أو الحرب، وهكذا فقد تشاور الصحابة في هذا الطرف العصيب في تنصيب أميرهم، فجاه سيف من سيوف الله كان في غمده حديث عهد بالإسلام، ولكنه خبير حرب مجرب استطاع أن يتقذ المسلمين بطريقة أذهلت كل الأعداء، إنه خالد بن الوليد، ولولا الشورى لجرت الأحداث على غير ذلك، هذا المبدأ الذي تخلت عنه أمة الإسلام اليوم قضيعوا الكفارات وقتلوا أصحاب القدرات، فكان هذا الضعف في كل المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية .. وبداننا نلث وراء الديمقراطية الغربية عليها تحقق لنا شيئاً من المأمول.

2- إن ظهور الحزن على رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما جاء خبر استشهاد الأمراء الثلاثة لدليل على ما جعله الله فيه من الرحمة، ولا يناقني ذلك الرضا بالقضاء، ويؤخذ منه ظهور الحزن على الإنسان إذا أصيب بمصيبة لا يخرج من كونه صابراً راضياً إذا كان قلبه مطمئناً، بل قد يقال إن من كان ينزعج بالمصيبة صابراً راضياً إذا كان قلبه مطمئناً، بل قد يقال: إن من كان ينزعج بالمصيبة ويعالج نفسه على الرضا والصبر أرفع رتبة ممن لا يبالي بوقوع المصيبة أصلاً.

تدريب (6)

لقد تمثل في غزوة مؤتة معنى مهم من معاني التربية الجهادية وهو التوكل على الله. وضح ذلك.





عزيزي الدارس، لقد اختللت أساليب ووسائل محاربة الكفار للمسلمين عبر العصور. وفي عصرنا هذا استخدم الكفار وسيلة الإعلام كزاجدة من وسائل الحرب على الإسلام والمسلمين، أجمع عزيزي الدارس عدداً من أصدقائك وتناكروا حول كيفية التصدي لهذه الهجمات الإعلامية.

3. فتح مكة وما بعده من أحداث 1.3 فتح مكة

جاء في صلح الحديبية أن من شاء أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، فدخلت خزاعة في عقد محمد صلى الله عليه وسلم وعهده، ودخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم، وكان بين القبيلتين ثار وعداوة في الجاهلية، توقفت بعد توقيع هذه الاتفاقية، ولكن لم تستكمل هذه الاتفاقية عامين حتى أغارت بنو بكر على خزاعة في شعبان من السنة الثامنة للهجرة ليلاً، وهم على ماء يقال له الوثير، وهو قريب من مكة، فقتلوا منهم رجالاً وهم يصلون، ثم انحازت خزاعة إلى مكة، فتبعتهم بنو بكر، وأعانتهم قريش بال سلاح والرجال، فلجأت خزاعة إلى دار بديل بن ورقاء الخزاعي بمكة، فأسرع عمرو بن سالم الخزاعي فخرج حتى قدم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، فوقف عليه وهو جالس في المسجد وحوله الناس، فأنشد مستنصراً:

يغارب إنني ناشد محمداً حلفنا وحلف أبيه الأتلسا
قد كنتم ولداً وكننا والداً ثمة أسلمنا ولم نخرج يدا
إن قريشا قد أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وقتلونا ركعاً وسجداً

فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: «نصرت يا عمرو بن سالم». ولأن هذا التصرف

من قريش يعد نقضاً لمعاهدة وصلاح الحديبية، فقد ندمت قريش على فعلتها، خشية انتقام المسلمين لحلفائهم، ولهذا عقدت اجتماعاً طارئاً قررت فيه إرسال أبي سفيان إلى الرسول صلى الله عليه وسلم للاعتذار وتجديد الصلح. فقدم أبو سفيان المدينة، فدخل على ابنته أم حبيبة، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه، فقال: يا بنية، أرغيت بي عن هذا الفراش، أم رغبت به عني؟ قالت: بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنت رجل مشرك نجس، فقال: والله لقد أصابت بعدي شر، ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكلمه، فلم يرد عليه شيئاً، ثم ذهب إلى أبي بكر، فكلمه أن يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما أنا بفاعل، ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه، فقال: أنا أشفع لكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به، ثم سفل إلى علي بن أبي طالب، فقال له: أشفع لي إلى محمد، فقال: ويحك يا أبا سفيان، لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما نستطيع أن نكلمه فيه.

وهكذا فشلت سفارة أبي سفيان وغاد إلى قريش وهو أكثر حيرة وخوفاً من ذي قبل، فسخرت منه قريش، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أمر عائشة رضي الله عنها أن تجهزه قبل أن يعرف الناس نقض قريش للعهد، ثم أمر الناس بالجهاز وأعلمهم أنه سائر إلى مكة، وقال: اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها.

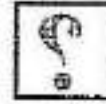
وفي أثناء هذا الإعداد السري كتب صحابي جليل، وهو حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى جماعة قريش يخبرهم بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، ثم أعطاه إلى امرأة استأجرها لتوصله إليهم، فجعلته في شعرها، ثم جاء الخبر من السماء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما صنع حاطب، فبعث علياً والمقداد والزبير لإدراك المرأة وأخذ الكتاب منها، فانطلقوا حتى لحقوا بها، فسألوها عن الكتاب فأنكرت ففتشوا رحلتها فلم يجدوا فيه شيئاً، فهددها علي بتجريدتها من ثيابها، فأخرجته من سفائر شعرها، فأتوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش، يخبرهم بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا الرسول حاطباً، فقال له: «ما هذا يا حاطب؟» فقال: لا تعجل علي يا رسول الله، والله إني لمؤمن بالله

ورسوله، وما ارتددت ولا بدلت، ولكنني كنت امرأاً ملصقاً في قريش، لست من أنفسهم، ولي فيهم أهل وعشيرة وولد، وليس لي فيهم قرابة يحقونهم، فأحببت إذ فأنني ذلك أن اتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي، فقال عمر بن الخطاب : دعني يا رسول الله أضرب عنقه، فإنه قد خان الله ورسوله، وقد تافق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه قد شؤد يدرأ، وما يدريك يا عمر لعل الله قد أطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، فأنزل الله :

«يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء، تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي، تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم، ومن يفعل ذلك فليس منكم فقد ضل سواء السبيل (الممتحنة، الآيات، 109، 110) .

أسئلة تقويم ذاتي

- 1- متى أغارت قبيلة بنو بكر على قبيلة خزاعة وفي أي مكان؟
- 2- من هو الذي طالب النصرة من النبي - صلى الله عليه وسلم - من قبيلة خزاعة؟
- 3- لماذا ندمت قريش على معاونة قبيلة بني بكر؟
- 4- ما هو سبب طي أم حبيبة لفراش للنبي - صلى الله عليه وسلم - في وجود والدها أبي سفيان؟
- 5- لماذا أرسل حاطب بن أبي بلتعة رسالة إلى قريش يخبرهم فيها بقدوم جيش محمد - صلى الله عليه وسلم - بالرغم من أنه من الصحابة؟
- 6- كيف علل حاطب بن أبي بلتعة ما فعله إلى النبي صلى الله عليه وسلم؟



وفي رمضان من السنة الثامنة من الهجرة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة متجهاً إلى مكة، ومعه عشرة آلاف من الصحابة، واستخلف على المدينة أبا رهم الغفاري، فلما وصل الجحفة لقيه عمه العباس بن عبدالمطلب قادماً من مكة، مسلماً مهاجراً ومعه أهله وعياله فعاد معه، فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بمر الظهران ليلاً، فأمر الجيش أن يوقدوا النيران، فأوقدت نيران كثيرة، ولم تعلم قريش شيئاً، ولكنها نث قلقاً خاصة بعد فشل سفارة أبي سفيان،

ولهذا كانوا يخرجون ليلاً يتحسسون الطرقات، فخرج في تلك الليلة أبو سفيان وحكيم بن حزام ومبديل بن ورقاء، وكان العباس قد ركب على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتس شخصاً محتجباً ليرسله إلى قريش ليخرجوا يستأمنون رسول الله قبل أن يتخطها، وبينما هو سائر سمع صوت أبي سفيان فتعرفه، فناداه أبا حنظلة؟ فعرف أبا سفيان صوت العباس، فقل: أبا الفضل؟ قال: نعم، قال: مالك؟ قال: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس، واصباح قريش، ولو عرفك لضرب عنقك فأركب معي فأرده في البغلة، وانطلق به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رآه عمر بن الخطاب أراد أن يضرب عنقه، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم نهاه، وأمر العباس بأن يأخذه معه إلى خيمته ويلتبه به في الصباح، فلما أتاه في الصباح عرض عليه الرسول صلى الله عليه وسلم الإسلام فأسلم، فقال العباس: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الغدر فأجعل له شيئاً، قال: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» (ابن سعد، الطبقات، ج 2، ص 135)

ثم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم العباس أن يحبس أبا سفيان عند الجبل حتى تمر به جنود الله غيرهما، ففعل، فكان كل ما مرت به كتيبة سأل من هؤلاء؟ فيقول له العباس: هذه بنو فلان، فيقول وسالي وليتي فلان؟ ومكنا حتى مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبة الخضراء، وفيها المهاجرون والأنصار، لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد، قال: سبحان الله يا عباس من هؤلاء؟ قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار، قال: ما لأحد هؤلاء قبل ولا طاقة، ثم قال والله لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيماً، فقال العباس: ويحك يا أبا سفيان؟ إنها النبوة، قال أبو سفيان، نعم إذاً، وكانت راية الأنصار مع سعد بن عباد، فلما مر بأبي سفيان قال له: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذل الله قريشاً، فذهب أبو سفيان وأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بل اليوم يوم تعظم فيه الكعبة، اليوم يوم أعز الله فيه قريشاً، ثم أرسل إلى سعد فنزع منه اللواء ودفعه إلى ابنه قيس وقيل للزبير».

ثم أسرع أبو سفيان إلى مكة وصاح بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فقامت إليه زوجته هند بنت عتبة فأخذت بشاربه فقالت: اقتلوا

الحمي (وعاء السمن الدسم) الأخمس الساقين، قبح من طليعة يوم، فقال : ويحكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فإنه قد جاءكم بنا لاقيل لكم به. فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، قالوا : تاتلك الله، وما تغني عنا دارك؟ قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد، وبعثوا بعض فرسانهم بالسلاح لمواجهة المسلمين، كان من بينهم عكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو وتجمعوا في الخدمة . (وهو اسم جبل بمكة) .

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمضى حتى انتهى إلى ذي طوى وطأاً رأسه تواضعا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، وهناك وزع جيشه، وكان خالد على المينة، فأمره أن يدخل مكة من أسفلها وقال لهم : إن عرض لكم أحد من قريش فأحصدوه حصداً، حتى توافوني على الصفا، وكان الزبير على الميسرة فأمره أن يدخل مكة من أعلاها، ويغرز رايقه بالحجون، وينتظر فيها حتى يأتيه، وكان أبو عبيدة على الرجالة، فأمره أن يأخذ بطن الوادي حتى يدخل مكة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتحرك الجيش كل كثيفة في اتجاهها المحدد، ولم يصادف مقاومة منهم إلا خالد بن الوليد، حيث اصطلم بسفهاء المشركين في الخدمة، فقتل منهم اثني عشر رجلاً وانهمز الباقيون مذعورين، ففر حماس بن قيس وكان يجمع السلاح للمشركين حتى دخل بيته وقال لامراته أغلقي علي بابي، فسألته عن سبب هذا الرعب الذي انتابه فقال :

إنك لو شهدت يوم الخدمة إذ فر صفوان وقر عكرمة
واستقبلتنا بالسيوف المسلعة يقطعن كل ساعد وجعجمة
ضرباً فلا يسمع إلا غصمة لهم نهبت خلفنا وهممة
لم تنطقي في اللوم أدنى كلمة

تدريب (7)



قررت قريش إرسال أبي سفيان إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - في المدينة بعد أحداث بني بكر وخزاعة لتجديد الصلح . وعند لقاء النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يكفحه فأخذ يتجول بين الضحاية للوساطة عند النبي - صلى الله عليه وسلم - أمام كل اسم ، اكتب ملوذه على أبي سفيان .

1 / أبو بكر الصديق .

2 / عمر بن الخطاب .

3 / علي بن أبي طالب .

وتجمعت الجيوش ، ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرون والأنصار يحيطون به حتى دخل المسجد ، فاقبل إلى الحجر الأسود فاستلمه ، ثم طاف بالبيت وفي يده قوس وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً ، فجعل يطعنهما بالقوس ويقول : جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً (الإسراء ، الآية 81) والأصنام تتساقط على وجوهها ، ثم دعا عثمان بن أبي طلحة ، فأخذ منه مفتاح الكعبة ، فأمر بها ففتحت ، فدخلها ، فأمر بإزالة ما فيها من صور فمحييت ، ثم صلى فيها ، وخرج ووقف على بابها وقريش قد ملأت المسجد صفوفاً تحته ينتظرون ماذا يصنع ، فقال :

« لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثرة أو مال أو دم فهو تحت قدمي هاتين ، إلا سداً للبيت وسقاية الحاج ... »

يا معشر قريش : إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم وأدم من تراب ، ثم تلا هذه الآية : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير (الحجرات الآية 13) .
ثم قال : « يا معشر قريش ، ما ترون أنني فاعل بكم ؟ قالوا : خير ، أخ كريم وابن أخ كريم ،

قال : «إني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته : «لا تثريب عليكم اليوم أذهبوا فأنتم الطلقاء»
ولذا عرفوا في التاريخ بالطلقاء» .

ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وقال : «أين عثمان بن طلحة؟
فدعى له ، فقال له : «هاك مفاتحك يا عثمان ، اليوم يوم بر ووفاء ، وأعطاه مفتاح الكعبة . وسمح
رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم لخزاعة أن تأخذ بفارها من بني بكر لقتلها
بالتوتير ، وعندما دخل العصر أمر بكف السلاح من بني بكر ، ومنع القتل بعد ذلك . وعندما
قذلت خزاعة بكرياً في اليوم التالي غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك ودفع دية
البكري .

وحانت الصلاة فأمر بلالاً أن يصعد فيؤذن على الكعبة ، قائلاً : فقال عقاب بن أسيد :
«لقد أكرم الله أسيراً إذ قبضه قبل أن يرى هذا الأسود على ظهر الكعبة» .

وأصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ دماء تسعة نفر من أكابر المجرمين ، وأمر
بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة . فقتل بعضهم وتشفع بعض الصحابة للرسول صلى
الله عليه وسلم عن بعضهم ، فأمّنهم فأسلموا وحسن إسلامهم مثل : عبد الله بن أبي السرح ،
وعكرمة بن أبي جهل ، وهبار بن الأسود ، وسارة مولاة بني عبدالمطلب ، وكعب بن زهير
ووحشي بن حرب .

ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصفا لأخذ البيعة من الناس ، فبايعوه على
السمع والطاعة فيما استطاعوا ، وبعد الرجال فرغ لبيعة النساء وعمر أسفل منه يبايعهن بأمره
ويبلغهن عنه ، فبايعهن على ألا يشركن بالله شيئاً ، ولا يسرقن ولا يزنين ، ولا يقتلن أولادهن
ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ، ولا يعصينه في معروف ، فبايعهن على ذلك ،
وكانت فيهن هند بنت عتبة ، زوجة أبي سفيان متنقبة متنكرة لخشيقتها مما صنعت بحمزة يوم
أُحد ، فلما قال الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا يقتلن أولادهن «ردت إليه : ربيناهم صفاراً
وقتلتموهم كباراً ، تقصد ابنها حنظلة الذي قتل يوم بدر ، فعرفها رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فتبسم ، وضحك عمر حتى استلقى ، ولما أطمأن الرسول صلى الله عليه وسلم على

الفتح أرسل بعوثاً لهدم أكبر الأصنام خارج مكة: فبعث خالد بن الوليد في ثلاثين رجلاً إلى بطن نخلة من ديار ثقيف لهدم العزى صنم مضر وقريش وكنانة، فهدمها، وأرسل سعد بن زيد الأشهلي في عشرين فارساً إلى صنم مناة بالمشعل من ناحية قديد، وكانت تحظمه الأوس والخزرج، فهدمها، وبعث عمرو بن العاص إلى سواع، صنم هذيل، فهدمها، وهذه الأصنام هي التي أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: «أقرايتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى» (النجم، الآيات 19، 20).

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد الفتح تسعة عشر يوماً يحدد معالم الإسلام، ويرشد الناس إلى الهدى والتقوى، ويأمر الناس بتطهير بيوتهم من آثار الشرك، فننادى مناديه: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنماً إلا كسره».

أسئلة تقويم ذاتي



- 1- لماذا أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يحبس أباسفيقن في الجبل؟
- 2- ما هو سبب نزاع النبي - صلى الله عليه وسلم - راية الأنصار من سعد بن عباد؟
- 3- ما هو أول ما فعله النبي - صلى الله عليه وسلم - عندما دخل البيت الحرام؟
- 4- ماذا كان يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يحطم الأصنام التي حول الكعبة؟
- 5- إلى من أعطى النبي - صلى الله عليه وسلم - مفتاح الكعبة بعد أن أطلق سراح معشر قريش؟

الدروس المستفادة

- 1- إن من أهم الدروس التي نستقيها من فتح مكة هي التضحية بالأرض والوطن والذئس والمال والأهل في سبيل الإسلام، فلن يضيع شيء من ذلك كله أن بقي الإسلام، ولكن ذلك كله لن يغني عن صاحبه شيئاً إن لم يبق له الإسلام.

٢- يعطينا فتح مكة درساً بليغاً في قيمة الجهاد والاستشهاد والمحن التي تمت من قبله، وأن شيئاً من ذلك لم يذهب بدار، ولم ترق نقطة دم لمسلم هدر، ولم يتحمل المسلمون كل ما لاقوه، مما قد رأيت في غزواتهم وأسفارهم، لأن رياح المصادمات فاجأتهم بها، ولكن كل ذلك كان جارياً وفق حساب .. وكل ذلك كان يؤدي أقساطاً من ثمن الفتح والنصر، وتلك هي سنة الله في عباده، لا نصر بدون إسلام صحيح، ولا إسلام بدون عبودية له، ولا عبودية بدون بذل وتضحية وضراعة على باب جهاد في سبيله، فأولئك الذين خرجوا بالأمس مستخفين خائفين، وقد تركوا الوطن والمال والأهل، ما هم أولاء وقد رجعوا إلى الوطن والأهل والمال، وقد كثروا بعد قلة، وتقووا بعد ضعف، واستقبلهم أولئك الذين أخرجوهم بالأمس خاشعين أذلاء خاضعين .. ودخل أهل مكة في دين الله أفواجا، وصعد بلال الحبشي فوق الكعبة، ذلك الذي كان يجر في رمضان مكة، فهاهو يعلو الكعبة وكل الأنظار تتجه إليه وهو يقول: الله أكبر، الله أكبر ..

٣- ومن الدروس أيضاً، أن معركة الحق والباطل طويلة لا تنتهي، فقد دفع أناس أكثر أرواحهم رخيصة في سبيل الله، ولم يحضروا جني الثمار التي غرسوها، وجنى الأحياء منهم ثمار النصر وهكذا يعلمنا الإسلام عدم تعجل نتائج العمل الإسلامي، فالمسلم عليه أن يغرس الشجر ويأتي مسلم غيره يجني الثمر، لأن المال الحقيقي هو الدار الآخرة، فهناك الجزاء الأوفى للمؤمنين والكافرين جميعاً .
فاصبر فإن وعد الله حق، فاما ثرينك بعض الذي نعدم أو نتوفيتك فإلينا يرجعون (غافر، الآية ٧٧) .

٤- يدلنا سبب فتح مكة أن مباشرة البعض لنقض العهد بمثابة مباشرة الجميع لذلك، ما لم يبد الآخرون استنكاراً حقيقياً له، فقد اكتفى الرسول صلى الله عليه وسلم بسكوت قريش وإقرارهم لما بدر من بعضهم من الإغارة على حلفاء المسلمين، دليلاً على أنهم قد دخلوا بذلك معهم في خيانة العهد.

5- في حادثة خاطب بن أبي بلتعة دليل آخر على نبوته صلى الله عليه وسلم، فإن وصفه للمرأة والمكان الذي كانت فيه وبذلك الدقة دليل على أنه الوحي، وإذن فهي النبوة، وهي التأييد الإلهي لمخطط الفتح العظيم الذي تكرم الله به نبيه والمسلمين.

6- أقر بعض العلماء جواز تعذيب المتهمة، بمختلف أنواع التعذيب، وذلك لخذاً من تهديد علي رضي الله عنه للمرأة التي حملت خطاب خاطب، ولكن الذي عليه جمهور العلماء والأئمة الأربعة بأنه لا يجوز تعذيب المتهمة الذي لم تثبت عليه الجريمة ببينة شرعية كافية، فالمتهمة بريئة حتى تثبت إدانته، والاستناد على تهديد علي رضي الله عنه للمرأة غير صحيح، لأن المرأة مدانة وليست متهمة، دل على إدانتها وجريمتها وحي نزل من السماء على أصدق الناس محمد صلى الله عليه وسلم، بالإضافة إلى أن تجريد الثياب ليس تعذيباً كالضرب والحبس وقلع الأظفار ..

7- دخل الرسول صلى الله عليه وسلم مكة مطأطأ رأسه مستغرقاً في حالة شهود مع الله تعالى وهو يتلو سورة الفتح ويدفن بها، شاكراً لله على نعمته عليه وعلى المسلمين، ولم تجد نشوة الظفر والنصر إلى نفسه سبباً، ولم يستدل على مشاعره شيء من التعاطف أو التجبر، إنها الساعة التي ينبغي أن تمتلئ بشكر الله تعالى وحده، وهكذا يجب أن تكون حال المسلمين دائماً عبودية مطلقة لله في السراء والضراء، في الرخاء والشدة، عند الضعف والقوة، وليس من شأن المسلمين إطلاقاً أن يتظاهروا بالذل لله تعالى كلما حاقت بهم مصيبة أو كرب، حتى إذا انكشف الكرب وزال الضر، أسكرتهم الفرحة بل أسكرهم الطغيان عن كل شيء، ونسوا أوامر الله تعالى وأحكامه سامحين لاهين، كما هو الحال في علمنا الإسلامي ..

تدريب (8)



- 1- عزيزي الدارس وزع النبي - صلى الله عليه وسلم - جيشه لدخول مكة. اكتب مقالا قصيرا توضح فيه التوزيعات وما اوصى به النبي (صلى الله عليه وسلم) تارقه.
- 2- ارسل النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد تلقيه البيعة بعض الصحابة لهدم اكبر الاصنام خارج مكة ، عزيزي الدارس من خلال قراءتك اكمل الجدول أدناه :

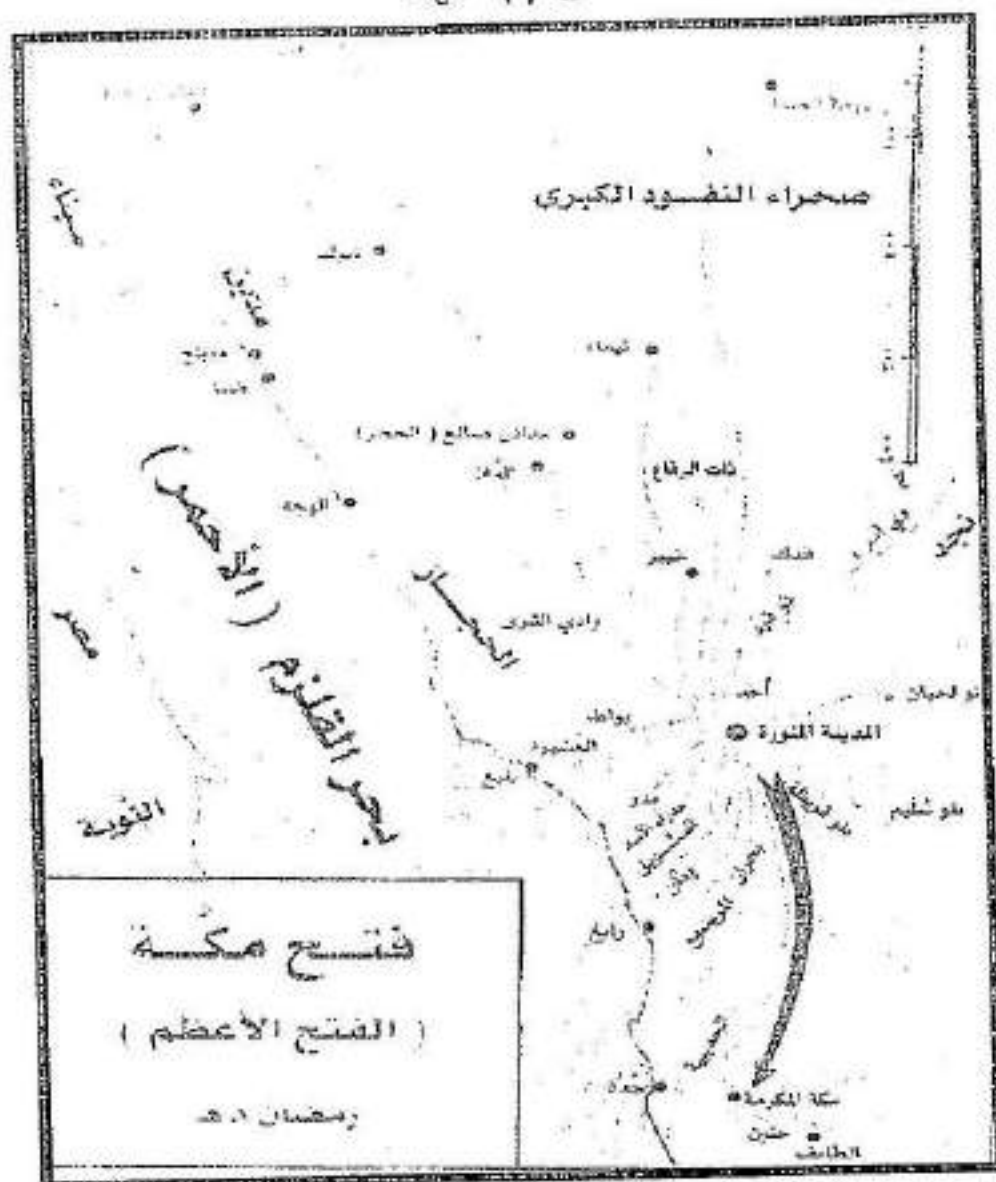
المبعوث	المكان	الصنم	القبيلة التي تعظمه

تدريب (9)



- عزيزي الدارس ، كيف تستدل على نبوة النبي - صلى الله عليه وسلم - من خلال حادثة حاطب بن أبي بلتعة؟

خريطة (7) فتح مكة



2.3 غزوة حنين

كان فتح مكة ضربة قوية لقبائل العرب، فاستسلم الكثير منها، ورفضت القبائل المتطرفة الكبيرة، وعلى رأسها هوازن وثقيف، واجتمعت إليها نصر وجشم وبعض من بني هلال، فاجتمعت كلها إلى مالك بن عوف سيد هوازن، واتلقوا على المشير لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن تتوطد أقدامه في مكة ثم يتحرك إليهم لاستئصال ما بقي من معالم الوثنية، فسار بهم حتى نزل بوادي حنين، على بعد بضعة عشر ميلاً من مكة جهة عرفات، وساقوا معهم أموالهم ونساءهم وأطفالهم حتى لا يهربوا من المعركة، وقد بلغ عددهم عشرين ألفاً.

وجاءت الأخبار إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بمسيرهم، فبعث أبا حذرد الأسلمي لياتيه بتفاصيل أخبارهم ففعل، وفي السادس من شوال سنة 8 هـ غادر الرسول صلى الله عليه وسلم مكة، وهو اليوم التاسع عشر من دخوله إياها، وخرج معه اثنا عشر ألفاً من المسلمين، عشرة آلاف كانوا معه في فتح مكة، وألفان من أهل مكة، وأكثرهم حديثي عهد بالإسلام، واستعار سلاحاً من صفوان بن أمية، واستعمل على مكة عتاب بن أسيد، وهذا العدد الكبير والعتاد يشكل أكبر جيش خرج به رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شعر بعضهم بهذه القوة وعبروا بأنهم لن يفلحوا اليوم من قلة، وشق هذا الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسار هذا الجيش حتى نزل بحنين ليلة العاشر من شوال، وكان مالك بن عوف قد سبقهم إلى بطن الوادي، ووزع كوائمه في الطرق والمداخل والشعاب والمضائق ليلاً، وأمرهم بأن يرشقوا المسلمين أول ما ظهرُوا، ثم يشدوا عليهم شدة رجل واحد.

وعند السحر عبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشه، وعقد الألوية والرايات، وفرقها على الناس، وفي فلق الصبح أخذ المسلمون يتحدرون في الوادي، وهم لا يدرون بمكان الأعداء فيه، وقجاة أخذت النبال تمطر عليهم من كل صوب، وهجمت كتائب العدو عليهم هجمة رجل واحد، فانهزم المسلمون من هول الصدمة وفروا راجعين، حتى تنذر عليهم أبو سفيان بن حرب قائلاً: هؤلاء لا تنتهي هزيمتهم بون البحر، وانحاز الرسول صلى الله

عليه وسلم جهة اليمين وهو يقول : هلموا إلي أيها الناس، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله، وكان يقول أيضاً :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وكان أبو سفيان بن الحارث أخاً بلعام بخلته، والعباس بركابه. يكفانها ألا تصرخ نحو الأعداء، ولم يبق معه إلا القليل من الصحابة، ثم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم عمه العباس وكان جهير الصوت، أن ينادي الصحابة، فقال : أين أصحاب السمرة؟ أي (أهل الشجرة) فقالوا يا لبيك، فجاءوا ينحدرون من كل صوب، وتلاحقت كتائب المسلمين واحدة تلو الأخرى، واشتبكوا مع العدو في حرب ضروس، ونظر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ساحة القتال، وقد استحر واحتدم، فقال : الآن حمي الوطيس، فما هي إلا ساعات قلائل حتى انهزم العدو هزيمة منكرة، وقتل من ثقيف وخدمهم نحو السبعين، وحاز المسلمون ما كان مع العدو من مال وسلاح وظعن، وقد وصف القرآن هذه المعركة بقوله تعالى : ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم من الله شيئاً، وضائق عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين، ثم أنزل الله سكينة على رسوله وعلى المؤمنين، وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين» (التوبة، الآيات 25، 26).

وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بجمع الغنائم فجمعت، فحبسها في الجعرانة، وجعل عليها مسعود بن عمرو الغفاري وكان عددها ستة آلاف من السبي، وأربعة وعشرون ألفاً من الإبل، وأربعون ألف شاة، وأربعة آلاف أوقية فضة، وكان من بين السبي الشيعاء بنت الحارث السعدية، أخت الرسول من الرضاعة، فلما جئ بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت له نفسها، فعرفها بعلامة فأكرمها، وبسط لها رداءه، وأجلسها عليه، ثم من عليها وردها إلى قومها.

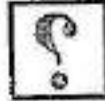
وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف حيث التجأت إليها قلوب المشركين المنهزمة ومعهم سيد هوازن مالك بن عوف، فتحصنوا بها، فجاء الرسول صلى الله عليه وسلم وحاصرها، وظال الحصار واستعصى الحصن وأصيب المسلمون من رشق الذبال وسكك

الحديد المحمّاة، فاستشار الرسول صلى الله عليه وسلم نوفل بن معاوية الديلي، فقال: هم ذئلب في جحر، إن أتحت عليه أخذته، وإن تركته لم يضرك، فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بفتح الحصار، ولما ارتحلوا قال لهم: قولوا: آيبون تائبون عابدون، لربنا حامدون وقيل له: يارسول الله ارجع على ثقيف، فقال: اللهم امد ثقيفاً واثب بهم.

ثم عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجعرانة ومكث فيها بضعة عشرة ليلة لم يقسم الغنائم، ينتظر وقد موازن تائبين ليأخذوا أموالهم، ولكن لم يأت أحد، فبدأ في تقسيمها، فأعطى المؤلف قلوبهم من أشرف وزعماء العرب النصيب الأكبر، حيث أعطى أبا سفيان بن حرب أربعين أوقية ومائة من الإبل، فقال: إبنني يزيد فأعطاه مثلها، فقال: إبنني معاوية، فأعطاه مثلها، وأعطى حكيم بن حزام مائتين من الإبل وأعطى صفوان بن أمية ثلاثمائة من الإبل، وأعطى آخرين خمسين وأربعين حتى شاع في الناس أن محمداً يعطي عطاء من لا يخاف الفقر وتزاحموا حوله.

وبعد إعطاء المؤلف قلوبهم أعطى بقية الناس، فكان نصيب الراجل إما أربعاً من الإبل، أو أربعين شاة، والفارس إما اثني عشر من الإبل أو مائة وعشرين شاة.

أسئلة تقويم ذاتي



- 1- اذكر أسماء القبائل التي تجمعت لحاربة النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد فتح مكة؟
- 2- كيف دارت النائرة في بادئ الأمر على المسلمين في غزوة حنين؟
- 3- من هو الذي تنذر على المسلمين يوم حنين؟
- 4- اذكر الآية التي نزلت على النبي - صلى الله عليه وسلم - تصف معركة حنين.
- 5- ماذا فعل النبي - صلى الله عليه وسلم - بالشيماء بنت الحارث السعدية أخته في الرضاعة؟
- 6- إلى أين هربت جيوش المشركين المنهزمة في معركة حنين؟
- 7- بماذا دعا النبي - صلى الله عليه وسلم - لتقيف عندما طلب أن يدعو عليهم؟

شكل (5)

تقسيم النبي (صلى الله عليه وسلم) لغنائم غزوة حنين على المواقفة ثلوثهم

40 أوقية / 100 إيل	أبو سفيان بن حرب
40 أوقية / 100 إيل	معاوية ويزيد بن أبي سفيان
200 إيل	حكيم بن حزام
300 إيل	صفوان بن أمية
40 / 50 إيل	آخرون

كانت هذه القسمة مبنية على سياسة حكيمة، لم تفهم أول الأمر، فاطلقت السنة شتى بالاعتراض، فوجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم من تلك القسمة، وانطلقت فيهم القالة، حتى قال قائلهم: لقي والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه، فدخل سعد بن عبادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيل الذي أصبت، قسمت في قومك، وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب، ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء، قال: فأين أنت من قومك؟ قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي، قال: فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة، فجمع سعد قومه في تلك الحظيرة، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا معشر الأنصار، ما قالة بلغتني عنكم، وجدتموها على أنفسكم؟ ألم أتكم ضللاً فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بلى الله ورسوله أقدر وأفضل. ثم قال: ألا تحببونني يا معشر الأنصار؟ قالوا: بمانا فحبك يا رسول الله؟ والله ورسوله لن وأفضل، قال:

أما والله لو شئتم لقاتم، فصدقتم ولمصدقتم: أثبتنا مكنياً فصدقناك ومخولاً فنصرك، وطريقاً فأوديناك، وعقلاً فأسيناك.

لو جئتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لجة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا وكنتمكم إلى إسلامكم؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رحلكم؟ هو الذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، وأولئك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار، اللهم أرحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار.

فيكي القوم حتى اخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله صلى الله عليه وسلم قسماً وحفلاً، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتفرقوا (ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، ص 499).

وبعد توزيع الخنثام جاء وفد مؤازر مسلماً، وعلى رأسهم زهير بن صرد، وفيهم أبو يرقان عم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة، فأسلموا وبايعوا، وطلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرد إليهم سبي مؤازر، ففيهم أمهاتهم وأخواتهم وخالاتهم وعصاتهم، فخيرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أموالهم ونسلكهم، فاختاروا أنصابتهم وأولادهم، فعرض الرسول صلى الله عليه وسلم الأمر إلى الصلبة، حتى يأتي الأمر عن طواغية، فرفضوا، وردوا عليهم نسائهم وأبناءهم، وبعد فراغ الرسول صلى الله عليه وسلم من الجعرة أهل معتمراً منها، فأتى العمرة وانصرف بعد ذلك عاكفاً إلى المدينة فدخلها الستة عشر من ذي القعدة سنة 8 هـ.

تدريب (10)

ضع عن القائمة (أ) مع ما يناسبه من القائمة (ب)	
القائمة (أ)	القائمة (ب)
1 / مسعود بن عمرو الخفاري	1 / استشارة النبي (صلى الله عليه وسلم)
2 / مالك بن عوف	2 / أربحوا وقية وماله من الإبل
3 / نوفل بن معاوية الديلي	3 / وفد مؤازر للمسلم
4 / سفيان بن حرب	4 / شكوى الأنصار
5 / زهير بن صرد	5 / حارس خنثام غزوة حنين
6 / سعد بن عبادة	6 / قائد المشركين في غزوة حنين



الدروس المستفادة

1- تعطينا غزوة حنين درساً مهماً في العقيدة وقانون الأسباب، فإننا كانت غزوة بدر قد قوت بأن قلة المسلمين لا تضرهم شيئاً أمام كثرة أعدائهم إذا كانوا صابرين محتسبين موقنين، فإن غزوة حنين قد قررت للمسلمين بأن الكثرة أيضاً لا تقيدهم شيئاً إذا لم يكونوا صابرين موقنين بنصر الله، وقد نزلت آيات تؤكد هذه تلك.

2- جواز أن يرسل المسلمون غيوتاً على أعدائهم لأخذ المعلومات عنهم بما يفيد جيش المسلمين كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة.

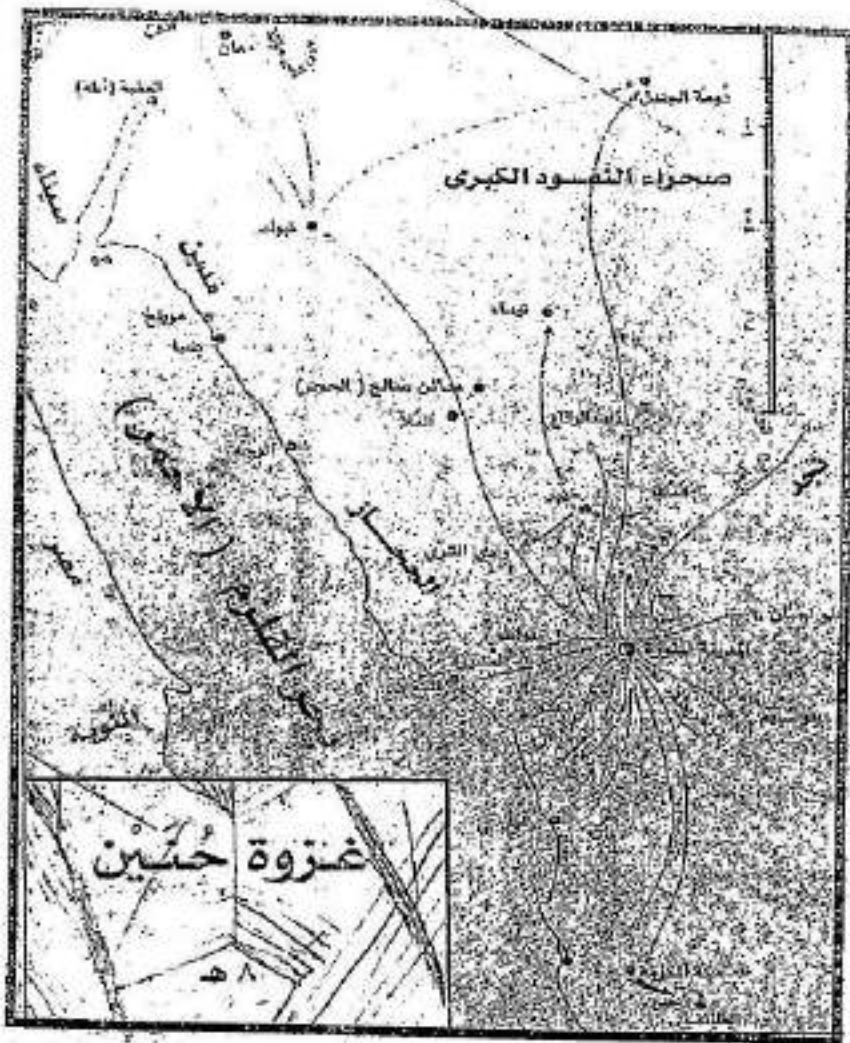
3- شجاعة القائد وصموده من موجبات النصر، وهكذا فعندما صدمت مقدمة المسلمين وانهزمت، فر الجميع، ولم يتبق مع الرسول صلى الله عليه وسلم سوى مائة من الصحابة، ولم يتراجع الرسول، بل كان يتقدم نحو الأعداء، وأبو سفيان بن الحارث والعباس يكبحان جماح بخلته من أن تتقدم نحو الأعداء، وهو ينادي المسلمين، فعاد جزء منهم خاضوا المعركة، فكان النصر، حيث أثبت الرسول صلى الله عليه وسلم شجاعة نادرة، جلبت الطمأنينة لجيشه، فعاد أكثر إصراراً على الحرب والقتال.

4- الجهاد ضد الكفار لا يعني الحقد عليهم، ذلك أن الهدف هو نشر الدعوة، وبالتالي فإن الدعوة لا تكون باللسان فقط، وإنما المعاملة أثناء الحرب لها وقع السيوف على الأعداء، وهذا هو ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين حينما سأل بعض الصحابة أن يدعو على ثقيف، ولكنه دعا لها بالخير وأن تلحق بالإسلام، فاستجيبت دعوته، وجاء وفداهم مسالماً فأسلموا وبايعوا، ورد إليهم نساءهم وأولادهم، وهكذا سبق الإسلام قوانين حقوق الإنسان وقوانين الحروب، وحقوق الأسرى .. وغير ذلك من القوانين المستحدثة، والتي تطبقها الدول الكبرى اليوم بشكل عشوائي، ضد المسلمين خاصة، كما هو الحال الآن في أفغانستان وغوانتنامو، وسجن أبو غريب بالعراق، وفي سجون إسرائيل المختلفة.

5- إن درس الرسول صلى الله عليه وسلم للأنصار في تقسيمه للغنائم لهُو خير دليل على أن وطن المسلم الحقيقي هو مكان النصرة للدين، وليس وطن الميلاد والتربية. إن كان فيه صدور للدعوة، ولهذا قال للأنصار في فتح مكة عندما تخوفوا من أن يبقى الرسول صلى الله عليه وسلم مع أمته: معاذ الله، المحيا محياكم والممات مماتكم، وأكد لهم هذا القول في خطبته فيهم بعد تقسيم الغنائم، وقد ردد الشاعر محمد إقبال هذه المقولة شعراً:

قأي أرض بها الإسلام لي وطن وأي أرض بها اسم الله تلقاني

غزوة حنين (9) غزوة حنين 8



3.3 غزوة تبوك

كانت غزوة فتح مكة هي الفاصلة بين الحق والباطل، لم يبق بعدها مجال للريبة والظن في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم عند العرب، وقد دخل الناس في دين الله أفواجا، الأمر الذي أغاظ الكفار، وخاصة الدولة الرومانية. والتي أخذت تضيق ذرعا بالإسلام منذ ظهوره بمكة، فالكنيسة لا تطيق أن يعيش بجانبها رأي يخالف رأيها في القروع البسيطة، فكيف تسمح بالبقاء لدين ينكر سلطة رجالها، وينكر مبدأ المذوكة في الألوهية. فليس للعالم إلا رب واحد، يخضع له عيسى وأمه، هذا الخلاف العقدي الواضح جعل الروم يخطئون لاقتلاع الإسلام من جزيرة العرب، فجهشوا جيوشهم في مؤنة، ولكن خاب أملهم فيها، وبقيت آثارها غصة في حلقهم.

فعندما جاء فتح مكة واستسلم العرب للإسلام شعر الروم بأن الخطر قادم إليهم لا محالة، لاسيما وأن الكثير من قبائل العرب كانت تخضع لهم، ولهذا الأسباب وغيرها أخذ قيصر الروم يجهش جيوشه ويستعد لمعركة دامية فاصلة ضد المسلمين، فجاءت الأنبياء تتراعى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم عقب مجيئه من حصار الطائف، بأن هرقل قد أعد جيشا قوامه أربعين ألف مقاتل، واستنفر معهم قبائل لخم وجذام والغساسنة وغيرهم من مقتصرة العرب، وأعطى قيادتهم لعظيم من عظماء الروم، وأن مقدمتهم قد وصلت إلى البلقاء، فأصاب المسلمين غم شديد من جراء هذه الأخبار، فإن قتال الروم ليس صداما مع قبيلة محدودة العدد والعدة، بل هو كفاح مرير مع إمبراطورية تبسط سلطانها على نصف العالم المتحضر آنذاك، وتملك من الموارد والرجال ما لم يمكن حصره، وبالإضافة إلى ذلك فإن هذه الأخبار جاءت في وقت تمر فيها البلاد بحرب وقلة في الظهر، وكانت الثمار قد طابت. فكان الناس يحبون المقادير في ثمارهم وفلالهم ويكرهون الخروج في هذا الوقت من الزمان.

ولكن أصحاب العقيدة لا يتكسون أمام الصعاب، ولا يتخاذلون مهما كانت التحديات وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أعلن في الصحابة أن يتجهزوا للقتال، ونظرا لخطورة الموقف وشدة العسرة أعلن أنه يريد قتال الرومان، وكشف للناس أمرهم ورغبهم في بذل الصدقات

وانفاق كرائم أموالهم في سبيل الله، وأرسل إلى قريش وتبئلت العرب يستحثهم على للمشاركة، فتسابق الصحابة إلى الاستجابة لندائه، وانحدروا إليه من كل صوب، ولم يرض بالتخلف عن هذه الغزوة أحد من المسلمين، إلا الذين في قلوبهم مرض والثلاثة نفر، حتى كان يأتيه الفقراء يريدون الخروج معه، فيردهم لعدم وجود وسيلة يحملهم عليها، فنكر القرآن ذلك في قوله تعالى:

«وليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم، ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون» (التوبة، الآيات 91، 92).

كما تسابق المسلمون بأموالهم، فقام عثمان بن عفان بتجهيز ثلاثمائة بعير بأقتابها وأحلاسها، وجاء بمائتي أوقية، وألف دينار، فنثرها في حجر الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان الرسول يلقبها ويقول: «ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم» وجاء عبدالرحمن بن عوف بمائتي أوقية من فضة، وجاء أبو بكر بماله كله، فساءله الرسول صلى الله عليه وسلم: «ماذا تركت لعيمالك؟» قال: «تركت لهم الله ورسوله، وجاء عمر بنصف ماله، وجاء العباس بمال كثير، وجاء طلحة وسعد بن عباد ومحمد بن مسلمة، كلهم جاءوا بمال، وتتابع الناس بصدقاتهم قليلها وكثيرها، وشاركت النساء بطيخن من أقراط وخلاخل وخواتم، ولم يبخل أحد بماله إلا المنافقون، الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجنون إلا جهدهم فيسخرهم منهم» (التوبة، الآية 79).

أسئلة تقويم ذاتي

- 1- لماذا خطط الروم لاقتلاع الإسلام من جزيرة العرب؟
- 2- متى جاءت الأنباء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - بأمر الروم؟
- 3- ما هو سبب إصابة المسلمين بالغم الشديد عندما علموا بزحف جيش هرقل إليهم؟
- 4- اذكر الآية التي نزلت بعد رد النبي - صلى الله عليه وسلم - الضعفاء والفقراء من الخروج للقتال الروم؟
- 5- من هو الصحابي الذي تبرع بكل أمواله من أجل محاربة الروم؟



ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في رجب من العام التاسع للهجرة، واستعمل على المدينة محمد بن مسلمة، وخلف علي بن أبي طالب على أهله، وحينما همزة المنافقون عليه، لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فأعادته إلى المدينة وقال له : «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي» وقد وصل عدد الجيش إلى ثلاثين ألفاً، ونظراً لكثرة هذا الجيش لم يستطع المسلمون تجهيزه كاملاً رغم ما بذلوه من أموال وجهود، فكان كل ثمانية عشر يتعاقبون بعيراً، وحينما توغلوا في الصحراء وخلص الزاد والماء، اضطروا إلى أكل أوراق الشجر، وذبحوا العير رغم قلتها، وذلك لشرب ما في بطونها من ماء، ولذلك سمي هذا الجيش بجيش العسرة .

واشتدت حاجتهم للماء حتى اشتكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا الله سبحانه فأمرت السماء حتى ارتوى الناس واحتملوا حاجاتهم من الماء، ولما بلغ تبوك قال الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه :

«تهب عليكم الليلة ريح شديدة، فلا يقيم أحد منكم، فمن كان له بعير فليشد عقاله، فهبت ريح شديدة، فقام رجل فحملته حتى ألقت به جبل طيء .

وحينما نزل الرسول صلى الله عليه وسلم بتبوك خطب في جيشه خطبة بليغة، فحضرهم على خير الدنيا والآخرة، وحذر وأئذّر وبشّر وأبشّر حتى رفع معنوياتهم واستعدوا للقاء العدو .

أما الرومان وحلفائهم، فلما سمعوا بزحف الرسول صلى الله عليه وسلم أخذهم الرعب، فلم يجترؤا على التقدم واللقاء، بل تفرقوا في البلاد، وفشلوا في مواجهة المسلمين، وبذلك حقق المسلمون مكاسب سياسية وعسكرية كبيرة، ربما لا تتحقق حتى في حالة خوض الحرب مع الروم، ومن أهم نتائجها :

فقد جاء يحنة بن ربيعة صاحب أيلة فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه الجزية، وأتاه أهل جرباء، وأهل أذرح فأعطوه الجزية، وكتب لهم كتاباً بذلك، وصالحه أهل

ميناء على ربع ثمارها، وهكذا أخذت وفود القبائل تأتيه مصالحة طائفة.

شكل (6)

مساهمة الدعوة بحماية أموالهم في غزوة تبوك

عمر بن الخطاب	أنس بن مالك	عبد الرحمن بن عوف	عثمان بن عفان
نصف ماله	كل ماله	200 أوقية	300 من العير المجهزة 200 أوقية 1000 دينار

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى تكبير دومة الجندل في أربع مائة وعشرين فارساً، وقال له: «إنك ستجده يصيد البقر» فأتاه خالد ووجده خرج يصطاد في ليلة مقمرة، فقبض عليه وجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحقق دمه وصالحه على ألفي بعير وثمانمائة رأس، وأربع مائة نزع، وأربع مائة رمح، وأقر بإعطائه الجزية .
وبذلك أيقنت القبائل التي كانت تعمل لحساب الرومان أن اعتمادها على ساداتها الأقدمين قد قات أوانه، فانتقلت لصالح المسلمين، وبهذا اتسعت الدولة الإسلامية وامتدت حدودها مباشرة مع الدولة الرومانية، وعاد المسلمون إلى المدينة مفلحين منصورين لم ينالوا كيداً، وكفى الله المؤمنين القتال، وعندما لاحت معالم المدينة للنبي صلى الله عليه وسلم قال: هذه طابت وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه، وخرج أهل المدينة لاستقباله بالترحاب والأناشيد، وكانت عودته بعد خمسين يوماً من خروجه .

وكانت هذه الغزوة لظروفها الخاصة اختباراً شديداً من الله تعالى للمؤمنين، فقد استجاب لها المؤمنون الصادقون، وتخلف عنها المنافقون، فكان الرجل إذا تخلّف ونكروه للرسول صلى الله عليه وسلم قال لهم: «دعوه فإن يكن فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يكن غير ذلك فقد أراحكم الله منه» فتخلف عن رسول الله المنافقون، وثلاثة نفر من المؤمنين

الصادقين من غير مبرر، فلما عاد الرسول إلى المدينة جاء المنافقون يستذرون بأنواع شتى من الأعذار، فقبل منهم علانيتهم وبإيمانهم وكل سرائرهم إلى الله، وقد فضحهم القرآن في سورة براءة وسورة التوبة، ومن ذلك قوله تعالى: «فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله، وكزهر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون» (التوبة، الآية 81) وكان هؤلاء قد بنوا مسجداً يلتقون فيه وحدهم ويمكرون فيه باسم الإسلام، تحت ستار التجمع للعبادة، وقد ذهبوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم قبل خروجه إلى تبوك ودعوه ليعاينهم فيه، فاعتذر بأنه على جناح سفر وسيرى الأمر بعد عودته، فلما أب بحيشه وانكشفت له خبايا المنافقين، ونهاه القرآن من دخوله أرسل إليه اثنين من الصحابة وأمرهما بحرقه وهم بداخله، فخرجوا منه مذعورين تاركين السنة الذهب تحرق حبل النفاق والمنافقين، ونزل في ذلك قوله تعالى: «والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل، وليحلقن إن أردنا إلا الحسنى، والله يشهد إنهم لكاذبون لا تقم فيه أبداً، لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه» (التوبة، الآيات 107 - 108).

أما نفر الثلاثة من المؤمنين وهم: كعب بن مالك ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، فاختاروا الصدق، فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابة بمقاطعتهم، فتم ذلك، حتى تنكرت لهم الأرض وضاعت عليهم بما رحبت «وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو القواب الرحيم» (التوبة، الآية 118) ففرح هؤلاء الثلاثة وكان ذلك أسعد يوم في حياتهم.

تدريب (11)

عزيزي الدارس، اكتب مقالا قصيراً توضح فيه عدم نشوب القتال في غزوة تبوك بين المسلمين والروم.



١ - أهمية الجهاد بالمال، فالجهاد ضد أعداء الإسلام ليس محصوراً بالخروج للغزو فحسب، فحيثما توقف أمر الجهاد بالقتال والسلاح على نفقات ومال، وجب على المسلمين كلهم أن يقوموا ما يقع موقعاً من الكفاية، بشرط أن يكون ذلك بنفسه ما يتفاوتون به من كفاية وغنى، وقد رأينا كيف فعل عثمان رضي الله عنه، حتى قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «ماضر عثمان ما فعل بعد اليوم»، وهذا بيان لفضل عثمان، وزجراً وتأديباً لكل من أراد أن يعطيل لسانه على عثمان من المتضدين الذين يقتفون آثار المستشرقين الذين يمارسون التضليل وإضعاف التاريخ الإسلامي بدموى النقد والتحليل، فليحذر أبناءنا الدارسون من تلك السموم التي تطل صحنها رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين ركاهم، وأنزل الله في شأنهم قرآناً يتلى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

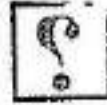
٢ - خطورة النفاق في العمل الإسلامي: فقد حظيت غزوة تبوك باهتمام كبير ونزل فيها من القرآن ما لم ينزل في غزوة أخرى. وقد تركزت هذه الآيات لتبين أهمية الجهاد بالنفس والمال في سبيل الله، وأنه الدليل القوي على إسلام المسلم، وأنه أهم فارق بين المؤمنين والمنافقين، وأن على المسلمين الحقيقيين، أن لا يركنوا إلى الدعة والراحة، وأن لا يتأثروا بما يتعرضون له من عذاب وشدة في سبيل الله تعالى، فإن الدعوة إلى الله لا بد أن يصدقها الجهاد والتعرض للمحن، حتى يتميز الصادق من الكاذب والمؤمن من المنافق، ولقد كانت غزوة تبوك أعظم مادة لهذا الدرس القرآني، فقد كان اختبار المسلمين بها أعظم لاختبار إلهي كشف عن النفاق في المدينة وميز المنافقين عن المسلمين الصادقين أعظم تمييز، وهو أعظم تحذير للدعاة في كل زمان ومكان، فإن أعداء الإسلام لا ينفذون إلهي إلا من خلال المنافقين، لأنهم يحاربون الإسلام باسم الإصلاح والمرونة والتمسك بروح التشريع، ويستخرجون منه الفتاوي الملفة تحقيقاً أو تقريباً إلى سادتهم، ولهذا كله فعلى المسلمين أن يحذروا عدوهم الخارجي مرة على أن يحذروا المنافقين فيهم ألف مرة، وأن يحاربوا أول ما يشيع

بينهم النفاق. وصدق الله حين قال : «لو خرجوا فيكم مازادوكم إلا خيلاً ولا وضعوا
خلالكم ييغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين» (التوبة آية 47)

3- تشدد الرسول صلى الله عليه وسلم مع المسلمين الذين تخلفوا، ذلك أن سياسته اختلفت
حينما جاء المنافقون معذرين، فقد صفح عنهم وقيل علانيتهم ووكّل سرائرهم إلى الله عز
وجل، وحينما جاءه المسلمون الثلاثة يسألونه الصفح، لم يصفح عنهم بل عاقبهم عقوبة
شديدة، والسبب في ذلك هو أن الشدة والقسوة في هذا المقام مظهر للإكرام والتشريف،
وهو ما لا يستأمله المنافقون الذين مصيرهم هو الدرك الأسفل من النار يوم القيامة، ولهذا
فإن التعامل معهم بحسب الظاهر فقط، أما المؤمن فيجب أن يحاسب على تقصيره وذلك
لحب الله له وزيادة في أجره وتكريمه يوم القيامة.

أسئلة تقويم ذاتي

- 1- انكر ثلاثة من القبائل التي صالحت النبي -صلى الله عليه
وسلم- بعد غزوة تبوك؟
- 2- على ماذا صالح النبي -صلى الله عليه وسلم- أكيدر ثومة
الجندل؟
- 3- ماذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم- عند عودته من تبوك وهو
على مشارف المدينة المنورة؟



4.3 عام الوفود

لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، وفرغ من تبوك وأسلمت ثقيف وبايعت
قدمت إليه وفود العرب من كل وجه، حتى أن سنة تسع كانت تسمى سنة الوفود، واستمر
تدفق الوفود في العام العاشر أيضاً، ودخل الناس في دين الله أفواجا كما قال تعالى : «إذا جاء

نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا. ويقول الشيخ الندوي: إن لفتح مكة أثره الطبيعي في نفوس العرب. فقد فتح الطريق للدخول في الإسلام ولقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة. وتقاطرت وفود هداية واستطلاع إلى مركز الإسلام كأنها عقد انفرط، فتساقطت لأعليه في حجر الإسلام، وكانت تعود إلى مراكزها تحمل روحاً جديدة، وشحنة إيمانية، وحماساً في الدعوة إلى الإسلام وكراهة شديدة للوثنية وآثارها والجاهلية وشعائرها، (الندوي، السيرة النبوية، ص 378).

وكانت الوفود تتعلم الإسلام، وتتفقه في الدين، ويشهدون أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعشرة أصحابه، وقد تضرب لهم خيم في فناء المسجد، فيسمعون القرآن، ويرون المسلمين يصلون، ويسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يجول في خاطرهم في بساطة وصراحة، ويجيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في بلاغة وحكمة ويستشهد بالقرآن، فيؤمنون ويطمئنون، وقد بلغ عدد الوفود التي وفدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يزيد على تسعين وفداً، لكل وفد قصته، فصلتها كتب المغازي والسيرة.

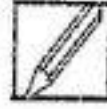
وفي نفس العام أيضاً بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اليعوث إلى شتى الجهات، وخاصة في جنوبي الجزيرة ومختلف أطرافها، لتعليم الناس مبادئ الإسلام وأحكامه، فقد انتشر الإسلام في الجزيرة ومختلف أطرافها، وأصبحت الحاجة داعية إلى معلمين ودعاة ومرشدين يشرحون للناس حقائق الإسلام حتى يستقر في قلوبهم بعد أن انتشر في ربوعهم.

فأرسل خالد بن الوليد إلى فجران ليدعو من هناك إلى الإسلام ويعلمهم مبادئه، ثم بعث علياً بعد ذلك مكانه، وكان من ضمن مهامه أن يقبض الخمس. وعندما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم علياً بما يريد، قال علي: «يا رسول الله، إنك تبعثني إلى قوم هم أسن مني لأقضي بينهم، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «الذهب فإن الله تعالى سيثبت لسانك ويهدي قلبك» (ابن سعد، الطبقات، ج 5، ص 225)، وأرسل صلى الله عليه وسلم أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن أيضاً، بعث كلا منهما إلى طرف من أطرافها، ووصاهما قائلاً: «يسرا ولا

تعسوا، وبشرا ولا تنفروا، وتطاولوا. وقال لمعاذ: «إنك ستأتي قوماً من أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك أخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» (ابن سعد، الطبقات، ج 5، ص 110).

وفي ذي القعدة من العام نفسه سنة (9هـ) بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق أميراً على الحج، ليقيم بالمسلمين المناسك، فخرج من المدينة يسوق البدن أمامه مولياً وجهه شطر المسجد الحرام، ثم نزل الوحي بسورة براءة بعد انصراف أبي بكر، وفيها نقض المواثيق ونقضها على سراء، وكان لابد أن تذكر للعرب في موسم الحج، فبعث الرسول صلى الله عليه وسلم علياً بن أبي طالب ليلحق بالحجيج ويقرأ الآيات في الحج ويبينها للناس، فلحق علي بأبي بكر في العرج، فقال أبو بكر: أمير أو مأمور؟ قال علي: لا، بل مأمور، ثم مضيا، وأقام أبو بكر للناس حجهم، حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب عند الجمرة، فأذن في الناس بالذي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأوضح لهم أربعة أشياء: بأن لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يجتمع مسلم وكافر في المسجد الحرام بعد عامه هذا، ومن كان بينه وبين الرسول عهد فعنده إلى مدته، ومن لم يكن له عهد فأجله إلى أربعة أشهر ومن ثم لئلا مكانة لأصنامهم بعد المنلة الضرورية لهم. قال تعالى:

«براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين، فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وإن الله مخزي الكافرين، وإذن من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله يرى من المشركين ورسوله، فإن تبتم فهو خير لكم» (التوبة، الآيات 1 - 3).



أكمل ما يأتي:

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعاذ بن جيل: «إنك ستأتي قوماً من أهل فإنما جئتهم فادعهم إلى فإن هم أطاعوا لك بذلك فآخبرهم بأن الله فرض عليهم فإن هم أطاعوا لك بذلك فآخبرهم بأن الله قد فرض عليهم تؤخذ من فتزد على فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك و واتق دعوة فإنه ليس بينها وبين الله حجاب».

4. حجة الوداع ووفاء النبي (صلى الله عليه وسلم)

1.4 حجة الوداع

إكتملت أعمال الدعوة، وإبلاغ الرسالة، وبناء مجتمع جديد على أساس إثبات الألوهية لله، ونفيها عن غيره، وعلى أساس رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وكان هاتفاً خفياً أنبعث في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم يشعره أن مقامه في الدنيا قد أوشك على النهاية، حتى أنه حين بعث معاذاً إلى اليمن قال له: «يا معاذ إنك عصي ألا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري» فيبكي معاذ خشعاً لفراق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وشاء الله أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمار دعوته التي عانى في سبيلها ألواناً من المتاعب بضعاً وعشرين عاماً، فيجتمع في أطراف مكة بأفراد قبائل العرب وممثليها، فيأخذوا منه شرائع الدين وأحكامه، ويأخذ منهم الشهادة على أنه أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة.

فأعلن الرسول صلى الله عليه وسلم عزمه لهذه الحجة المبرورة المشهورة، فجاءته في المدينة قبائل كثيرة كلها تلتبس أن تأتم برسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعمل مثل عمله،

فخرج من المدينة لخمس بقين من ذي القعدة في السنة العاشرة للهجرة، قال جابر : فلما استوت به ناقته في البداء، نظرت إلى مد بصري بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم من راكب وماش، وعن يمينه مثل ذلك، وعن يساره مثل ذلك، ومن خلفه مثل ذلك، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا، وعليه ينزل القرآن. (البوطي، فقه السيرة، ص 324) .

ودخل مكة من أعلاها من طريق كداء حتى انتهى إلى باب بني شيبه، فلما رأى البيت قال : **اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابةً، وزد من حجه واعتمره تشريفاً وتكريماً ومهابةً وتعظيماً وبراً**» (ابن سعد، الطبقات ج 5، ص 312) .

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجه، فعلم الناس مناسكهم وبين لهم سنن حجههم، وألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم عرفة خطبة جامعة في جموع المسلمين الذين اجتمعوا حوله في الموقف، هذا نصها :

«أيها الناس إسمعوا قولي، فإنني لا أنري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، بهذا الموقف أبداً، أيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث - (وكان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل) - وربا الجاهلية موضوعة، وأول رباً أضع من ربانا رباً عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله.

أيها الناس إن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً، ولكنه إن طلع فيها سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم، أيها الناس، إن النفس زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات: ذي القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان .

اتقوا الله في النساء، فإنكم إنما أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، إن لكم عليهن حقاً ولهن عليكم حقاً : لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن

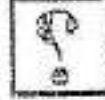
ذلك فاضربوه من ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف .
فأعقلوا أيها الناس قولني غياني قد بلغت، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم
به كتاب الله وسنة رسوله .

«يا أيها الناس، اسمعوا وأطيعوا وإن أمر عليكم عبد حبشي مجدع ما أقيم فيكم كتاب الله تعالى .
أيها الناس، اسمعوا قولني واعقلوه، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين أخوة، فلا
يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعتلاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم، اللهم هل بلغت؟ وسنلقون
وأيكم فلا ترجعوا بعدي ضللاً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فلعن بعض
من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا : نشهد
أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بأصبعه السبابة، يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس «اللهم
اشهد، ثلاث مرات» (ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، ص 503) .

وبعد أن فرغ الرسول صلى الله عليه وسلم من إلقاء الخطبة نزل عليه قوله تعالى :
«اليرم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً» (المائدة، الآية 3) ولما
نزلت بكى عمر فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : «ما يبكيك؟» قال : أبكاني إنا كنا في زيادة
من ديننا، فأما إذا اكمل، فإنه لم يكمل شيء قط إلا نقص، فقال «صدقت» .

ثم أذن بلال لصلاة الظهر فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس الظهر
والعصر ثم ركب حتى أتى الموقف، واستقبل القبلة، ولم يزل واقفاً حتى المغيب، ثم دفع من معه
حتى أتى المزدلفة، فصلى بها المغرب والعشاء، ثم اضطجع حتى طلع الفجر، فصلى، ثم دفع
من المزدلفة إلى منى قبل طلوع الشمس فرمى الجمرات، ثم انصرف إلى المنحر فنحر ثلاثاً
وستين بدنة بيده، ثم أعطى علياً فنحر حتى أكملها مائة، ثم ركب رسول الله صلى الله عليه
وسلم قافلاً إلى البيت ثم صلى الظهر، ثم عاد إلى منى فقضى أيام التشريق يؤدي المناسك،
ويعلم الشرائع، ويذكر الله، ويقيم سنن الهدى من ملة إبراهيم، ويمحو آثار الشرك ومعاله، ثم
ركب إلى البيت فطاف به طواف الوداع، ثم عاد إلى المدينة ليستأنف الكفاح في سبيل الله .

أسئلة تقويم ذاتي



- 1- ماذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم - عند خروجه لحجة الوداع وهو على مشارف مكة؟
- 2- متى خطب النبي - صلى الله عليه وسلم - في حجة الوداع خطبة جامعة في المسلمين؟
- 3- ما هو الحدث الذي أعقب انتهاء النبي - صلى الله عليه وسلم - من خطبته في حجة الوداع؟

تشاط



عزيزي الدارس، ارجع إلى كتب المعرفة الإسلامية وكتب مقالاً توضح فيه كيفية أداء مناسك الحج، ومن ثم اعرض ذلك على مشرفك الأكاديمي.

الدروس المستفادة

- 1- إن دعوة الحج إلى بيت الله الحرام ستظل قائمة إلى يوم القيامة، فهي دعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام، يأمر من ربه سبحانه وتعالى، ولكن انحرافات الجاهلية ومضلات الوثنية قد زادت فيه تقاليد باطلية وضيقته، بكثير من مظاهر الكفر والشرك، وقد جاء الإسلام ليفصل هذه الشعيرة مما غلق بها فن أديان ويعيدها نقية صافية تشع بنور التوحيد وتقوم على أساس العبودية المطلقة لله تعالى، ومن أجل هذا أفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس أنه حاج بيت الله الحرام، ومن أجل ذلك أقبل الناس من كل حدب وصوب حتى يأخذوا مناسكهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

2- كانت خطبة عرفات تخاطب الأجيال والتاريخ بعد أن أدى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمانة ونصح الأمة وجاهد في سبيل الله ثلاثة وعشرين عاماً لا يكل ولا يمل، فتجمع له الآلاف المؤلفة اجتمعوا حوله خاشعين متضرعين، وظلما تربصوا به قبل ذلك متأمرين ومحاربين، فهاهم يتزاحمون حوله ولسان حالهم يردد قول الله تعالى: «إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد» (غافر، الآية 51).

3- أراد الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الحجة أن يلخص للمسلمين تعاليم الإسلام ونظامه في حكم جامعة مختصرة، ويحملهم أمانة تبليغها إلى من لم يبلغه من البشر في كل أصقاع الدنيا في الحاضر والمستقبل، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

4- جاءت الخطبة ملأى بالتوصيات لهذه الأمة لكانه صلى الله عليه وسلم يستلهم منها واقع المنزلات التي سيتنكب فيها أقوام من أمته خلال الزمن قاثين وراء غيرهم ضالعين عن القيس الذي سيطرته بين أيديهم، فلقد كان أول بند منها قوله: «أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم...» وكرر هذه التوصية في مكان آخر، ولكن واقع الأمة اليوم بعيداً عن تلك التوصيات، فانقلبوا إلى أعداء يضرب بعضهم رقاب بعض وقربوا الأعداء وأبعدوا الأخوة والأصدقاء، أين نحن اليوم من خطبة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟

5- من معاني الخطبة أن كل ما كانت الجاهلية تفخر به، من تقاليد العصبية والقبلية، وغوارق اللغة والأنساب والعرق... قد بطل أمره ومات اختياره، أرجاس من تقاليد الجاهلية أبعدنا الرسول صلى الله عليه وسلم عن منطق الإنسانية وتقدمها الفكري والحضاري. وأعلن أنها قد عادت حثالة مدفونة تحت قدميه، كي يثبت للدنيا كلها ويسجل على سح القرون والأجيال أنه ما من تائه يزعم التقدم الفكري إذ يعمد فينبش شيئاً من هذا الدفين القديم إلا وهو يرجع القهقري يسبح في أفوار قصبة من التاريخ المظلم القديم، وإن خيل إليه أنه يخطو قدماً ويتقدم صعداً، فإين نحن اليوم في بلادنا هذه شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً من تلك التعاليم؟

6- أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنساء، وأكد في خطبته هذه القضاء على الظلم البائد للمرأة في الجاهلية، وتثبيت ضمانات حقوقها وكرامتها الإنسانية التي تضمنتها أحكام الشريعة الإسلامية، وعلى المسلمين الالتزام بذلك في كل عهد وطور من الزمن.

7- الاعتصام بالكتاب والسنة كمصدرين لا ثالث لهما لجميع المشكلات التي تعترض حياة المسلمين، فهما الضمان لجميع الأجيال المسلمة المتعاقبة، وأن صلاحية التمسك بهذين الدليلين ليس وقفاً على عصر دون آخر، وأنه لا ينبغي أن يكون لأي تطور حضاري أو عرف زمني أي سلطان أو تغلب عليهما.

8- إن علاقة الشعب بالحاكم هي علاقة السمع والطاعة من الشعب للحاكم مهما كان نسبه وشأنه ومظهره ما دام يحكم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا حاد عنهما فلا سمع ولا طاعة، فلا مناص لولاء الحاكم وضرورة اتباعه إلا سيره على نهج الكتاب والسنة، وليكن بعد ذلك إن شاء عبداً حبشياً مجذعاً، فلا يخفضه ذلك قيد شعرة عن غيره عند الله تعالى.

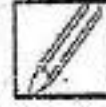
2.4 وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم)

ما أن عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حتى أمر المسلمين بالتهيؤ لغزو الروم، وذلك في صفر من العام الحادي عشر للهجرة، واختار الرسول صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد أميراً على هذا الجيش، وفيه كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار، فأمره أن يسير إلى موضع مقتل أبيه زيد بن حارثة، وأن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين فطعن بعض الناس في إمارة أسامة لصغر سنه، فقام الرسول صلى الله عليه وسلم وهو معصوب الرأس بسبب وجع ألم به، فقال: «إن تلعنوا في إمارة أسامة بن زيد فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله، وإيم الله إن كان لخليقاً بها، وإيم الله إن كان لأحب الناس إليّ، وإيم الله إن هذا لها لخليق» (يريد أسامة بن زيد) - أيم الله إن كان لأحبهم إليّ من بعده فأوصيكم به فإنه من صاحبكم». فتجهز الناس وعسكر أسامة بجيشه في الجرف، ولم يتحرك بسبب اشتداد المرض.

برسول الله صلى الله عليه وسلم لينتظر ما الله قاض فيه، وكان ذلك في أواخر صفر من
 السنة الحادية عشرة للهجرة، واشتد به المرض في بيت ميمونة، واستأذن زوجته فأتته له أن
 يمرض في بيت عائشة، فخرج من عند ميمونة يمشي بين الفضل بن عباس وعلي بن أبي طالب
 عاصباً رأسه حتى دخل بيت عائشة، وفي يوم الأربعاء قبل خمسة أيام من الوفاة اتقدت حرارة
 العلة في بدنه، فاشتد به الوجع فقال: «مريتوا علي سبيع قرب من آبار شتى، حتى أخرج إلى
 الناس، فأعهد إليهم، فأقعدوه في إناء وصبروا عليه الماء حتى قال: «حسبكم، حسبكم» فلما
 أحس بخفة في بدنه خرج إلى المسجد، والفضل بن عباس أخذاً بيده، فجلس على المنبر ثم قال:
 أما بعد أيها الناس: فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، فمن كنت جللت له ظهراً فهذا ظهري
 فليستقد منه (أي يأخذ القود، وهو القصاص)، ومن كنت شمت له عرضاً فهذا عرضي
 فليستقد منه، ألا وإن الشحناء ليست من طبعي، ولا من شأني، ألا وإن أحبكم إلي من أخذ
 مني حقاً إن كان له أو أحلني منه فليقت الله وأنا طيب النفس، وقد أرى أن هذا غير مغن عني
 حتى أقوم فيكم مراراً.

ثم نزل فصلى الظهر، ثم رجع فجلس على المنبر وعاد لمقالاته الأولى في الشحناء، فقام
 رجل فقال: يا رسول الله، إن لي عندك ثلاثة دراهم، فقال: أعطه يا فضل، ثم قال الرسول
 صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس من كان عنده شيء فليؤده، ولا يقل فضوح الدنيا، ألا وإن
 فضوح الدنيا أيسر من فضوح الآخرة...»

ثم عاد إلى فراش السقام، فحبسته العلة، وكلما أنس من نفسه خفة خرج إلى المسجد
 ليلقي نظرات أخيرة على الأمة التي صنعها، والرجال الذين أحبهم، فخرج يوماً فقال: «إن عيداً
 خيرته الله بين أن يؤتني من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عند الله، فاختار ما عند الله، فبكى أبو
 بكر، ثم قال: فدينك بأبائنا وأمهاتنا يا رسول الله، فتعجب الصحابة من فهم أبي بكر لما يرمي
 إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزادت وطأة المرض على رسول الله صلى الله عليه
 وسلم، وكان يعاني من شدة الألم حتى تأذت فاطمة ابنته من شدة ما يلقي، فقالت: واكرب
 أبنا، فقال: لا كرب على أبيك بعد اليوم.



عزيزي القارئ، كان لحجة الوداع معنى جليلاً يتعلق بالدعوة الإسلامية ويتعلق بحياته صلى الله عليه وسلم . ويتعلق بالمنهج العام للنظام الإسلامي . رضع ذلك من خلال قراءتك للسيرة النبوية.

و حين عجز الرسول صلى الله عليه وسلم عن أداء الصلاة بالناس، قال لهم : «مروا أبا بكر فليصل بالناس، فخشيت عائشة أن يكره الناس أباها ويتشائمون من طاعته، فقالت : إن أبا بكر رجل رقيق وإنه متى يقوم مقامك لا يطيق، فكررت عائشة اعتراضها، فغضب رسول الله وقال : «إنكن صراخ يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس، وصلى أبو بكر بالناس طيلة مدة مرضه صلى الله عليه وسلم، وكان مع مرضه ظل يقظ الذهن مهموماً بتعاليم الرسالة، حريصاً على تذكير الناس بها، خاصة الصلاة، قال انس بن مالك : كانت عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضره الموت - الصلاة وما ملكت أيمانكم، حتى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يغرغر بها صدره، وما يكاد يفيض بها لسانه».

وزيما غلبه الشوق لحضور الجماعة ورؤية الأصحاب في أيامه الأخيرة، فحامل على جسمه المنهوك، وانسل إلى المسجد من حجرة عائشة، فلما أحس به أبو بكر أراد أن ينكص (يرجع) فأومأ إليه الرسول صلى الله عليه وسلم، بأن ابق مكانك، فجلس إلى جنب أبي بكر عن يساره.

وهكذا كان حريصاً على أمته وتمسكها بمبادئ الإسلام حتى آخر لحظة في حياته، فأراد الله أن يطمئنه على كمال انقيادها وحسن اتباعها، فأشبهه آخر وقت حضره وهو في الدنيا، إذ أقبل المؤمنون من بيوتهم إلى المسجد فجر الإثنين الذي قبض فيه، واصطفوا صلاتهم خشعاً مخبطين وراء إمام وقيل التلاوة فياض الإخلاص، ورفع النبي الستر المضروب على منزل عائشة وفتح الباب وبرز للناس، فكاد المسلمون يفتنون في صلاتهم ابتهاجاً برويته، وتفرجوا يفسحون له مكاناً، فأشار بيده أن اثبتوا على صلاتكم، وتبسم فرحاً من هيئتهم في صلاتهم.

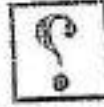
قال أنس : «ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن هيئة منه في تلك الساعة» ثم رجع وانصرف الناس وهم يظنون أن رسول الله قد أفاق من وجعه. واطمان أبو بكر، فرجع إلى أمه بالسبج في ضواحي المدينة (ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، ص 370).

وعاد صلى الله عليه وسلم إلى فراش المرض، قالت عائشة، قد دخل علينا رجل من آل أبي بكر في يده سواك أخضر، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يده نظراً عرقت منه أنه يريد، فأنذته قائنته، ثم أعطيته إياه، فاستن به ثم وضعه ووجدت رسول الله يتقل في حجره، فذهبت أنظر في وجهه، فإذا نظره قد شخص وهو يقول : «يل الرقيق الأعلى من الجنة» قلت خيرت فاخترت، والذي بعثك بالحق، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وتسرب النبا الفادح من البيت المحزون ووقع على المسلمين وقع الصاعقة وشعر المؤمنون أن أفاق المدينة أظلمت، فتركهم لوعة الثكل حيارى لا يدرون ما يفعلون، ووقف عمر بن الخطاب وقد أخرجه الخبر عن وعيه، يقول : إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي، وإن رسول الله ما مات، ولكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فغاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع بعد أن قيل قد مات، فوالله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات، وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر، وعمر يكلم الناس، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة وهو مسجى في ناحية البيت عليه بردة حبرة، فأقبل حتى كشف عن وجهه، ثم أقبل عليه فقبله، ثم قال : يا بني أنت وأمي، أما المزة التي كتبها الله عليك فقد نذتها، ثم إن يصيبك بعدها موت أبداً، ورد الثوب على وجهه، ثم خرج وعمر يكلم الناس، فقال : على رسلك يا عمر، فأنصت، لكن عمر ظل مهتاجاً مندفعاً في كلامه، فلما رآه أبو بكر كذلك، أقبل على الناس وشرع يتكلم، فلما سمعه الناس انصرفوا عن عمر وأقبلوا عليه، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه ثم قال :

يا أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم تلا هذه الآية : «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً، وسيجزي الله الشاكرين (آل عمران، الآية 144).

أسئلة تقويم ذاتي



- 1- ما هي الفريضة التي كان النبي - صلى الله عليه وسلم - خريصاً على تذكر المسلمين بها وهو على فراش الموت؟
- 2- ماذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو على فراش الموت وقد شخض بصره؟
- 3- كيف أسر عمر بن الخطاب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم؟
- 4- ماذا قال أبو بكر لجموع المسلمين بعد أن كان يصطب فيهم عمر بن الخطاب؟

الخلاصة

عزيزي الدارس، لا نود أن نقول لك أننا قد وصلنا إلى نهاية سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- بوصولنا لنهاية الوحدة السادسة، فسيرته -صلى الله عليه وسلم- معين لا ينضب ونحن نتمثل سلوكه ونهج تربيته في حياتنا اليومية، ولا نقول كما قال ضعاف الإيمان يومئذ بأن الإسلام قد انتهى بوفاة النبي -صلى الله عليه وسلم-، فالنبي يعيش بيننا سيرة ومنهجاً وقدوة ويكفي أن اسمه مقروناً بشهادة الإيمان والإسلام: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

عزيزي الدارس، نحاول معاً في السطور القادمة أن نقدم ملخصاً لما اشتملت عليه الوحدة السادسة من سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- والتي كان موضوعها صلح الحديبية وفتح مكة وحجة الوداع.

خرج النبي -صلى الله عليه وسلم- من المدينة قاصداً مكة لأداء العمرة ولكن قريشاً عارضت ذلك، وقد توصل النبي -صلى الله عليه وسلم- مع قريش على صلح عرف بصلح الحديبية. وأهم بنوده:

(أ) يرجع النبي -صلى الله عليه وسلم- فلا يدخل مكة هذا العام ويدخلها العام المقبل وسعهم سلاح الرماح والسيوف في القرب.

(ب) وقف الحرب بين الطرفين لمدة عشر سنين يأمن فيها الناس.

(ج) من أراد أن يدخل في عهد محمد -صلى الله عليه وسلم- له ذلك، ومن أراد أن يدخل في عهد قريش دخل فيه.

(د) من أتى محمداً عن قريش هارباً رده إليهم، ومن جاء قريشاً من محمد هارباً لم يرد إليه.

ولعل أهم نتائج هذا الصلح أن جاء فتح مكة فتحاً دون قتال. عزيزي الدارس، أعقب صلح الحديبية العديد من الأحداث أهمها غزوة خيبر والتي كان الهدف الأساس منها هو دعوة اليهود للإسلام ومحاربتهم على كفرهم وعنادهم، ومن بعد ذلك جاء التكليف الإلهي بدعوة

الناس جميعاً للإسلام فأرسل النبي - صلى الله عليه وسلم - الرسل والملوك والأمراء
لدعوتهم للدخول في الإسلام وقد كتب النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى كل من :

(أ) النجاشي ملك الحبشة

(ب) هرقل ملك الروم

(ج) كسرى ملك الفرس

(د) عظيم بصرى

(هـ) المقوقس ملك مصر

(ز) حاكم البحرين

(ز) صاحب اليمامة

(و) ملك عمان

بعد ذلك عزى النارس، وفي شهر ذي القعدة من السنة السابعة للهجرة خرج النبي -
صلى الله عليه وسلم - وأصحابه لأداء عمرة القضاء حسب ما نصت عليه اتفاقية صلح
الحديبية، وقد كان أداء هذه العمرة تصديقاً لإحياء ما وعد به النبي - صلى الله عليه وسلم - من
دخول مكة والطواف بالبيت الحرام.

من ثم كانت أحداث غزوة مؤتة والتي كان سببها المباشر قتل أحد رسل النبي - صلى الله
عليه وسلم - وقد تمثلت في هذه الغزوة معاني الجهاد والشورى.

عزى النارس، في رمضان من سنة 8 هجرية خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - من
المدينة متجهاً إلى مكة، وكان قد وزع جيشه لدخول مكة، ثم دخل النبي - صلى الله عليه
وسلم - مكة ودخل المسجد الحرام وحطم الأصنام ومن ثم عفى عن أهل قريش، وبأيعه عدد
من المسلمين.

رفض العديد من قبائل العرب دخول النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى مكة، وتجمع
عدد كبير منها لقتال النبي - صلى الله عليه وسلم - وكان ما عرف بغزوة حنين، وقد كانت
نتائج هذه الغزوة تتمثل في نزول العديد من الأحكام مثل حكم الغنائم بجانب العديد من

الدروس والعبر، أيضاً كانت هنالك غزوة تبوك والتي كانت بين المسلمين والروم حيث لم يقف الروم للقتال وتفرقوا وهربوا من وجه المسلمين. وفي هذه الغزوة نزلت العديد من آيات الجهاد وغيرها من آيات القرآن الكريم، وقد أعقب غزوة تبوك أن جاء العديد من وفود العرب داخلة في الإسلام.

عزيزي الدارس، ونحن نقدم لك ملخصاً للوحدة السادسة نصل بها إلى حجة الوداع حيث شعر النبي -صلى الله عليه وسلم- بدنو أجله فعزم على أداء فريضة الحج، وكانت حجة الوداع والتي علم فيها النبي الناس مناسك الحج، وقد خطب النبي -صلى الله عليه وسلم- خطبة يوم عرفة وكانت خطبة جامعة، والتي أعقبها نزول قوله تعالى: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً».

عزيزي الدارس، بعد عودة النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة جهز جيشاً بقيادة أسامة بن زيد لغزو الروم، وقد اشتد المرض بالنبي -صلى الله عليه وسلم- وكان لا يخرج إلا للمسجد، وكان مرضه في بيت السيدة عائشة. ظل مرض النبي فترة من الزمن إلى أن انتقل إلى الرقيق الأعلى، وبدأ يسدل الستار على حياة أشرف الخلق أجمعين النبي الأمي القرشي محمد -صلى الله عليه وسلم- معلم البشرية جميعاً.

إجابات التمرينات

تدريب (1)

1 / (ج)

2 / (أ)

3 / (ب)

تدريب (2)

القائمة (أ)	القائمة (ب)
1 / سهيل بن عمرو	1 / عقد صلح الحديبية مع النبي صلى الله عليه وسلم.
2 / المسلمون	2 / يردون من جاء إليهم من الطرف الآخر.
3 / علي بن أبي طالب	3 / رفض مسيح لفظ رسول الله.
4 / المشركون	4 / لا يردون من جاء إليهم من الطرف الآخر.
5 / إبان بن سعيد بن العاص	5 / نزل معه عثمان بن عفان.

تدريب (3)

1 / لا

2 / لا

3 / نعم

4 / نعم

5 / نعم

تدريب (4)

1/ مرحب

2/ ابن أبي الحقيق

3/ ثلاثة وتسعون رجلاً - عشرون رجلاً.

4/ قتل - زينب بنت الحارث - ذراع شاة مشوية ، بشر بن البراء.

5/ يدفعوا نصف زروعها وثمارها.

تدريب (5)

المبعوث	المبعوث إليه	النتيجة
1/ سليط بن عمرو العامري	موذة بن علي (اليمامة)	اشتراط أن تكون له مبيته ومكانته لاتباع محمد
2/ دحية بن خليفة	مرقل (ملك الروم)	لم يسلم
3/ حاطب بن أبي بلتعة	المقوقس (ملك مصر)	لم يسلم وأرسل هدايا وجاريين
4/ العلاء بن الحضرمي	المنذر بن ساوي (مل الليحيين)	أسلم عدد كبير من قومه
5/ عمرو بن أمية الضمري	النجاشي (ملك الحبشة)	أسلم وشهد شهادة الحق
6/ عمرو بن العاص	جيفر وأخاه عبد ابني الجالندي (عمان)	أسلما وبعثا بالهدنة
7/ الحارث بن عمير	شرحبيل بن عمر الغساني	لم يسلم وقتل المبعوث
8/ عبدالله بن حذافة	كسرى (ملك الفرس)	لم يسلم وحرق الرسالة

تدريب (6)

ذلك أن المسلمين لم يدخلوا المعركة بحساب العدد والعدة والافائه لا يوجد تكافؤ بين ثلاثة آلاف ومائتي ألف ولكن المعادلة في الايمان وهو الذي يقلب المرازين البشرية وليذا حقق المسلمون معجزة الصعود ليوم كامل أمام تلك الجحافل الجرارة، كما أنهم لم يتركوهم ليحتقروا انفسهم فالسبب في ذلك هو الايمان الذي يرتفع بمصاحبه إلى درجة لا يعرف فيها الخوف إلا من الله.

تدريب (7)

1 / قال : ما أنا بفاعل .

2 / قال : أنا أشفع لكم إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإني لو لم أجد إلا الذر لحامدكم به .

3 / قال : ويحك يا أبا سفيان، لقد عزم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ما نستطيع أن نكافئه فيه .

تدريب (8)

1 / وزع النبي - صلى الله عليه وسلم - جيشه عند فتح مكة بأن كان خالد بن الوليد على الميمنة وأمره أن يدخل مكة من أسفلها وقال لهم «إن عرض لكم أحد من قريش فاحصدوه»

أما الزبير فقد كان على الميسرة وأمره النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يدخل مكة من أعلاها ويفرز رأيته بالحجون، وينتظر فيها حتى يأتيه . أما أبو عبيدة فقد كان على الرجالة وأمره النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يأخذ بطن الوادي حتى يدخل مكة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

/2

المبعوث	المكان	الصنم	القبيلة التي تعظمه
خالد بن الوليد	بطن نخلة (نيار ثقيف)	العزى	مضر وقريش وكنانة
سعد بن زيد الأشهلي	المشال : ناحية قديد	مناة	الأوس والخزرج
عمرو بن العاص	-----	سواع	مذيل

تدريب (9)

في حادثة حاطب بن أبي بلتعة دليل آخر على نبوته - صلى الله عليه وسلم - ، فإن وصفه للمرأة والمكان الذي كانت فيه وبذلك الدقة ، دليل على أنه الوحي ، وإذن فهي النبوة وهي التأييد

الإلهي

تدريب (10)

القائمة (أ)	القائمة (ب)
1 / مسعود بن عمرو الغفاري	1 / حارس غنائم غزوة حنين
2 / مالك بن عوف	2 / قائد المشركين في غزوة حنين
3 / نوفل بن معاوية الديلي	3 / استشاره النبي صلى الله عليه وسلم
4 / سفيان بن حرب	4 / أربعون أوقيه ومائة من الإبل
5 / زهير بن صرد	5 / وقد هوازن المسلم
6 / سعد بن عباد	6 / شكوى الأنصار

تدريب (11)

عندما علم الرومان وحلفاؤهم بزحف الرسول - صلى الله عليه وسلم - أخذهم الرعب ولم يتقدموا إلى الامام ، وتفرقوا في البلاد ، وفشلوا في قتال المسلمين ، وبنا انهزم الروم من دون قتال مع المسلمين .

تدريب (12)

كتاب - أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله - خمس صلوات في كل يوم وليلة -
صدقة - أغنيائهم - فقراهم - كرائم أموالهم - المظلوم .

تدريب (13)

لقد تعلم المسلمون من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من خلال حجة الوداع صلاتهم وصيامهم وأمر زكاتهم وعامة ما يتعلق بهم من عبادات وواجبات، وفي هذه الحجة علمهم مناسكهم وكيفية أدائهم شعائر الحج بعد أن طويت تلك التقاليد الجاهلية المتوارثة أيام موسم الحج من صفيير وعري أثناء الطواف ففضى عليها مع القضاء على الأوثان وتطهير بيت الله الحرام منها.

المصادر والمراجع

- 1- القرآن الكريم.
- 2- ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن الجزري) ، **الكامل في التاريخ** ، دار صادر ، بيروت ، 1386 هـ - 1996 م.
- 3- ابن القيم (شمس الدين أبو عبد الله) ، **زاد المعاد** ، المطبعة المحصرية 1347 هـ.
- 4- ابن سعد (محمد بن سعد) - الطبقات الكبرى ، دار صادر (بيروت) ، 1388 هـ - 1968 م.
- 5- ابن كثير (أبو الفداء الحافظ ابن كثير) ، **البداية والنهاية في التاريخ** ، مكتبة المعارف ، بيروت 1417 هـ - 1997 م.
- 6- ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن هشام) ، **السيرة النبوية** ، مطبعة باجي الحلبي - القاهرة 1375 هـ - 1955 م.
- 7- أبو الحسن الندوي ، **السيرة النبوية** ، دار الشروق ، 1995 م.
- 8- الأزرق ، **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار** ، طبع بيروت ومكة المكرمة 1399 هـ - 1979 م.
- 9- الإمام أحمد بن حنبل ، **مسند الإمام أحمد** ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، 1398 هـ - 1978 م.
- 10- البخاري (الإمام أبو عبد الله) ، **صحيح البخاري** ، المكتبة الرحيمية بالهند ، 1397 هـ - 1977 م.
- 11- البوطي (مجدد رمضان البوطي) ، **فقه السيرة** ، بيروت 1419 - 1999 م.
- 12- الترمذي (محمد بن عيسى) ، **شمائل الترمذي** ، دلهي ، الهند ، 1385 هـ - 1965 م.
- 13- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) ، **تاريخ الأمم والملوك** ، دار المعارف ، القاهرة (د.ت).
- 14- الغزالي (الشيخ محمد الغزالي) ، **فقه السيرة** ، دار القلم ، دمشق ، 1418 هـ - 1998 م.
- 15- المسعودي (أبو الحسن علي بن حسين) **مروج الذهب ومعادن الجوهر** ، دار المعرفة ، بيروت (د.ت).

- 16- الواقدي (محمد بن عمر بن واقد)، مغازي الواقدي، طبع بيروت، 1384هـ - 1964م.
- 17- البعثري (أحمد بن أبي يعقوب)، تاريخ البعثري، دار صادر، بيروت، 1379هـ - 1960م.
- 18- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1399 - 1979م.
- 19- حسن أحمد محمود، انتشار الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، مكتبة النهضة، 1966م.
- 20- صفى الرحمن مبارك كزوري، الوحي المفقود، دار الوفاء، 1424هـ - 2003م.
- 21- عبدالشافى عبدالعليف ومحمد جبر أبو سعدة، دراسات في السيرة النبوية، طبع، القاهرة 1979م.
- 22- محمد الشريف، الرسول في القرآن الكريم، طبع، القاهرة، 1980م.
- 23- محمد جمال الدين سرور، قيام الدولة العربية الإسلامية في حياة محمد صلى الله عليه وسلم، دار الفكر، القاهرة 1952.
- 24- محمد الخضرى بك، تاريخ الأمم الإسلامية، المكتبة التوثيقية، القاهرة، 1382هـ - 1962م.
- 25- مهدي رزق الله أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، دار إمام الدعوة للنشر والتوزيع - السعودية 1424هـ - 2003م.
- 26- ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1379هـ - 1977م.